عدد خاص

AL-HADAF
الهدف
كل الحقيقة للجماهير
فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

غزة
إرادةٌ باقية في التِماعِ الحَقِ والدّم

الهدف - فلسطين - العدد 55 (1529) - يناير / كانون الثاني 2024

SOLIDARITY DAY
gaza
JUNE 6
ادعموا صمود غزة
SOUTENEZ LA LUTTE DU PEUPLE PALESTINIEN
A GAZA CONTRE L'OCCUPATION SIONISTE.
SUPPORT THE HEROIC STRUGGLE OF THE PALESTINIAN
PEOPLE IN GAZA AGAINST ISRAELI REPRESSION.
P.F.L.P.

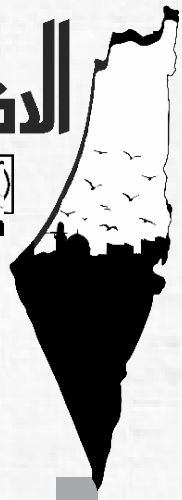

الافتتاحية

المهمات الفلسطينية الراهنة

في مواجهة العدوان الصهيوني وتداعياته

قد يستمر العدوان الصهيو - أمريكي على قطاع غزة شهراً آخراً أو شهرين أو أكثر، وتتضاعف أعداد الضحايا من أبناء شعبنا، ويستكمل العدو تدمير كل مقومات الحياة هناك، وبنفس الوقت ستزداد أعداد القتلى والخسائر لدى العدو، وعاجلاً أم آجلاً سيتوقف العدوان بغض النظر عن مآلاته سواء حقق أهدافه أو فشل في تحقيق أي منها، وما أن تصمت المدافع وتتوقف الحرب إلا وتبدأ حروب ومعارك من نوع آخر وفي جبهات مختلفة.

وقبل الحديث عن الصراعات والتداعيات الداخلية ينبغي الإشارة إلى اضطرار أطراف الصراع إلى الاستعداد لجولات جديدة من القتال. سيعمل العدو الصهيوني على تعزيز قواته وقدراته العسكرية محاولا استرداد واستعادة الثقة المفقودة ورفع المعنويات المنهارة لجيشه وأجهزته الأمنية وللمستوطنين والمستجلبين.

وستعمل المقاومة للتحضير لجولات وجولات من القتال والعمليات الفدائية وحرب التحرير الشعبية طويلة الأمد باعتبارها حركة تحرر وطني. ما نحن بصدده وما سنتوقف عنده الآن هو:

التداعيات الداخلية على الكيان الصهيوني:

في سياق تحميل المسؤوليات ومساءلة المعنيين من السياسيين والعسكريين والأمنيين والحزبيين عن الإخفاقات والانكسارات منذ السابع من أكتوبر وحتى ما ستؤول إليه هذه الحرب ستحدث الكثير الكثير من الأزمات والتي قد تبدأ بالاتهامات وثم لجان التحقيق أو التقصي وبعدها المحاكمات والأحكام وما سيرافق ذلك أو يتبعه من إقالات أو إستقالات لقادة ومسؤولين وجنرالات.

إن أي إنجاز قد يحققه العدو حتى نهاية هذه الحرب لن يستطيع أن يشغل الصهاينة عن مشكلاتهم وأزماتهم البنيوية والمستجدة.

سيطفو على السطح ويحتل المشهد السياسي الصراع الحاد بين الصهيونية الدينية والصهيونية العلمانية ليس فقط من بوابة الإصلاح القضائي بل من بوابات عديدة مثل؛ الخدمة في الجيش، والمناهج التعليمية، والموازنات، وأية امتيازات أخرى حصلت عليها الأحزاب الدينية أو قد يحصلوا عليها عبر سياسة الابتزاز التي يمارسونها عند أية تشكيلات حكومية قائمة أو قادمة.

وسيكون للأزمة الاقتصادية وحجم الخسائر على مختلف الصعد الصناعية والزراعية والتجارية والسياحية وغيرها والتي قد تصل إلى عشرات المليارات من الدولارات، وما سينتج عن ارتفاع نسب التضخم من انعكاسات سلبية على مستوى الحياة المعيشية، وكل ذلك سيطرح وبعمق أسئلة الوجود ومستقبل الكيان.

سنرى أيضا تفاقم أزمة المستوطنين وعودتهم إلى غلاف غزة وشمال فلسطين وانعدام الثقة بإمكانية توفير ما يلزم من أمن وحماية مستدامة.

غضب أهالي الجنود والمدنيين والرهائن القتلى والمفقودين وثورتهم على قادة الحكومة والجيش والأجهزة الأمنية للعبث بمصير أبنائهم وقتل بعضهم بالخطأ كما يدّعون، هذا إذا استبعدنا قانون هانيبال الذي يجيز

قتل الاسير الصهيوني وآسره.

إن تفاقم القلق الوجودي لدى الكيان الصهيوني، وضعف المناعة «القومية»، وعدم موثوقية قوة الردع الاستراتيجية، سيضاعف من حدة أزمته البنيوية، وسيحول دون المزيد من الاستقطاب والإستجلاب من اليهود في العالم، هذا إن لم يغدو نابذا أو طاردا لليهود من داخل الكيان.

موضوعيا بلغ الصراع ذروته القصوى وبدأت ملامح الوهن والضعف والتآكل واضحة كل الوضوح في بنية الكيان الصهيوني، الأمر الذي يبشر بإمكانية أفوله وتفككه وانهياره.

التداعيات الداخلية على المستوى الفلسطيني:

إن ما خلفه العدوان من قتل وخراب ودمار في قطاع غزة وصل إلى حد حرب الإبادة الجماعية، سيكون له أبلغ الأثر على الحياة السياسية والاجتماعية والنفسية هناك، وسيكون ذلك من أولى التحديات والمهام الوطنية الفلسطينية. يبقى السؤال المركزي حول طبيعة وطريقة الجهة المعنية بقيادة المعركة والتصدي لكل استحقاقاتها المباشرة واللاحقة سواء في الميدان أو على المستوى السياسي.

المرحلة حرجة ودقيقة وخطيرة جداً جداً وبحاجة للكل الفلسطيني على قاعدة الدفاع عن شعبنا وصون مصالحه وحقوقه، والارتقاء إلى أعلى درجات الشعور بالمسؤولية لحماية المقاومة وكل الابعاد والمعاني الاستراتيجية لعملية السابع من أكتوبر البطولية «طوفان الأقصى».

يجب أن نستكمل المعركة الميدانية والسياسية موحدين، فالشعب الفلسطيني هو ولي الحق والأرض والدم، ولا يجوز لأي طرف كان أن يتصرف وكأنه صاحب الولاية الحصرية على الشعب ومصيره. لم تعد الشرعية الرسمية مؤهلة لذلك ولن تكون قيادة المعركة في الميدان كافية لذلك.

بعيداً عن الأفكار العدمية أو أي شكل من أشكال التطرف اليميني أو اليساري، وأمام الحاجة والضرورة لتوحيد الجهود والإمكانيات والطاقات، نحن بحاجة ماسة في هذه المرحلة بالذات للمبادرة التي تقدّمت بها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين لجميع فصائل المقاومة الفلسطينية من أجل تشكيل قيادة طوارئ وطنية للتصدي للمهام الوطنية الملحة، ولتكون مدخلا حقيقيا للوحدة الوطنية الفلسطينية واستعادة منظمة التحرير الفلسطينية إلى دورها ومكانتها ومنطلقاتها الكفاحية الرائدة قاطعين الطريق بذلك على العابثين بواقع ومستقبل شعبنا وقضيتنا الوطنية وسياسة التخوين وسياسة الاتهام والتهديد والوعيد..
على القيادة الرسمية في المنظمة والسلطة القطع الكامل مع العدو وكل الاتفاقات الموقعة معه والعودة إلى خيار الشعب والمقاومة بكل أشكالها.

ولن يكون مسموحاً لأي كان تبرئة العدو من دم أطفالنا ونسائنا وكل الأبرياء والآمنين وتحميل المسؤولية لمن قام وانجز بنجاح وإتقان العملية الفدائية النوعية والبطولية «طوفان الأقصى» في السابع من أكتوبر.

من الطبيعي اليوم مواجهة العدوان ومخططات التصفية والتهجير والإبادة وتعزيز صمود شعبنا وحماية كل المقاومة والمقاومين في غزة والضفة والقدس وكل فلسطين ...إن مهمة وقف العدوان على شعبنا وأرضنا وقدسنا ومقدساتنا ووقف الاستيطان وهجمات المستوطنين وإنجاز عملية تبادل الأسرى على قاعدة «الكل مقابل الكل» وانسحاب القوات الصهيونية ورفع الحصار عن قطاع غزة وفتح المعابر وإغاثة أهلنا هناك، كل ذلك سيوفر الظروف المناسبة لإعادة الإعمار، واعتبار ذلك من أولويات المهام الوطنية الراهنة.

لا وقت لدينا للبحث مجدداً في قضايا الانقسام وتعقيداته، بل تفرض علينا المسؤولية الوطنية تجاوز كل ذلك لصالح توظيف كل الجهود والطاقات لإنجاز المهام الراهنة والملحة.

رغم حجم التضحيات من الشهداء والجرحى والمعوقين والمفقودين ورغم ومئات آلاف النازحين، ورغم حجم التدمير والتخريب الممنهج للأحياء السكنية ومئات آلاف المساكن ومعظم المؤسسات والمقرات الحكومية والخاصة، وكل البنى التحتية من مياه وكهرباء ومدارس ومشافي واتصالات وكل مقومات الحياة، إلا أن ذلك يجب أن يزيدنا القوة والصلابة في معركة التحدي والمصير خاصة أن عدونا الصهيوني يعاني من صعوبات وأزمات لا حصر لها، فهو أشبه بحالة الاحتضار وبمستوى من التفكك والهلاك والعزلة الدولية، فالفرصة مواتية تماماً للوحدة الوطنية الفلسطينية ووضع خطة الطوارئ العاجلة مستفيدين من التأييد العالمي وقوى المقاومة في المنطقة لتوجيه المزيد من الضربات الميدانية والسياسية، وإدارة المعركة بكل أبعادها وباقتدار، والشرطان الأساسيان هما قيادة طوارئ موحدة، وتغليب المصالح الوطنية على كل المصالح، وإرادة صلبة ترقى إلى مستوى التضحيات وملاحم الصمود التي يسطرها شعبنا والمقاومة.

الذكرى السادسة عشرة

لرحيل حكيم الثورة الفلسطينية

د. جورج حبش

1926 ـ 2008

«إنني على قناعة راسخة بحتمية تحرير فلسطين كلها، وإنني على قناعة راسخة بحتمية اقتلاع هذا الجسم السرطاني الغريب من قلب أمتنا العربية، إنني على قناعة راسخة بقدرة وإمكانيات شعبنا وامتنا على النهوض، ومهما بدا للوهلة الأولى حطام الهزائم كبيراً، ومهما بدت اللحظة الراهنة كئيبة وقاسية، فالمستقبل مهما طال هو لصالح الشعوب المصرة على نيل حقوقها وحريتها.

المهم أن يعي الجميع هذه الحقيقة ويؤمنوا بها، وأن يترجموا هذا الإيمان الى فعل متواصل كي يقربوا لحظة النصر الآتي لا محالة».

الهدف AL-HADAF

كل الحقيقة للجماهير

فلسطينية عربية ديمقراطية بهوية يسارية

الهدف - فلسطين العدد 55 (1529) ـ كانون الثاني (يناير) 2024

تصميم الغلاف
جيفارا عبد القادر

المقالات المنشورة لا تتطابق بالضرورة
مع وجهة نظرة الهدف

أسسها الأديب الشهيد
غسان كنفاني عام 1969

في هذا العدد

افتتاحية: الهجمات الفلسطينية الراهنة في مواجهة العدوان الصهيوني		3
في الذكرى 56 لانطلاق الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين	عمر مراد	8
عبود النصر المعجل إلى النصر المؤجل	مروان عبد العال	10
الحقد الصهيوني ينفجر في وجه الأسرى	أحمد أبو السعود	12
معركة طوفان الأقصى وضعت قضية فلسطين على أجندة الشعوب	د. ماهر الطاهر	14
طوفان الأقصى: تفكير استراتيجي	أبو علي حسن	16
طوفن الأقصى: صراع الإرادات والعقول	د. عبد الحسين شعبان	18
مرة أخرى: مستقبل فلسطين والفلسطينيين في عين العاصفة	د. لبيب قمحاوي	22
مائة يوم على طوفان الأقصى الزلزال والارتدادات	محمد العبد الله	23
طوفان الأقصى واستحضار التجربة الفيتنامية	د. رباب عبد الهادي	26
هي المذبحة... أن لا تصدَّها، فشريك فيها	د. عادل سماره	28
الأسس الإيديولوجية للإرهاب الصهيوني المعاصر	د. سامي الشّيخ محمّد	30
أثر الفراشة في غزة وحرب السرديات	د. موفق محادين	32
فلسطين تثور وأحرار العالم يكسرون جدار الصمت ويوقفون تجارة الهولوكوست	د. ليلى غانم	34
الأبعاد الاقتصادية للعدوان الإسرائيلي على غزة هاشم	د. مصطفى العبد الله الكفري	37
الآثار الفادحة لعملية طوفان الأقصى	د. أدهم شقير	38
طوفان الأقصى محطة على طريق العودة	سامي سماحة	40
النساء الفلسطينيات مصانع الرجال	إلهام الحكيم	43
طوفان الأقصى بين الواقع والطموح	د. سليم بركات	45
التضامن الأممي مع الشعب الفلسطيني ركيزة أساسية لكسر جبهة العدو	معاد الجحري	47
جبهة الإعلام والصورة.. فعل ومقاومة في طوفان الأقصى	غـازي انـعـيـم	48
طوفان الأقصى والتحديات المصيرية	د.عابد الزريعي	51

تعتذر هيئة تحرير مجلة الهدف
عن عدم نشر كل المساهمات التي وصلتها للمشاركة في هذا العدد بسبب ضيق المساحة، وتعد بنشرها في أعداد لاحقة.

رئيس التحرير
كايد الغول

مدير التحرير
سامي يوسف

سكرتير التحرير
محمد أبو شريفة

المدير الفني
منـير الرفـاعي

يسمح بالنقل وإعادة النشر
بشرط الإشارة إلى المصدر

عناوين مجلة وبوابة الهدف:
غزة ـ بجوار مشفى الشفاء ـ
نهاية شارع الثورة

الهاتف: 082836472
البريد الإلكتروني:
hadafmagazinenew@gmail.com

يصدر عن
دائرة الإعلام المركزي

صمود قطاع غزة وانكسار المسلمات "الإسرائيلية" عودة لنهج الإغتيالات	علي بدوان	53
إنها فلسطين اول وآخر القضايا	د. سليم الخراط	56
"طوفان الأقصى" يقوّض مشروع الشرق الأوسط الجديد – القديم	محمد صوان	58
طوفان الأقصى مفاعيل استراتيجية	ناجي صفا	60
"طوفان الأقصى" يؤكّد ثوابت التاريخ: فلسطين للفلسطينيين...	د. إبراهيم خلايلي	62
مرتكزات الصمود في مواجهة بروتوكول الابادة الصهيونية	د. وائل الزريعي	64
"طوفان الأقصى": خطتنا ما بعد إعلان هزيمة الكيان	د. خالد حدادة	66
عودة الشاهد والشهيد	د. العادل خضر	69
دور الإعلام في الحرب الوطنية الفلسطينية	محمد شريف جيوسي	71
سيمفونية المدافع.. وتحولات الذات	ناهـض زقـوت	73
ملحمة طوفان الأقصى مآزق الكيان الصهيوني وانتصار المقاومة المحتوم	نبيل فوزات نوفل	75
طوفان الأقصى زلزلة الواقع وزلزلة المفاهيم	يوسف كفروني	78
طوفان الأقصى وقراءة في المخططات والسيناريوهات الأميركية	محمد أبوشريفة	81
هل ترسخ معركة طوفان الاقصى الوحدة الوطنية؟	موسى جرادات	83
تركيا وطوفان الأقصى مواقف تشعلها العواطف وتحكمها حسابات المصالح	حسن الطهراوي	85
معركة طوفان الأقصى في السياق الاستراتيجي	عليان عليان	87
قيادة الطوارئ الفلسطينية المؤقتة بين الواقع والطموح	محمد حسين	90
محور المقاومة إلى أين؟	مسعود أحمد	91
العدوان الصهيوني على غزة والإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني	هيثم حميدة	92
٧ أكتوبر: تحول عسكري استراتيجي يفقد إسرائيل وظيفتها وضرورتها الإمبريالية	إسحق أبو الوليد	93
معركة طوفان الأقصى – مقدمات وآفاق	سعيد خليل	94
من روتينٍ سياسي وإعلامي باهت إلى صدارة الأحداث العالمية	نبال عمر	95
طوفان الأقصى وسرديات الزمن القادم ...	أحمد علي هلال	97
وصية غسان كنفاني من غزة	ماجدة حمود	99
حين يقول غزاوي للإنسانية كفى	تغريد عبد العال	101
كيف تعامل الأدب المقاوم مع جرائم الاحتلال الاسرائيلي	تغريد بو مرعي	102
انقلاب المعادلة المقاومون وحدهم يرسمون النهايات	مصطفى المقداد	103
الفن الفلسطيني في مواكبة الحقيقة التثوير.. وبث الأمل	محمود خليلي	104
الصورة كسلاح فعال في معركة طوفان الأقصى	موسى مراغة	107
معركة طوفان الأقصى العائدون من حالة الشوك إلى حالة القرنفل	حمزة البشتاوي	109
طوفان الأقصى من منظور ثقافي	علي العقباني	111
أراك غزة	إدريس علوش	113
قصائد للقدس	سيدة نصري	114
دادائيّة فلسطينية..	المتوكل طه	116
بين زمنين	د. فاروق اسليم	118
غزة أجمل مدينة في العالم	بلال المصري	119
لوبي "هرماجيدون"	حميد سعيد	120
غزة هاشم... ولا هاشم	محمد قجة	122
التاريخ يبدأ من غزّة	نـذيـر جعفر	123
أحلام مؤجلة	هناء عبيد	124
قل لي.. يا أبي؟	د.حسن حميد	125

العودة إلى الفهرس

لانطلاقة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

دور الشتات الفلسطيني في مواجهة المؤامرات التي تستهدف قضيته الوطنية..

والثورة والتحرير طريقاً وحيداً لضمان عودة اللاجئين

■ عمر مراد
عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية
لتحرير فلسطين/مسؤول قيادة الخارج

تجاوز تعداد الشعب الفلسطيني في آخر الإحصائيات الـ14 مليون فلسطيني، نصفهم يعيش على أرض فلسطين التاريخية، 3.3 مليون في الضفة الغربية و القدس ، 2.3 في قطاع غزة، 1.7 في الجزء المحتل من فلسطين عام 1948.

وتبلغ نسبة اللاجئين في غزة 65% إلى 70%، وفي الضفة من 30 إلى 35%، ونسبة المهاجرين من القرى المدمرة في أراضي الـ 48 ولايستطيعوا العودة إلى قراهم المحاذية لأماكن سكنهم 10% تقريباً وكل ذلك حصل إثر اغتصاب فلسطين وحرب الإبادة والتطهير العرقي ومئات الجرائم والمجازر التي ارتكبتها العصابات العنصرية الصهيونية بحق شعبنا الفلسطيني، والتي نتج عنها أيضاً تهجير رهيب ودامي وممنهج لمئات الآلاف من الفلسطينيين، أي ما يزيد عن 800 ألف فلسطيني إلى البلدان العربية المجاورة. جاء بعد ذلك عدوان وهزيمة حزيران 1967، لتستكمل عملية التهجير هذه لتشمل أيضاً مئات الألاف من الفلسطينيين والسوريين من الضفة الغربية والجولان إلى الأردن وسورية.

واليوم يتجاوز عدد الفلسطينيين خارج فلسطين التاريخية الـ7 مليون وأكثر من نصفهم يعيشون في بلدان الطوق، وخاصةً في الأردن وسورية ولبنان، عدا عن عشرات الآلاف المقيمين في مصر وبلدان المغرب العربي، ومئات آلاف الفلسطينيين المقيمين في السعودية والعراق ودول الخليج وتركيا وفي أوروبا والأمريكيتين.

واجه الفلسطينيون في الشتات وخاصة في المخيمات الفلسطينية وأماكن اللجوء الأخرى كل أشكال التحديات والمعاناة ومرارة النكبة والتهجير القسري على كل المستويات الحياتية والمعيشية كالسكن والمأوى والغذاء والعمل والصحة والتعليم، والكثير من مظاهر التنمر والابتزاز والاستغلال. رغم كل المساعدات والهبات والتبرعات التي يقدمها المجتمع الدولي عبر هيئة الأمم المتحدة ووكالة «الأونروا» أو من الدول العربية والكثير من دول العالم لم تكن لتسد الحاجات الأساسية للاجئين، ولم ترق لمستوى التخفيف من أوجاعهم وحالة البؤس والخذلان والإحباط التي حلّت بهم.

أدرك الفلسطينيون من الأيام الأولى حجم المؤامرة التي تعرضوا لها وكذلك خطأهم التاريخي بترك بيوتهم وأراضيهم مرغمين خوفاً على الأرواح والأعراض، إلا أن القيادات الفلسطينية في تلك المرحلة لم تتنبه ولم تنبه لمخاطر خطة التهجير الصهيونية ولأضرار هذا الموقف العفوي لعامة الناس. بدأت تعبيرات الغضب ورفض للاجئين لنتائج الجريمة الكبرى ومؤامرة النكبة وما حل بهم خارج وطنهم، وبات لسان حالهم يبوح بعبارات؛ الموت ولا المذلة، والأرض هي العرض، والوطن هو الكرامة والتحرير طريق العودة.

بقدر ما أصاب شعبنا من قتل وتهجير ومعاناة، أصابه الخذلان من الأنظمة والجيوش العربية التي حشدت قواتها وسرعان ما انسحبت تجر العار والهزيمة رغم كل وعودها بإعادة اللاجئين إلى ديارهم بأسرع وقت ممكن.

في ظل هذه الظروف السياسية والحياتية وكل أشكال المعاناة بدأ يتنامى الشعور الوطني وقيم الارتباط بالأرض والوطن وضرورة الثورة والتحرير طريقاً وحيداً لضمان عودة اللاجئين.

بدأت الطلائع الوطنية والثورية تتحرك وتعمل على تعبئة وتنظيم وتأطير الجماهير الفلسطينية تحضيراً للثورة ومعارك التحرير باعتبار ذلك هو الرد على اغتصاب فلسطين، والنكبة، والتهجير والرد أيضاً على مؤامرة التوطين وطمس الهوية الفلسطينية، تأسست حركة القوميين العرب وحركة فتح وكتائب الفدا وأبطال العودة وشباب الثائر وجبهة تحرير فلسطين وقوات التحرير الشعبية وثم منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير الفلسطيني، ورافق كل ذلك العديد من الأطر النقابية الطلابية والعمالية والنسوية وكذلك الكتّاب والأدباء والمحامين والمعلمين والأطباء والمهندسين في أكثر من بلد ومدينة إلى أن اعتمدت منظمة التحرير الفلسطينية تاريخ 1965/1/1 رسمياً بداية انطلاق الثورة الفلسطينية المعاصرة.

سبق ذلك إعلان المنظمة عن الميثاق القومي الفلسطيني عام 1964، والذي تعدل لاحقاً عام 1968 وبات اسمه كما هو معروف اليوم بالميثاق الوطني الفلسطيني وفيه خلاصة الرواية والسردية الفلسطينية ومبادئ ومنطلقات الكفاح الوطني والثوري الفلسطيني.

بات الشعب الفلسطيني والهوية الفلسطينية حقيقة موجودة معمّدة بالدماء والتضحيات عصيّة عن الشطب والإلغاء والطمس أو الإلحاق، وباتت منظمة التحرير الفلسطينية بميثاقها الوطني وبرنامج الإجماع الوطني هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني باعتراف كل دول العالم، ويكاد يكون ذلك هو الإنجاز السياسي الأبرز لكفاح الشعب الفلسطيني.

واليوم أصبح استرداد المنظمة واستعادتها لمكانتها ودورها الكفاحي بشراكة الكل الوطني الفلسطيني هدفاً تفرضه حجم

التحديات والأخطار لمواجهة مايتعرض له شعبنا من مؤامرات لتصفية قضيته الوطنية والتي لن يكون آخرها ما نتعرض له اليوم في غزة من حرب إبادة وتطهير عرقي، وأخطار التهجير من غزة إلى مصر، ومن الضفة إلى الأردن، عدا عن عمليات التهويد والاقتلاع في القدس وحتى في أراضي الـ 48. إن تواطؤ النظام الرسمي العربي، وبؤس السياسة الرسمية الفلسطينية، لن تستطيع تغيير حقائق الصراع مع العدو الصهيوني وطبيعتها الموضوعية، خاصة في ظل أعتى الحكومات الصهيونية الفاشية والمتطرفة، وانكشاف مخططاتها لإبادة واقتلاع الشعب الفلسطيني .

نشهد اليوم بأن الصراع والتناقض مع الكيان العنصري الفاشي وصل إلى ذروته ، فمن الغباء أو الشبهة أن يعتقد البعض بإمكانية التسوية أو التعايش معه.

فالصراع طبيعته تناحرية ووجودية، وواهم من يعتقد أن هناك حلول وسط أو أي شكل من أشكال التسوية معه.

إن الصراع مع العدو الصهيوني هو صراع وطني وتحرري بامتياز، والشعب الفلسطيني واحد وموحد في رؤيته لحقيقة الصراع وطبيعته وجوهره مهما كان الفلسطينيون موزعين ومشتتين، فالأهداف الوطنية واحدة وربما تتبدل وتتغير أشكال النضال حسب الظروف المحيطة سواء كانوا في المخيمات أو في الدول المستضيفة لهم إن كانت عربية أو أجنبية، والصراع مع العدو الصهيوني هو صراع تاريخي وشامل ومفتوح.

إن تمكين الفلسطينيين أينما تواجدوا وخاصة في الخارج من كامل حقوقهم المدنية والإنسانية، يمكنهم من توجيه جل طاقاتهم باتجاه حماية المشروع الوطني الفلسطيني، وإن أي إنتقاص لهذه الحقوق لا يمكن فهمه إلا شكلاً من أشكال التمييز والإقصاء والحرمان من الحياة الكريمة الطبيعية وبالتالي التضييق والحد من نشاطهم الاجتماعي والوطني.

إن الحفاظ على الهوية الوطنية يعزز الانتماء إلى القضية وللمشروع الوطني الفلسطيني ويؤسس لوحدة وطنية متجذرة أساسها ما ورد في الميثاق الوطني الفلسطيني وما أكدته حقائق التاريخ والجغرافيا وما جاءت به الرواية الفلسطينية وما تناقلته الأجيال منذ آلاف السنين من الموروث الحضاري والثقافي والاجتماعي.

يمتلك الشعب الفلسطيني كل الحق بالنضال والكفاح بكل الأشكال المتاحة وعلى كل المستويات الحضارية والاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية والإعلامية، ولما كانت طبيعة الصراع مع العدو تناحرية فمن حق الشعب الفلسطيني أن يقاوم ويقاتل هذا الاحتلال أينما كان ذلك ممكناً وخاصة على أرض فلسطين أو عبر الحدود العربية المتاخمة لها. فالهدف أولاً وأخيراً هو تحرير فلسطين وعودة اللاجئين إلى وطنهم وديارهم وممتلكاتهم التي طردوا منها.

إن تنظيم وتأطير الفلسطينيين بالرغم من التنوع السياسي للأحزاب والتنظيمات والفصائل الفلسطينية هي مهمة وطنية لحشد كل الطاقات والإمكانيات لتحقيق الأهداف الوطنية، إن صيغ وأشكال التأطير عديدة ومتنوعة فهي ليست حزبية أو فصائلية فقط، فهناك التأطير النقابي والجالوي والهيئات والجمعيات والمؤسسات الوطنية الاجتماعية والثقافية والحقوقية وغير ذلك، وهذا كله يصب في خدمة النضال والكفاح الوطني الفلسطيني.

إن كشف حقيقة الصهيونية باعتبارها حركة رجعية وعنصرية للرأي العام العالمي ومحاربتها وعزلها عبر تحالفات وعلاقات ومنابر عربية وأممية هي مهمة ثورية من الدرجة الأولى، ولما كان الكيان الصهيوني قائماً بالأساس لتأدية الدور الوظيفي الاستعماري وقاعدة عسكرية استراتيجية لخدمة مصالح ومشاريع الهيمنة الإمبريالية وسيطرتها على مقدرات وثروات منطقتنا ، يصبح التعاون والتحالف مع كل القوى الوطنية المناهضة للإمبريالية أمراً ضرورياً وموجباً وهذا ما نراه متجسداً بآليات عمل مادية على الأرض وفي الميدان في معظم بلاد ودول العالم من خلال حركات الـ BDS وحملات المقاطعة الشاملة للكيان الصهيوني وداعميه وما تحققه من نجاحات وانتشار في البلدان العربية والأجنبية وكذلك ما شكلته منظمات وجبهات مقاومة التطبيع معه ، لقد شكل ذلك سلاحاً فعالاً على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية وغير ذلك.

سجّل الفلسطينيون عموماً والمخيمات بشكل خاص الحاضنة الشعبية العميقة للثورة الفلسطينية المعاصرة منذ انطلاقتها وحتى يومنا هذا، وقدّموا التضحيات الجسام، ولا زالوا مستعدين لتقديم المزيد والمزيد وفقاً لمقتضيات الكفاح المتواصل للشعب الفلسطيني وبحسب ظروف كل ساحة وكل بلد.

رغم انتقال مركز الثقل للثورة الفلسطينية إلى الداخل المحتل وخاصة الضفة والقدس وغزة، وانحسار الثورة العلنية المسلحة في الخارج، إلا أن الدور الملقى على عاتق الفلسطينيين في الخارج يبقى رئيسياً أيضاً ويأخذ أشكالاً أخرى من النضال إلى أن تتوفر التغيرات الضرورية في المنطقة العربية التي تتيح للجماهير الفلسطينية والعربية ممارسة حقهم في قتال العدو الصهيوني.

إن معادلة الخارج أساس في مرحلة معينة ثم الداخل هو الأساس في مرحلة أخرى تفرض علينا اعتبار الشعب الفلسطيني هو الأساس في كل المراحل، ويجب الحشد والتوظيف لكل طاقاته وقدراته في معركة التحرير والمصير، دون الاستخفاف أو التهميش لأي تجمع فلسطيني يتواجد في أي من دول العالم.

إن المشاركة الحقيقية للشعب الفلسطيني في رسم وتحديد مستقبله وصولاً لتحقيق أهدافه الوطنية، لا تتوقف عند ما تقرره النخب السياسية وما تفرضه المحاصصة الحزبية أو الفصائلية على أهمية دورهم الوطني والكفاحي، بل في تمكين الشعب من اختيار ممثليه للمؤسسات المختلفة الشعبية والمحلية والسياسية وكذلك المستويات القيادية الفلسطينية في إطار منظمة التحرير الفلسطينية رغم كل المصائب والوهن والضعف التي حل بها وفي كل مؤسساتها نتيجة التفرد والهيمنة وتغليب الخيارات السياسية والمصالح الفئوية على المصالح الوطنية العليا، وكذلك سياسة الإقصاء وتغييب دور الشعب وأطره الشعبية الفاعلة وأحزابه وفصائله وقواه الوطنية المختلفة.

إن مشاركة أبناء شعبنا في الداخل كل الداخل وفي الخارج يجب أن تكون مشاركة حقيقية وفاعلة، ونحرص على تطويرها باستمرار وصولاً للارتقاء إلى مستوى التحدي وحجم التضحيات وهذا هو الشرط الضروري للانتصار الكبير وتحقيق أهداف شعبنا في التحرير والعودة.

عبور النصر المُعجّل إلى النصر المؤجّل

■ مروان عبد العال

روائي وعضو المكتب السياسي
للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

حين وصف ماركس انتفاضة كومونة باريس بـ«مقتحمي السماء»، كمبشرٍ نبيل وأمل جديد بالنصر القادم، يتماهى التوصيف مع النموذج البطولي في السابع من أكتوبر الفلسطيني. شعب أسطوري استشهادي يعانق السماء وتحت راية مقاومة خفاقة ضد الاحتلال ومخططاته الاستعمارية والرأسمالية العالمية الشرسة. فكان" طوفان الأقصى» قيمة نوعية مضافة من تراكم التجربة الكفاحية الطويلة بكل أنواعها القومية واليسارية والإسلامية التي تصب جميعها في مسيرة النصر والتحرير.

تحقق النصر المعّجل

قد يسهل على شعب يرزخ تحت الاحتلال التفكير بحريته، ليحقق بضربة استراتيجية نصراً معجلاً، فمن تجرأ على مثل هذا النصر؟ وهذا غير مسموح بالمنطق الاستعماري، ولكن المشهد الملحمي في غزة، قلب الصورة مؤكداً أنه يمكن أن ننتصر، قولاً وعملاً، فكراً وممارسة وبالوعي والدم والحلم والواقع. هذا قد تحقق النصر مسبقاً، منذ الضربة الموجعة التي تلقاها الكيان، وأربكت جميع حساباته، وهزمت عمق الكيان وضربت معنوياته، ففقد الإحساس بالأمان وانهيار أسطورة الردع في ساعة واحدة، أدت إلى قناعة الجميع أن الاستقرار يحتاج أولاً وأخيراً إلى عدم تجاهل الحقوق الوطنية الفلسطينية، وأن الشعب الفلسطيني وضع أمام أمرين لا ثالث لهما: إما قبول التحدي للمعركة، وإما الاستسلام دون معركة. فأكد بالدم أنّه مصمم على استعادة حقوقه كاملة، ومستعد أن يقدم عظيم التضحيات من أجلها.

محو صورة النصر

إن كل الذي يفسر الجنون الصهيوني/ الأطلسي الغربي كردة فعل انتقامية لمحو صورة النصر ومحاسبة من «اقترف» النصر الأكتوبري؟ النصر المُعجّل قد تحقق في السابع من اكتوبر، والنصر المؤجل قادم في اللحظة التي نحمي فيها النصر. وما بينهما يتحقق فرضية النصر الحاسم.

لذا أجازت الولايات المتحدة للعدوان ما أسماه زوراً «حق الدفاع عن النفس» وبالإبادة!! واستلهم قادة الكيان فكرة تدمير الخطر بأسلوب قنبلة "هيروشيما» لتحرق الشجر والحجر والبشر، وهذا بحد ذاته ليس نصراً إنما هزيمة مجلجلة للعدو وانتصار على شرعية وجوده، بدأ يدفع ثمنها من رصيده العسكري والأخلاقي والقانوني، وإن كان الثمن باهظاً ومنذ إعلان مسلسل الهدنة الذي أجبر عليها، عدد الشهداء يزداد كل دقيقة تختلط اشلاء النساء والطفل مع حطام المنازل. أكثر من 60% من مباني القطاع تضررت بسبب القصف. جيش مدجج بأفظع أسلحة البشاعة وبالحماية الاستعمارية الامريكية تقوم بإعدام علني لكل الطواقم الطبية، والدفاع المدني والجسم الصحفي وبالنسبة المئوية 4٪ الى 4.5٪ من سكان قطاع غزة بين شهيد وجريح ومفقود ذلك حسب ما تم إحصاؤه حتى الآن. كله عقاب لمن حاول وتمنى وحلم وصفّق للانتصار

حسم الصراع

لقد انكشف الوجه القبيح للغرب الإمبريالي والذي يستخدم الكيان الصهيوني كركيزة في منظومته وكمخلب قط لتخليد تبعيتنا وهزيمتنا وتخلفنا، ولتدعيم مصالحه التحالفية الاستعمارية وصياغة المعادلة السياسية في الإقليم وبحرب إبادة قوية تصدم الوعي العربي وتحقق تغييراً مأمولاً في الواقع وترمم ولو جزئياً صورة التفوق للاحتلال

سقطت صورة «السوبرمان» للجندي الصهيوني كنتاج أولي سيتصاعد مع تطور الأوضاع الميدانية ومديات الحرب ومستوياتها ونتائجها الفعلية، وسيكون لها ارتدادات كبيرة على صعيد السياسات الفلسطينية والسياسات الصهيونية والإقليمية وأولويات الأجندة الدولية.

في "تغيير قواعد الصراع"، بما يتناسب ومعطيات الميدان، نحن أمام عدو تشكل «الإبادة» أساس في فكره الصهيوني

التلمودي، لقد قام وجوده على قاعدة نفي الفلسطينيين من أرضهم وبقتل أكبر عدد ممكن منهم وتهجير ما تبقى.

إن خطة «حسم الصراع» الصهيونية التي هي الاسم المرادف «لتصفية القضية» والتي تطالب جهاراً بالترانسفير، لذلك باتت تُشّكل تحدياً سياسياً طويل الأمد ولمصر والأردن كذلك، واستهدافهما في عملية الترانسفير الموهومة. كما أن البحث عن فرصة للقيام بالترحيل القسري في غزة لا يستبعد منها الضفة الغربية، كانت قد مهدت لها بمشاريع الضم والاستيطان وبتآكل مبرمج للمؤسسات الفلسطينية المركزية، مما يؤدي إلى نشوء حالة فراغ يسعى لسده عبر أدواته.

كذبة اليوم التالي

كالعادة، كل هجوم عسكري يرافقه هجوم سياسي، على افتراض أن للحرب هدف سياسي! كما يرى كلاوزفيتز أن الحرب: «هي امتداد للسياسة بوسائل أخرى». فسؤال ماذا عن اليوم التالي؟ هو سؤال مبني على كذبة أن للحرب نهاية وأن جيش العدو هو من يحدد شكل النهاية، وعلى افتراض الهزيمة، بغية فرض الوصاية على شعبنا ونزع قراره الوطني دون تحرك حقيقي يرقى لمستوى التصدي لهذا المسعى الخطير. وحقيقة «اليوم التالي» لم يتحدث عنه كثيراً بيني غانتس لكنه في معرض حديثه كان مصيباً عندما قال: في هذه الحرب ليس هناك اليوم التالي، هناك عملية طويلة وصعبة وضرورية، بدرجات متفاوتة من الشدة. أيامًا وشهورًا وسنوات»، بمعنى أن اليوم التالي كما يتضح هو سيطرة أمنية أقرب للنموذج القائم حاليًا في الضفة الغربية، إذ تسيطر «إسرائيل» أمنيًا بشكل كامل على الضفة. يعني أن الحرب مستمرة باشكال مختلفة ووفق مراحل، وما بينها استراحة محارب، في هذه الحرب الكيان يتعرى بالكامل، بعد هذا المنسوب العالي من المذابح، وان توقفت الخرب هل ستتوقف كراهية هذا الكيان؟ بل سيولد جيلًا أكثر حقدا وكراهية للاحتلال وأكثر تصميماً على مواصلة النضال. جيل يتمنى لهذا الكيان أن يختفي. وسيظل عالقاً في الأذهان أمنية وزير التراث في الحكومة الصهيونية «عميحاي الياهو» من حزب الصهيونية الدينية، عندما طالب بتدمير غزة بسكانها من خلال إلقاء قنبلة نووية عليها، بعد هذا كيف بمقدور الحركة الوطنية الفلسطينية ان تقبل بوجود الاحتلال؟ وبالتالي فإن أي حل يبنى على مقولة اليوم التالي سيكون هناك يوماً آخر يليه، لقد انتهى زمن الحل الذي يبنى من موقع البطش والمجازر والتطهير والابادة.

حرب الشعب الطويلة الأمد

لأن إيماننا راسخ باستراتيجية حرب التحرير الشعبية الطويلة الأمد طريقاً ومبدأ للتحرير. حرب الشعب الطويلة الأمد، من اكثر الجمل التي رددها الدكتور جورج حبش وإن «خط العنف الثوري المنظم سيبقى هو الخط الأساسي في مواجهة معسكر العدو».

هذا هو موقعنا الأصيل في المقاومة كشركاء في الطلقة والدم والخندق، والأجنحة العسكرية المقاتلة ومنها كتائب الشهيد أبو علي مصطفى تقاتل جنباً إلى جنب مع جيش الشعب المقاوم في القسام والسرايا وأجنحة، متجاوزين معتقداتهم العقائدية والأيديولوجية في سبيل معركة التحرر الوطني والدفاع عن الوجود، حيث تتسع معركة اليسار في شوارع وأحياء ومدن قطاع غزة وعند مداخل المخيمات، وعلى أكثر من محور قتالي في شمال وشرق وغرب ووسط القطاع، حتى ساعة سريان الهدنة، بقيت مدافع الهاون تطلق قذائفها من الأعيرة المتوسطة والثقيلة، تطلق بشكل شبه يومي على تجمعات وآليات العدو. والتي رافقتها بعمليات عسكرية في مخيمات ومدن الضفة المحتلة، التي تواجه جيش الاحتلال ومستوطنيه بشكل مستمر. وكذلك المقاومة الاجتماعية على الجبهة الداخلية، في مدارس النازحين ودعم صمود الجماهير من المأوى إلى الملبس إلى لقمة العيش والطبابة وتضميد جراحاتهم ومواساتهم وتدعيم وضعهم النفسي والمعنوي والمادي. وكما قالت امرأة فلسطينية تطهي على نار الحطب: نحن لا نحب الحياة فقط بل نصنع الحياة!

وفي معركة السرديات التي لا تقل أهمية عن المقاومة العسكرية، يتصدر اليسار مواجهة الهيمنة الثقافية الإمبريالية في عواصمهم وكل أنحاء العالم، واعتبرت معركة نزع الشرعية عن «إسرائيل» وفي هذا السياق كتب الباحث السياسي «الإسرائيلي» إيهود روزن في مقالة نشرها موقع معهد دراسات الأمن القومي الصهيوني. «هؤلاء ناشطون في منظمات المجتمع المدني، يتبعون أجندات واضحة معادية للغرب تحت ستار تعزيز حقوق الأقليات، ضمن منظمات يسارية متطرفة، بما فيها الهيئات التي تدعم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وتعمل جنباً إلى جنب مع منظمات الإسلام السياسي».

كيف ننتصر؟

قراءتنا للوحة الصراع ومسرح العمليات ونتائج ملحمة الصمود والشرف والبطولة، وضعتنا كيسار أمام سؤال يتعلق بالنصر الاستراتيجي: هو النصر الذي ينتهي بتحطيم قوات العدو وشل قدراته بحيث يصبح عاجزًا عن مواصلة القتال، أو ما السبيل لحماية النصر التكتيكي الذي تحقق بالتضحيات العظيمة؟ حتى لا يتمكن العدو الصهيوني بحكومته المتطرفة الحمقاء من تحقيق نصر حاسم على المقاومة، أو تسعى لتحقيق نصر استراتيجي، ليعلن أنه حقق أهداف الحرب، لينتقل إلى المعركة السياسية، لأخذ ما فشل عن تحقيقه في الميدان، ومنها خلق أمر واقع الغرق في مخلفات الحرب بما لا يسمح بممارسة المقاومة.

ما بعد السابع من أكتوبر ليس كما قبله، مقولة تفرض المسؤولية الوطنية والأخلاقية، ولكن كيف نترجم ذلك؟ النصر الاستراتيجي للمقاومة يتمثل في الاحتفاظ بقوتها وقدرتها على تهديد العدو وتثبيت وضعيتها السياسية وشرعيتها وإفشال العدو ومخططاته. بحماية النصر المعجل والمحقق ومنع العدو من تحقيق هدف الحرب. وهذه مسؤولية كل المكونات والقوى الوطنية، في استنهاض القدرة الوطنية الشاملة لإسناد هذا النصر الملحمي، ويؤكد على برنامج المقاومة وحقوق شعبنا غير القابلة للتصرف أو المساومة، وبإنهاء الاحتلال فوراً، وممارسة شعبنا لحقه في تقرير مصيره وحق العودة وبناء دولته الوطنية الحرة وعاصمتها القدس.

رؤيتنا لحماية النصر:

أولاً: إن العدوان يستهدف الكل الفلسطيني وليس فصيل بعينه، وتصفية الشعب الفلسطيني وليس فقط تصفية قضيتنا وحقوقنا. فالخطوة المقترحة كضرورة وطنية تشكيل قيادة طوارئ وطنية ميدانية تتصدى للمهام العسكرية والسياسية. والاشتباك المجتمعي في كافة الساحات في مواجهة هجمات جيش العدو ومستوطنيه، ومايتطلبه لإدارة عملية التصدي لجنود الاحتلال والمستوطنين.

ثانياً: العمل على إقامة جبهة عربية مساندة للمقاومة الفلسطينية ومناهضة للتطبيع. وموضوع جبهة المقاومة العربية الشاملة، طالما ان العدوان يستهدف المنطقة من خلال غزة تمهيداً لاعادة صياغتها بالمنظور الامبريالي الصهيوني لذلك واجب فصائل حركة التحرر الوطني العربي استنهاض دورها والقيام بواجبها.

ثالثاً: العمل على قيام جبهة عالمية مناهضة للصهيونية النازية وإعادة العمل بقرار الأمم المتحدة باعتبارها حركة عنصرية. تعمل على مطاردة قادة العدوان مرتكبي الإبادة الجماعية وملاحقتهم عالمياً واسقاطهم ومحاكمتهم اخلاقياً وقانونياً لأننا نجرؤ على النصر، علينا واجب حماية النصر، هذا برسم مقتحمي السماء، وحسب قول مهدي عامل «لست مهزوماً ما دمت تقاوم» إنها المحاولة الأولى التي أطلقتها المقاومة الفلسطينية على درب الانتصار، وتحرير الأرض وتحطيم الاستيطان، يحتاج تحرير الإرادة والإنسان والوعي.

الحقد الصهيوني ينفجر في وجه الأسرى

■ أحمد أبوالسعود

أسير محرر وعضو المكتب السياسي
للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

منذ عام 1967 شرع الاحتلال الصهيوني باعتقال العشرات والمئات من أبناء شعبنا استناداً إلى قوائم ووثائق تركها الجيش الأردني في الضفة الفلسطينية، وبعد أن اندلعت المقاومة الفلسطينية تزايدت أعمال الفدائيين بعملياتهم البطولية من خارج حدود فلسطين، وتجاوباً مع الثورة قام أبناء شعبنا بعمليات عسكرية وجماهيرية وأنشطة معادية للاحتلال مما أوقع المئات بالاعتقال، وتعرض المعتقلين إلى أنواع وحشية من التعذيب والتنكيل فاقت ما مارسته المخابرات في دول عديدة.

ولكن من مقارنة بسيطة بين أساليب القمع والتعذيب ما بعد حرب الـ67 وما بعد معركة طوفان الأقصى، نجد أن ردة فعل الاحتلال هذه الأيام لا يضاهي أي وحشية بالعالم، فقد تفوقوا على النازية وكل مجرمي الحرب في العالم، إنهم يتلذذون على مناظر قتل الأطفال وعمليات القتل الوحشية بصفوف أبناء شعبنا، وهذا ليس تقديراً وإنما شاهدنا فيديوهات لقيادات صهيونية تشير إلى ذلك، ومنهم من طالب بضرب غزة بالقنابل النووية أو إغراقها بالبحر أو سحقها وتسويتها بالأرض، عدا عن تدمير أكثر من 60% من المباني على رؤوس أصحابها، وسحق البشر تحت عجلات الجرافات ودفنهم أحياء، باختصار فهم تغنوا بالإجرام والقتل وهذا مع أبناء شعبنا في غزة والضفة، فما بالنا بمن هم مقاتلون في زنازين العدو؟!

فكل من كان يعمل في داخل فلسطين المحتلة عام 1948 من قطاع غزة تعرض للاعتقال سيما من لم يهربوا، وقد لاحق الاحتلال من هربوا من العمال في الضفة واعتقلوهم ومارسوا حقدهم ضدهم، فتركوا للأيام مشبوحين لا طعام سوى وجبات التعذيب والتحطيم وبعضهم تم قتلهم إما تحت الضرب أو جوعاً أو مرضاً، وبعضهم مازال يعيش أصناف العذاب، فقد سيطر على الاحتلال هوس الانتقام من كل شيء ينتمي لما هو فلسطيني، وهناك شهادات لكبار بالعمر ممن تعرضوا لصنوف العذاب.

وهناك من اعتقلتهم قوات الاحتلال من مناطق في قطاع غزة، لهم شهادات عن ممارسات الجنود حيث فصلوا النساء لجانب والرجال للجانب الآخر، وقيدوهم بالأصفاد وراء ظهوره دون طعام أو مياه ولا حمام فقط ينهالون عليهم بالضرب في كل وقت، ثم أخذوهم في شاحنات لمكان بارد ويسكبون عليهم المياه الباردة، ومكثوا معصوبي الأعين، ودون طعام، حتى أنهم كانوا يلقون الخبز ولا يعطونه للمعتقلين، طوال الوقت كانوا معصوبي الأعين، ورؤوسهم للأسفل، وبعد قرابة الشهرين ألقوا بهم على الحدود المصرية فمشوا إلى معبر رفح ومنه إلى

المشفى وهم في حالة من الرعب وبقايا حياة.

ولأن شعبنا واحد نتأثر بما يصيبنا فقد تزايدت أعمال المقاومة بالضفة الفلسطينية بعد الانتصار الذي تحقق في السابع من أكتوبر للمقاومة الفلسطينية، وهذا يعني أن جبهة القتال اتسعت لجانب قطاع غزة وهذا شمل مدن وقرى ومخيمات الضفة إلى جانب شمال فلسطين. فما كان من الاحتلال إلا أن أقدم على اعتقال العشرات يومياً مستنداً إلى سجلات من اعتقلوا أو من حرضوا على الاحتلال، طبعاً وكل من له صلة بالمقاومة وضد الاحتلال حتى وصل العدد إلى قرابة الخمسة آلاف ما بعد السابع من أكتوبر من الضفة.

صحيح أن تبادلاً للأسرى قد أنجز وتحرر خلاله قرابة150 من الأطفال والنساء، ولكن الاحتلال أقدم على اعتقال أكثر من 160 من النساء و260 من الأطفال وأكثر من 46 صحفياً إلى جانب أكثر من 2345 معتقلاً إدارياً.

أما من ارتقوا شهداء بالضفة أعدادهم بالمئات، وهذا ما يؤكد أن الضفة ساحة اشتباك تآخي غزة وجنوب لبنان، ويضاف ستة شهداء من الأسرى في سجون العدو جراء القتل العمد والشهداء الأسر هم (عمر دراغمة من طوباس، عرفات حمدان من رام الله، زقول من غزة، عبد الرحمن مرعي من سلفيت، ثائر أبو عصب من قلقيلية، وسادس لم تعرف هويته) وهذا يدلل على دموية الاحتلال وأكثر من أوقع بهم قتلى هم الأبرياء من الأطفال والنساء والعمال والمعتقلين، وأي كلام أو إحصاء للشهداء يكون فقط قريب من الحقيقة ولا يعكسها لأن حجم ونوعية الإجرام الصهيوني لا يضاهى.

ما قبل السابع من أكتوبر كان يقبع قرابة الـ 5300 أسير ومعتقل فلسطيني وعربي في سجون الاحتلال، وهم امتداد لأكثر من مليون فلسطيني مروا في غياهب السجون وزنازينها، ولا نجافي الحقيقة عندما نقول أن الأسرى على مدى نصف قرن ويزيد قد حولوا السجون إلى مراكز ثقافية ومدارس للبناء والتربية الوطنية والتعليم والتثقيف، وما يدلل على ذلك إعادة اعتقال من تحرروا من الأسر مرات عديدة.

في هذا دلالة على أن شعبنا مصمم على إدامة الصراع مع الاحتلال حتى نيل الحرية لشعبنا وأرضنا، وهاهم قادة الاحتلال يكشفون بعد السابع من أكتوبر أن صراعنا معهم صراع وجود، فإما أن نكون أو لا نكون، نحن أصحاب الأرض ومن سيبقى لأن الشعوب لا تهزم، بل الاحتلال هو من سيهزم ويزول.

من الحظ السيء للأسرى في السجون لم يتاح لهم مشاهدة بطولات لمقاومينا وهم يعلمون الاحتلال فنون بحرب العصابات ويوقعون فيهم الخسائر، لكن من حسن حظهم أنهم لم يشاهدوا نتائج الإجرام الواقع على قطاع شعبنا في قطاع غزة، حيث تجاوز أعداد الشهداء العشرين ألفاً والمفقودين ربما رقم يقارب ذلك.

من حق الأسرى كجنود ومقاومين للاحتلال دفاعهم عن القضية شعباً وأرضاً، وأن يكافح الشرفاء من شعبنا ومقاومينا لتحريرهم من القيود وقد طالت سنين اعتقالهم، والأسرى يحلمون بالحرية أولاً لفلسطين وثانياً لهم، لأن قضاء معظم سنين العمر خلف القضبان لا يعني في الحياة، ولكن الأسرى الفلسطينيون وجدوا أنفسهم مجالاً للنضال من خلال التعبئة الوطنية والتربية والتثقيف وتعميق الانتماء للأجيال التي يُفرض عليها أن تدخل السجون، وبالتالي فإن السجون باتت معاقل لتزويد المقاومة بالمقاتلين والقيادات والمؤمنين بالقضية والحرية لفلسطين.

مهما طال الزمن رغم ثقله على أهلنا، سواء امتدت الحرب لأيام أو أسابيع أو أكثر فسوف تتوقف في نهاية المطاف، وسوف تصل إلى مرحلة تبادل الأسرى، حيث لدى المقاومة العشرات من الجنود والضباط الصهاينة، ما يعني أن عملية التبادل ستتم حتماً، وقد أبدى الاحتلال استعداداً للشروع بالتفاوض، ولكن قيادة المقاومة تصرُّ على وقف إطلاق شامل ومستدام للنار، وسحب جيش الاحتلال من قطاع غزة ثم تتم عملية التفاوض، والمطلب الرئيس للمقاومة «الكل مقابل الكل» وعودة كل أسير أو معتقل إلى بيته، وإقرار دولي لضمانات حماية الأسرى بعدم اعتقالهم وترسيم ذلك بقرار من قبل مجلس الأمن الدولي وضمان دول ذو وزن وتأثير عالمي.

وهذا سوف يشكل التتويج لانتصار المقاومة في معركة طوفان الأقصى، وفي المحصلة لا يهم كيف يتم التفاوض، بل المهم أن يتحرر كافة الأسيرات والأسرى ممن هم قبل السابع من أكتوبر أو بعده.

وقد شرع المعنيين بالأمر بجمع قوائم الأسرى والمعتقلين لضمان تحريرهم، ولكن حريتهم لن تنسيهم ولن تنسينا ما تعرضوا له من تنكيل وقتل وجوع وحرمان وقهر من قبل المجرمين الصهاينة حيث فرض السجانون على الأسرى حياة عزل كامل، وحرموهم من التواصل مع العالم الخارجي وحتى الداخلي، فكل سجن مقسم إلى أقسام وكل قسم لا يعلم ما يجري في الأقسام الأخرى، وصودرت منهم ملابسهم وأغطيتهم وكل ممتلكاتهم من أجهزة كهربائية أو مواد غذائية من مشترياتهم الخاصة من «الكانتينا»، وحقوقهم بالخروج للفورة أو التواصل الاجتماعي مع الفرق الأخرى داخل القسم، وقد حرموا من الكتب والسجائر ويتم قطع الكهرباء عليهم معظم ساعات اليوم، وقطع المياه عنهم، ويترك السجان شبابيك الغرف مشرعة في ظل البرد والأمطار، فلا تدفئة ولا حمام ولا حقوق أبداً.

الأسرى يتعرضون لعقاب جماعي لكونهم فلسطينيون وأسرى وجزء من المقاومة، لكنهم سيحصلون على حصتهم من الانتصار بنيل الحرية، وسنشاهدهم بكل فرح وشعور عالي بالفخر وهم يتحررون ويرفعون شارات النصر، ويعانقون أهاليهم الذين شاركوهم رحلة العذاب الطويلة، ويلفهم شعبهم داخل فلسطين وخارجها بكل الحب والفرح، فنحن على أعتاب تحرير الأسرى كأحد أهداف معركة طوفان الأقصى، وعلى طريق تحرير فلسطين كاملة.

معركة طوفان الأقصى

وضعت قضية فلسطين على أجندة كل الشعوب

■ د. ماهر الطاهر

مسؤول العلاقات الدولية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

نائب الأمين العام للمؤتمر القومي العربي

عشيه معركة طوفان الأقصى بلغت ممارسات الاحتلال الاسرائيلي درجه غير مسبوقة من الإرهاب والاستيطان والاعتقالات وتدنيس المسجد الاقصى واقتحامه عشرات المرات وبدأ قادة الكيان يتحدثون عن حسم الأمور وأنه قد آن الأوان لتصفية القضية الفلسطينية والحقوق الثابتة للشعب الفلسطيني. تصاعدت العمليات العسكرية البطولية لشعبنا في الضفة الفلسطينية في جنين ونابلس والقدس واريحا وكل المدن والمخيمات الفلسطينية وتصدى شعبنا بكل شجاعة للممارسات الإجرامية للمستوطنين المسلحين الذين مارسوا كل أشكال الإرهاب ضد مدن وقرى الضفة الفلسطينية المحتلة وضد الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال فجاءت معركة طوفان الأقصى رداً على هذه الجرائم المتواصلة والتي توهم الاحتلال من خلالها أنه سيحسم الأمور ويضم الضفة الفلسطينية ويسيطر بشكل كامل على مدينه القدس.

فوجئ العدو الصهيوني وجيشه المدجج بكل أنواع السلاح بيوم السابع من اكتوبر 2023 والذي شكل نقطة تحول في مسار الصراع مع المشروع الصهيوني.

دخلت ملحمة طوفان الأقصى اليوم شهرها الرابع، أذهلت العالم كله وأذهلت البشرية بأسرها شعوبا وحكومات، وكانت مفاجئة بقوة انطلاقتها وما حققته من صدمة مروعة لجيش الاحتلال الاسرائيلي والولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية الاستعمارية. إلا أن الأبعاد والنتائج المترتبة عليها ستكون على جانب أعظم من المفاجأة التي حصلت يوم 7 من أكتوبر.

معركة وجود وصفحة مجد في تاريخ الشعب الفلسطيني والأمة العربية وأحرار العالم، جسدت ورسمت مشهداً أسطوريا من جانبين:

الأول: بطولات استثنائية لشعب يكافح بكل صلابة منذ قرن من الزمان، تعرض لأبشع المخططات والمؤامرات الاستعمارية التي شردته في كل أصقاع الأرض، والذي تعرض لمجازر متتالية عبر العقود الماضية، ومجازر غزة اليوم ليست رد فعل على طوفان الأقصى، بل هي امتداد وتتويج لمجازر سابقة اقترفتها الصهيونية على مرأى ومسمع من العالم أجمع، لكن شعبنا شعب التضحيات والشهداء لم يركع ولم يستسلم واستمر بالصمود والمقاومة جيلا بعد جيل، وكل جيل جديد كان أشد مراساً من الجيل الذي سبقه، وهذا ما وضع المشروع الصهيوني أمام مأزق وجودي حقيقي، لأنه كان يتوهم ويقول: بأن الكبار سيموتون والصغار سينسون وكان يقول بأنه جاء لأرض بلا شعب، لشعب بلا أرض، فماذا كانت النتيجة؟.

لقد وصل اليوم إلى نتيجة بأنه يواجه شعب يمتلك من الشجاعة والكرامة والشموخ والصبر ما لا يتحمله بشر، مات الكبار فيه، وهذه هي سنة الحياة، ولكن الصغار لم ينسوا وفاجأته الأجيال الجديدة بما لم يكن يتوقعه واكتشف أن الأرض التي احتلها بمؤامرة استعمارية ليست أرضا بلا شعب، بل وجد فيها شعب الجبارين وشعب المفاجآت، شعب متمسك بشكل أزلي بأرضه وترابه، ومصمم على تحرير هذه الأرض من بحرها إلى نهرها، لأنه يؤمن بشكل مطلق بأن لا شرعية لوجود هذا الكيان الوظيفي الاستعماري على أرض فلسطين.

– أما الجانب الثاني من المشهد الذي أظهرته معركة طوفان الأقصى، أنها كانت كاشفة للعورات، وكاشفة لكثير من الحقائق التي أصبحت حقائق ساطعة شاهدها العالم كله، ومن أهم هذه الحقائق:

أولاً: أظهرت هذه الملحمة أن لا وجود لقانون دولي وشرعية دولية نظرا للاحتقار التام الذي واجه به الكيان الإسرائيلي والإدارة الأمريكية العالم كله، واتضح بشكل لا لبس فيه أن القانون السائد في هذا العالم هو قانون شريعة الغاب وقانون الأقوى، وهذه حقيقة أظهرتها بوضوح تام دماء أطفال غزة ونسائها وشيوخها وشبابها، وتدمير قطاع غزة وهدم البيوت والمساجد والكنائس والمستشفيات، وهذه حقيقة سيكون لها آثارها الاستراتيجية في العالم أجمع في المرحلة القادمة.

ثانياً: أظهرت معركة طوفان الأقصى أن الكيان الصهيوني وجيشه الذي ادعو بأنه لا

يقهر أكذوبة كبرى، يمكن دحرها وقهرها وأن تحرير فلسطين إمكانية واقعية قابلة للتحقيق، وهذه حقيقة أكدتها الوقائع منذ أن تم تحرير جنوب لبنان عام 2000 دون قيد أو شرط، ومنذ انتصار تموز عام 2006، وحروب غزة المتواصلة، والتي توجت بمعركة طوفان الأقصى التي أكدت هشاشة الجيش الصهيوني وإمكانية قهره وإلحاق الهزيمة به.

– قطاع غزة محاصر منذ 18 عاما 6 كيلو ب6 كيلو، بقعة أرض صغيرة 360 كم 2 لا يدخله أي إمدادات ويتمكن من خوض حرب أسطورية دخلت شهرها الرابع.

فيتنام، حققت انتصارا عظيما ولكن كان لديها خطوط إمداد من الصين وروسيا والعديد من دول العالم – سلاح وذخائر غذاء، مساعدات، والجزائر حققت انتصارا عظيما ولكن كان لديها خطوط إمداد واسناد

-غزة المحاصرة صنعت معجزة تاريخية بكل معنى الكلمة بدون أي امدادات، صمدت وقاتلت، ولا زالت تقاتل وستستمر في القتال، والضفة الفلسطينية والقدس تخوض معركة بطولية وتقدم الشهداء يوما بعد يوم.

– لأول مرة في تاريخ الصراع، تمكن الشعب الفلسطيني بأن يكون لديه قاعدة فيها بعض السلاح والإمكانيات العسكرية المتواضعة، مقارنة بما يملكه جيش الاحتلال من أحدث أسلحة القتل والدمار، وعندما توفرت لشعبنا هذه القاعدة صنع شعبنا المعجزات، وبرهن أنه من الممكن هزيمة هذا الكيان وتمريغ أنف جيشه بالتراب.

– لا نريد من الدول العربية إدخال جيوشها، ولكن ألا يحق للشعب الفلسطيني أن يحصل على دعم من الدول العربية وإسناد وهو كفيل بمواجهة هذا الكيان المدجج بكل أنواع السلاح، وإلى متى ستستمر مواقف النظام الرسمي العربي بالتفرج على ما يجري من مذابح.

ثالثا: أظهرت معركة طوفان الأقصى أن العدو الأول للشعب الفلسطيني والأمة العربية هو الولايات المتحدة الأمريكية التي تقود المعركة وأعطت الكيان الإسرائيلي الرخصة الكاملة لممارسة حرب الإبادة والتطهير العرقي ضد الشعب الفلسطيني، وأرسلت أساطيلها وحاملات طائراتها وجنودها وحضر قادتها اجتماعات مجلس الحرب الصهيوني، لأنه لم يعد لديهم ثقة بأن قادة الكيان يستطيعون إدارة المعركة، واتضح تماما أن الكيان الإسرائيلي ليس إلا دمية و كيان وظيفي له وظائف لصالح الإمبريالية والدول الاستعمارية التي تستهدف السيطرة على الوطن العربي ونهب ثرواته ومقدراته، وعرقلة تقدمه ووحدته.

رابعاً: كشفت معركة طوفان الأقصى للرأي العام العالمي حقيقة الكيان الصهيوني وحقده وإجرامه ككيان فاشي – نازي لا يخوض حربا، بل يقترف جرائم حرب، ولم يتمكن من تحقيق أي إنجاز عسكري أو سياسي ولذلك لجأ إلى قتل المدنيين والأطفال والنساء وتدمير كل شيء في قطاع غزة. وكان من نتائج ذلك التحولات التي نشهدها على صعيد الرأي العام العالمي في أمريكا وبريطانيا وألمانيا وجيل الشباب في أمريكا بغالبيتهم باتوا يؤيدون الشعب الفلسطيني، وقامت مظاهرات كبرى في العواصم الغربية وفي الولايات المتحدة وهذا سيكون له انعكاسات على مستقبل كفاح الشعب الفلسطيني. وقد أظهرت نتائج استطلاع في أميركا أن 51% من الشباب الأمريكي بات على قناعة بأن حل قضية فلسطين يتطلب تفكيك الكيان الإسرائيلي ورحيله عن أرض فلسطين.

خامساً: لا شك أن الوضع خطير على أرض فلسطين في ضوء استمرار وتصعيد العدوان، وبات واضحا أن الهدف الحقيقي للكيان الصهيوني والولايات المتحدة الأمريكية هو تهجير وترحيل أهلنا من قطاع غزة وبعد ذلك من الضفة ومن الأراضي المحتلة عام 1948.

– وهناك ما سمي بمبادرة قدمها أعضاء في الكونغرس الأمريكي تتحدث عن تهجير طوعي وليس قسري إلى مصر وبلدان عربية أخرى، والمخطط هو تدمير قطاع غزة وجعله مكانا غير صالح للحياة، ويشترطون تقديم المساعدات لدول عربية بموافقتها على قبول لاجئين من القطاع، والسماح للناس في المغادرة، ولكننا نقول هذه المخططات لن تنجح، وسيكتشف قادة جيش الاحتلال أن غزة سوف تستمر بالصمود والمقاومة، ستواصل القتال وإيقاع المزيد من الخسائر في صفوف العدو الذي سيضطر في نهاية المطاف إلى إدراك أن مخططاته ستبوء بالفشل.

سادساً: إن الكيان الصهيوني والإدارة الأمريكية وأدواتهم يرسمون سيناريوهات ومخططات لمستقبل الوضع في قطاع غزة والضفة الفلسطينية والقدس ويستهدفون تصفية القضية الفلسطينية تحت ستار وخدعة ما يسمى بحل الدولتين، والذي لم يكن أكثر من عملية تضليل وخداع خلال العقود الماضية، وهذا التضليل والخداع لا زال مستمرا حتى اليوم وسيستمر في المستقبل، ولذلك فإننا ندعو ولكي نحمي الانتصار الذي تحقق يوم 7 أكتوبر ونصونه ونبني عليه، ندعو لتشكيل قيادة طوارئ وطنية فلسطينية موحدة لخوض المعركة العسكرية والسياسية في المرحلة القادمة وفق برنامج سياسي كفاحي مقاوم لصون إنجازات وتضحيات شعبنا والدماء الزكية التي سالت على أرض فلسطين، ولإسقاط أي محاولات تستهدف إجهاض الانتصار وتبديد نتائجه، لأن ما جرى يوم 7 أكتوبر سيكون له انعكاسات ونتائج استراتيجية عميقة على جميع المستويات الفلسطينية والعربية والدولية وداخل المجتمع الصهيوني ومواجهة أية محاولات ومخططات تريد أن تحقق سياسيا ما عجزت عن تحقيقه عسكريا نتيجة صمود شعبنا وتضحياته الجسيمة.

سابعاً: وجهت معركة طوفان الأقصى ضربة عميقة لسيناريوهات التطبيع بين الكيان الصهيوني وبعض الدول العربية حيث سعت الولايات المتحدة الأمريكية ولا زالت إلى دمج كيان الاحتلال الاسرائيلي في المنطقة ليكون هذا الكيان هو المسيطر والمهيمن عسكرياً واقتصادياً وأمنياً على عموم المنطقة.

ثامناً: وجهت معركة طوفان الأقصى ضربة كبيرة لمخططات أمريكا والكيان الاسرائيلي لزرع بذور الفتن الطائفية والمذهبية في المنطقة وأكدت من خلال تماسك وتلاحم قوى المقاومة أن هذه المخططات مصيرها الفشل الذريع.

بعد مرور 100 يوم على الملحمة التاريخية على أرض قطاع غزة وفشل العدو الصهيوني في تحقيق أي من أهدافه التي أعلنها بالقضاء على المقاومة الفلسطينية المسلحة وإطلاق سراح أسراه بالقوة، وبعد الخسائر الجسيمة التي أصابت ضباطه وجنوده وآلياته ودباباته والتي هي أضعاف ما يعلن عنه وبعد أن تحولت غزة إلى مقبرة للغزاة لجأ العدو الصهيوني إلى سياسة الاغتيالات بعد فشله الذريع في تحقيق أي نصر سياسي أو عسكري في غزة فقام باغتيال القائد الكبير صالح العاروري في الضاحية الجنوبية في بيروت واغتيال أحد القادة الميدانيين لحزب الله المجاهد الكبير وسام الطويل كما اقدم الكيان الاسرائيلي على اغتيال الشهيد اللواء رضي الموسوي احد كبار قاده الحرس الثوري الايراني في السيدة زينب وكل هذا يعبر عن حجم المأزق الاسرائيلي والفشل الذريع في قطاع غزة لذلك لجا رئيس الحكومة الإسرائيلية إلى سياسة الهروب إلى الأمام والإقدام على اقتراف هذه الجرائم والاغتيالات والتي لن تمر دون رد وعقاب.

إن ملحمة طوفان الاقصى التاريخية قد أعادت القضية الفلسطينية إلى صدارة الأحداث في العالم أجمع وأصبحت على أجندة كل شعوب الأرض بعد أن شاهد العالم حرب الإبادة التي يمارسها قتلة الأطفال والنساء والشيوخ على مرآى ومسمع البشرية بأسرها.

واليوم كان الكيان الاسرائيلي المجرم يجلس في قفص الاتهام بعد أن قدمت دولة جنوب افريقيا الصديقة الحقيقية للشعب الفلسطيني دعوة لمحكمة العدل الدولية لمحاكمة مجرمي الحرب في الكيان الاسرائيلي الذي يمارس حرب إبادة ضد شعب مكافح تعرض منذ 75 عاما لجرائم من أبشع جرائم العصر الحديث.

طوفـــان الأقصـى

تفكير استراتيجي ارتقائي لمعنى المقاومة

■ أبو علي حسن

عضو اللجنة المركزية

للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ سورية

ما حدث في السابع من أكتوبر كان فكرة رؤيوية مختلفة في مسار النضال الفلسطيني، وأطلق طوفاناً سياسياً اجتاح المنطقة كلها، بل المعمورة على كبر مساحتها، وطوفاناً عسكرياً وأمنياً اجتاح غزة والإقليم والكيان، ولا زال هذا الطوفان يتحرك في كل اتجاه عابراً وكاسراً حالة الرتابة والركود السياسي والأمني السائد في المنطقة بشأن القضية الفلسطينية...

وأول ما مرّ هذا الطوفان بعنفوانه كان على دولة الكيان، مجتاحاً المجتمع الإسرائيلي ومحدثاً تموجات أمنية وسياسية واجتماعية واقتصادية ونخبوية، أطاحت بالجدران الأمنية والعقائدية والسياسية التي بناها الكيان لتحصين نفسه من صحوة الفلسطيني والعربي، مما جعل الكيان بكليته عارياً إلا من حقيقة ضعفه وهشاشته، التي لم يدركها النظام العربي الرسمي بعد...

كما لا زال هذا الطوفان الفلسطيني يجتاح شعوب المنطقة في الإقليم والعالم محدثاً تحولات في وعيها وإدراكها وبصيرتها نحو فلسطين وشعبها، حيث تفرع هذا الطوفان إلى فروع وجداول عالمية، أحدثت تحولات ومتغيرات في الموقف والسياسات والأفعال رسمياً وشعبياً...

ومما لا شك فيه أن هذا الحدث قد أزاح تلك الغشاوة لدى البعض التي حجبت رؤية الشعب الفلسطيني على حقيقة وجوده، وأزالت من أمامه تلك المسلمات الزائفة والأوهام بأن القضية الفلسطينية قد وئدت، وليس أمام الشعب الفلسطيني إلا التسليم بقدره وبواقع الكيان الصهيوني، وقبول التسويات معه من موقع المهزوم، والاندماج في سياساته التي تفقد الإنسان الفلسطيني هويته ووجوده...

بهذا المعنى لحركة الطوفان، فنحن أمام حدث أمني وسياسي غير عادي ليس خارج فكرة فلسطين، وليس خارج فكرة تأصيل المقاومة، بل هو منعطفاً حاداً في مسار الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي الممتد، وكونه حدثاً فوق العادة، وفوق المألوف، يستدعي الأمر البحث في معنى ودلالات الحدث النوعي والاستثنائي وسياقاته على الأرض.

طوفان الأقصى إعجاز سياسي وميداني

وعليه فنحن أمام حدث رؤيوي، وارتقائي فكري وسياسي وأمني يشكل إعجازاً سياسيا بمعنى القدرة على أخذ القرار الصعب، وإعجازاً ميدانياً بمعنى اجتياز الجدران والفعل في الميدان، بما يجعل هذا الحدث بكليته معجزه سياسية أمنية فاقت خيال السياسيين والاستراتيجيين والمحللين والمتنبئين، ولا سيما من قادة الكيان وسياسييه...

إن تجليات أي معجزة هي ألا تجد لها تفسيراً منطقياً في السياق السائد للأحداث، عند المحللين والمفسرين وفق منطق البيئة المهيمنة، كونها أمرٌ خارق للعادة، ومخالف للقوانين والمسلمات السياسية السائدة، وبهذا المعنى فإن طوفان الأقصى يمكن إطلاق المعجزة السياسية عليه، من جهة، ومعجزة عبور الجدران من جهة أخرى...

إن تجليات المعجزة السياسية لمعركة «طوفان الأقصى» تتمثل في ضرب معطيات البيئة الراكدة العربية والدولية المتعايشة مع واقع الاحتلال...

•حين تقدم المقاومة على مجرد «التفكير والتخطيط « لمعركة خارج المألوف وخارج الوعي السائد في الحالة العربية الساكنة، أي خارج «وعي العجز» فهذا بحد ذاته مكون أولي للإعجاز السياسي...

•وحين تتنكر عامداً لموازين القوى القائمة المائلة منذ زمن لغير صالحك سياسياً وعسكرياً، وتعتمد على «إرادة المقاوم» على أنها المكافئ الآخر لميزان القوى، فأنت قطعت الشوط الآخر في نسج المعجزة السياسية ...

•وحين تغادر المألوف وهيمنة الوعي المهزوم، وقوة العادة السياسية التي ألجمت الجيوش والعروش على فتح معارك مع الكيان، بفعل تقديس موازين القوى المائلة دوماً لصالح الكيان، وبفعل الالتزام بالتبعية للغرب

الاستعماري، فأنت غادرت مساحة الوهم، وأدخلت نفسك في فضاء مختلف، لا توجد فيه سلاسل الهزيمة...

•وحين تتعامى عن كل القدرات الأمنية والعلمية والتقنية، وأجهزة المراقبة وأدوات الحرب الحديثة والحاسمة لدى عدوك، وتتخطّى هذه البديهية، وتقدم على الممنوع « وتوظف إرادتك ومحدودية معارفك» فهذا لاهوت سياسي مقاوم من طبيعة الإعجاز السياسي، وعملقة في وجه مارد متوهّم، وتلك معجزة التحدي...

•وحين تقدم على خوض غمار معجزة من طبيعة مختلفة، تدرك صعوبتها، وتدرك أثمانها اللاحقة على المقاومين والأرواح المدنية، والبنى المادية والعمرانية، فأنت تبحث عن نصر من طبيعة مختلفة أيضاً، وهذا دونه الأثمان الضخمة، لكنه نصر فيه عبور استراتيجي لمعنى فلسطين، ومعنى الوطن، وفيه خسائر بنيوية بالكيان الاسرائيلي، وخسائر من طبيعة وجودية عبر خلخلة الوعي الاسرائيلي وتدمير يقينياته وروايته، وهذا يدخل في باب استخدام التفكير الاستراتيجي في المواجهة التاريخية مع الكيان...

في كل ذلك من مفاهيم وتجليات لتجاوزات المألوف، كان القرار السياسي بالعبور والبدء في تسطير المعجزة السياسية واختراق ماكان مستحيلاً، وتباعاً كان الوصول إلى المعجزة الميدانية التي وقعت أحداثها في السابع من أكتوبر، وفي الحرب البرية التي لا زالت أحداثها تتوالى منذ ثلاثة شهور، محدثة صدمات متتالية للكيان، على مستوى قياداته السياسية، وقيادات جيشه، ومستوى الشارع الاسرائيلي ومؤسساته الإعلامية والثقافية وحيث أثبت المقاوم الفلسطيني المتسلح بإرادته، جدارته في الميدان والمواجهة، وأثبت إيمانه العميق بقضيته الوطنية، برغم الإبادة التي يمارسها الاحتلال، وكل الدمار والخراب والترحيل والقتل الذي لا يتوقف.

الطبيعة العدوانية...لا تحتاج إلى أسباب

إن أي قراءة لمعركة طوفان الأقصى من عنوان الخسائر التي أحدثها العدوان من إبادة جماعية، وتحويل القطاع إلى منطقة غير قابلة للحياة، مع ممارسة التهجير وقتل الآلاف من أهل القطاع، للوصول إلى أن معركة طوفان الأقصى لم تكن خياراً ضرورياً، أو أنها مغامرة غير محسوبة في ضوء نتائجها المدمرة والكارثية، هي قراءة ساذجة وسطحية...

مثل هذه القراءة هي تجاوز ونكران لطبيعة الكيان وعقيدته الاستيطانية والإجلائية والعنصرية، وتغييب لمخططات الكيان الممنهجة وشعاراتها السياسية «كي الوعي» «وجز العشب» وغيرها والتي لا يتوقف الكيان عن ممارستها كلما شعر بتعاظم قوة المقاومة، وهذا يعني أن الحرب العدوانية بكل أهوالها هي من طبيعة الكيان العدوانية، واستراتيجياته السياسية والأمنية المتمرحلة، ولم يكن العدوان ردة فعل على معركة في مواجهته أو دفاعاً عن النفس، ولم يحتاج إلى مبررات حتى يمارس طبيعته العدوانية، بقدر ما كان يحتاج إلى تفعيل طبيعته وعقيدته الإجلائية في الوقت المناسب وكان يحتاج إلى إعادة الاعتبار لقوة الردع للجيش الاسرائيلي، ليس عبر تدمير غزة فحسب، إنما لتوجيه رسالة قوية ومرعبة للأنظمة العربية في حال أي تفكير بتغيير مواقفها السياسية أو الأمنية، ورسالة إلى لبنان وحزب الله بذات المعنى...أي إبقاء الأنظمة العربية «مردوعة ومرعوبة» كجزء من أهدف الحملة على غزة...

ثنائية المأساة والملحمة...

وعليه فإن المقارنة بين ما حققته معركة طوفان الأقصى من مكاسب، وما حققه العدوان الاسرائيلي على غزة من خسائر، قد لا تبدو منطقية بفعل هول الخسائر التي تكبّدها أهل القطاع من قتل وتدمير وترحيل، وهي خسائر لا يجب أن يتغافل عنها أو يهوّن من تبعاتها أي مسؤول أو مواطن، وبالمقابل لايجب أن تغيب الصورة الأخرى للمقاربة...

هل استطاع الاحتلال كسر الصمود والمقاومة بخلق الكارثة...؟ وهل قدمت المقاومة أو البيئة الحاضنة صك الاستسلام أمام الكارثة؟ وهل كسر وعي الشعب الفلسطيني مع هول الكارثة...؟ وهل مجازر الأطفال والنساء أضعفت الهوية وهزمت الحاضنة الشعبية...؟

الأمر لا يحتاج إلى البحث عن الأجوبة، بقدر ما يحتاج إلى رؤية صورة الواقع كما هو من ثنائية المأساة والملحمة، مأساة تلد صموداً وعنفواناً وإصراراً على المقاومة، وملحمة ميدانية تحدث أزمات وجروح في الكيان، فهذه أول حرب يفقد فيها العدو عنجهيته وسطوته وغروره، وتتآكل مجدداً عقيدته الأمنية العسكرية، وجيشه لم يبرهن على جدارته في الميدان، بقدر ما أثبتته آلته العسكرية والصاروخية على التدمير والإبادة، وإذا قرأنا ميزان الخسائر والأرباح في هذه المعركة، فالأمر يحتاج أيضاً إلى تظهير تلك الأزمات السياسية الداخلية التي تعصف بمؤسسة الحكم، وهي أزمات ليست كسابقاتها التاريخية، وتظهير تلك التصدعات في المجتمع الاسرائيلي الذي يجمع على قتال الفلسطيني، ولكنه يعيش قلق الوجود الدائم، حيث عبر عنها معظم المسؤولين بالقول إنهم يخوضون حرباً وجودية، وحرب الاستقلال الثانية بما يجعل مئات الآلاف يغادرون الكيان / الهجرة العكسية، لعدم يقينهم باستمرار هذا الوجود، حيث تتحدث بعض المصادر عن مغادرة نصف مليون إلى خارج الكيان خلال الشهور السابقة، وعلى الجانب الآخر فإن الترحيل من الشمال والجنوب إلى وسط البلاد يشكل عبئاً اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً، لا يمكن التهوين من آثاره على أكثر من مستوى، وفي هذه الحرب توقفت عجلة الاقتصاد الاسرائيلي بكل قطاعاته، وأن خسائر الكيان قد تجاوزت حتى الآن (56 مليار دولار) دون الآثار الاجتماعية والاقتصادية اللاحقة والمستمرة...

أما الإضافة النوعية التي أضافها طوفان الأقصى وصمود غزة، فقد تمثلت في ذلك الفتح الاستراتيجي في الرأي العام العالمي، وإحداث تحول نوعي في وعي الشعوب نحو فلسطين وشعبها...

خذلان عربي...وأمريكا تحارب غزة

ومن المفارقات التاريخية أن هذا القطاع الضيق وصغير المساحة يصمد أمام ما يقال عنه أقوى جيوش العالم وأكثرها تقنية وتسليحاً، وليس ذلك فحسب، إنما كان صموده أمام الدور الأمريكي المشارك فعلياً في الحرب عبر إمداد الكيان بجسر جوي لإمداد السلاح، وعبر استدعاء البوارج الأمريكية المتاخمة على بحر غزة، وعبر الخبرات الأمنية، وأقصى درجات الدفاع الدبلوماسي في مجلس الأمن وفي العالم، ورفض وقف إطلاق النار بالمطلق...

وازداد الأمر مأساوية مع بلوغ العجز العربي مدى الخيانة، حيث تحولت الأنظمة العربية الرسمية إلى دول مرعوبة ومردوعة ومتآمرة، بعد رسالة تدمير غزة، إلى تلك الأنظمة، الأمر الذي أضاف بعداً مأساوياً آخر على أهل غزة، حيث شعر الشعب الفلسطيني بالخذلان العربي أمام جرائم الإبادة الجماعية، ولم يتلقى إلا ما تفتق به العقل العربي الرسمي ضمن أقصى درجات الدعم بلفظة «الإدانة والاستنكار» وما يسمى بالدعم الغذائي الإنساني الشحيح...!! مما شجع الكيان على الاستمرار في عدوانه وإعطائه ضوءاً أخضر عربي...

هذا النظام العربي فقد وظيفته في الحفاظ على الأمن القومي العربي، وفقد علاقته مع مفهوم العروبة، وأخوة الجار، وفقدت دوله مبرر وجودها التاريخي، وإذا كانت غزة قد تحولت إلى حطام وبقي إنسانها، فإن النظام العربي تحول إلى حطام في الوعي العربي عموماً، وعزل عن شعوبه، وغزة ستكون بشارة التحول وبداية الغيث في مستقبل عربي أفضل، وستكون عامل أساسي في الإطاحة بزعماء الكيان والولايات المتحدة وغيرهم في المنطقة.

طوفان الأقصى
صراع الإرادات والعقول

■ د. عبد الحسين شعبان
أكاديمي ومفكر عربي من العراق

تمهيد

لم تكن عملية «طوفان الأقصى» حدثًا عابرًا في المواجهة المستمرة منذ ثلاثة أرباع القرن، بين المقاومة الفلسطينية والاحتلال «الإسرائيلي»، بل تعتبر حدثًا مفصليًا في تاريخ الصراع، فما بعد 7 تشرين الأول / أكتوبر 2023 سوف لا يشبه ما قبله.

واجهت غزّة التي تبلغ مساحتها 365 كم2، لا تعادل سوى 2% من مساحة فلسطين البالغة 27 ألف كم2، حربًا عالمية بكلّ معنى الكلمة، وتعرّضت إلى إبادة شاملة في ظلّ دعم غربي لا محدود، تبريرًا وتسويقًا للعدوان في الأمم المتحدة وخارجها، تحت حجّة «حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها». فكيف يمكن فهم ما حصل؟

زمام المبادرة

بدأت عملية طوفان الأقصى بمباغتة فائقة البراعة، ليلة عيد الفرقان «الإسرائيلي»، حين اقتحمت قوات المقاومة «حماس»، المواقع «الإسرائيلية» في غلاف غزّة، بسرعة مذهلة ودقيقة في الساعة الثالثة صباحًا، في 22 موقعًا عسكريًا، وخلال ثلاث ساعات تمكّنت من اغتيال بضع مئات من الضباط والجنود «الإسرائيليين»، واقتادت ما يزيد عن 100 «إسرائيلي»، بمن فيهم اثنين من العسكريين من جهاز «الشين بيت - شاباك» (المختصّ بالأمن الداخلي، والذي يتبع لرئيس الوزراء مباشرةً)، وعدد من الأجانب، لاحتجازهم كأسرى، أطلقت سراح بعضهم (من المدنيين وحملة جنسيات أخرى)، في عملية تبادل للأسرى، واحتفظت ببعضهم الآخر، ولاسيّما العسكريين، ضمن خطة للضغط على «إسرائيل» لتحرير الأسرى الفلسطينيين من السجون «الإسرائيلية».

وتكمن أهمية عملية طوفان الأقصى في امتلاك زمام المبادرة أولًا، وثانيًا، ما حققته من اختراق نظرية الأمن «الإسرائيلي»، التي ظلّت مهيمنة لعقود من الزمن، وكيف أخذ «الإسرائيليون» على حين غرّة؟ ويعود ذلك، في جزء كبير منه، إلى دقة التخطيط والتنفيذ والمعلومات الاستخبارية، حيث تم تحديد المعركة والمبادءة في اختيار لحظة الهجوم، وتكاد تكون هذه العملية الجريئة الكبرى والأولى، التي تدار فلسطينيًا بعد حرب تشرين الأول / أكتوبر 1973 التحررية، التي حاولت فيها القوات المصرية والسورية مواجهة نظرية الأمن «الإسرائيلي»، حين اختارت هي تحديد لحظة المواجهة، وبدء

المعركة، في حين كانت «إسرائيل» في المعارك الأخرى، هي التي تفرض المعركة بشنّها العدوان.

أركان نظرية الأمن «الإسرائيلي»

ساهمت عملية طوفان الأقصى في خلخلة الأركان التي تقوم عليها نظرية الأمن «الإسرائيلي»؛ وأهمها:

أولها–حرب المعلومات: التفوق الاستخباري، ففي جميع حروب «إسرائيل» ابتداءً من حرب العام 1948 أو في العدوان الثلاثي العام 1956 (الإنكلو - فرنسي «الإسرائيلي») أو في عدوان 5 حزيران / يونيو المعروف بـ «الأيام الستة» العام 1967 أو في الحروب على لبنان وغزّة وغيرها، كانت الاستخبارات «الإسرائيلية» الموساد، (جهاز الاستخبارات الخارجي، الذي يرتبط برئيس الوزراء مباشرة)، تمتلك معلومات أكثر مما يمتلكه الجانب العربي والجانب الفلسطيني بكثير، بل إن المعلومات الاستخبارية العربية والفلسطينية، كانت شحيحة جدًا، لكن عملية طوفان الأقصى أظهرت هشاشة التفوق الاستخباري والأمني «الإسرائيلي»، حين هاجمت قوات فلسطينية فدائية، لا تزيد عن بضعة مئات، أكثر من عشرين ألف عسكري «إسرائيلي»، وعرضتها للانكشاف، والفضل يعود، في جزء كبير منه إلى الدقة الاستخبارية الفلسطينية والحصافة الأمنية، وخطط التمويه والإيهام، التي قامت بها بسرية كاملة، ناهيك عن الشجاعة في اتخاذ القرار والتنفيذ، على الرغم من امتلاك الاستخبارات «الإسرائيلية» آخر اختراعات العلم وابتكارات التكنولوجيا.

لقد تمكّنت استخبارات المقاومة، على بساطتها وقلّة إمكاناتها، من الحفاظ على سريّة عملها وتحديد ساعة المواجهة، وإنزال ضربة مفاجئة وغير محسوبة بالمنظومة الاستخباراتية والأمنية «الإسرائيلية»، التي لم تكتشف خطة المقاومة، سواء في اتخاذ القرار، أو في التنفيذ والإداء بإعداد محكم ورصين لهذه العملية، التي استغرقت نحو عام من التحضير المضني.

وثانيها – حرب العلوم: التفوّق العلمي والتكنولوجي، وهذه هي الأخرى تمّ التغلّب عليها، حين اختارت المقاومة لحظة الهجوم، وهكذا كانت الإرادة والحق في مواجهة التكنولوجيا والباطل، فلم ينفع ادّعاء «إسرائيل» بامتلاكها أسرار الذكاء الاصطناعي، وتفوقها على الفلسطينيين والعرب، وتصنيف نفسها كدولة متقدمة، فقد تمكنت المقاومة بأدوات وأسلحة بسيطة، وخطة محكمة، أن تحقق نتائج مذهلة، وأنزلت ضربة غير متوقعة بالقوات «الإسرائيلية»، علمًا بأنها تمتلك أسلحة متطوّرة ومعدّات واستعدادات وتهيئة، ومنظومات دفاع مدعومة غربيًا، وخصوصًا من جانب الولايات المتحدة، كما حافظت المقاومة، طيلة الفترة المنصرمة، على سريّة بناء الأنفاق، وجهزتها بأسباب الحياة دون أن تعرف «إسرائيل» وعملائها، فضلًا عن أنها، حتى بعد اجتياح غزة، لم تتمكن من الوصول إليها.

لقد أظهرت، عملية طوفان الأقصى، «إسرائيل» عارية على الملأ، لدرجة أخذت تستنجد بحلفائها لدعمها، وقامت بعد ذلك بعملية انتقامية في حرب إبادة مفتوحة مثّلت فضيحة للضمير العالمي، وكشفت بما لا يدع مجالًا للشك عن زيف إدّعاءات بعض دعاة حقوق الإنسان وقيم العدالة والحريّة على المستوى العالمي.

وتمكّنت المقاومة خلال هجومها من الحصول على أسرار ومعلومات خطيرة، لا تتعلّق بالجوانب الأمنية والاستخباراتية فحسب، بل على بعض أسرار المنظومة الدفاعية «الإسرائيلية»، وذلك بوضع يدها على كومبيوترات ومعلومات مخزونة وأرشيف كبير، سواء عنها أو عن بعض «المتعاونين» مع «إسرائيل» أو عن المنظومة «الأمنية الإسرائيلية».

وثالثها – حرب الإرادة، وهذه مرتبطة بالسياسة من جهة و بالعقيدة العسكرية من جهة أخرى، فقد كانت «إسرائيل» تدرك أن النجاح في الحرب يعتمد على قرار سياسي أولًا وخطة عسكرية ثانيًا، وسيكون تحديد نتائجها للأقوى، ولذلك كانت دائمًا ما تبدأ بتحديد مكان وزمان المعركة، وتضع الخطط المسبقة لذلك، ولكن المقاومة، هذه المرّة، كانت هي المبادرة، وهي التي حددت مكان المعركة وزمانها، فألهبت حماسة فلسطين بكاملها، بما فيها داخل الأراضي المحتلة وعرب الـ48، كما يقال، ناهيك عن الضفّة والقدس، وعموم مناصري العدالة والحق على المستوى الكوني.

وسعت المؤسسة السياسية والعسكرية «الإسرائيلية»، طيلة ثلاثة أرباع القرن، الإبقاء على تفوّقها من جهة، والعمل على تفكيك وإفشال أية محاولة لإعادة بناء القدرات الفلسطينية، عن طريق استراتيجية ما يسمى «قصّ الثيّل» أو «جزّ العشب»، وخلال العقدين المنصرمين عمدت «إسرائيل» إلى شنّ 4 حروب كبرى على غزّة بعد حصارها منذ العام 2007، وقبل عملية طوفان الأقصى، وهذه الحروب العدوانية هي:

الأولى في 27 كانون الأول / ديسمبر 2008 أسمتها «إسرائيل» «الرصاص المصبوب»، أما حماس فأطلقت عليها اسم «حرب الفرقان»، واستمرّت إلى يوم 18 كانون الثاني / يناير 2009.

والثانية في 14 تشرين الثاني / نوفمبر 2012 ، وأسمتها «إسرائيل» «عامود السحاب»، ودعتها حماس «حجارة السجّيل» واستمرّت 8 أيام.

أما الثالثة في 7 تموز / يوليو 2014 وأطلقت عليها «اسرائيل» اسم «الجرف الصامد» أما حماس فأطلقت عليها «العصف المأكول» واستمرتّ 51 يوماً، حيث توقّفت في 26 آب / أغسطس 2014.

والرابعة، في أعقاب «أحداث حي الجرّاح» في القدس والتي شهدت مواجهات بين سكانها والسلطات «الإسرائيلية»، فانتفضت غزّة وكل فلسطين ما بعد الخط الأخضر تضامناً مع سكان حي الجرّاح في القدس، وشنّت «إسرائيل» عملية عدوانية كبرى أسمتها «عملية حارس الأسوار»، في حين أطلقت عليها حماس «معركة سيف القدس 2021»، حيث بدأ العدوان في 6 أيار / مايو 2021، وتوقّف إطلاق النار بوساطة دولية قادتها مصر في 21 أيار / مايو 2021.

وهكذا كانت «إسرائيل» في حالة «استرخاء» لاعتقادها أن المقاومة لا يمكنها شنّ حرب عليها بسبب الحصار والتجويع ومحاولات التفكيك المستمرة. ولعلّ ما يعزّز مثل هذا الاعتقاد هو بناء الجدار العازل اللّاشرعي واللّاقانوني واللّاإنساني. وبسببه كانت «إسرائيل» تشعر أنها أكثر «أمنًا»، خصوصًا وأن أية محاولة لاجتيازه تستهلك طاقة الفلسطينيين، حيث يبلغ طوله 770 كلم، وتم بناء 406 كلم منه، أي 52.7%، ويتراوح عرضه من 60– 150 مترًا في بعض المواقع، وبارتفاع يصل إلى 8 أمتار، وخندق يصل عمقه إلى أربعة أمتار لمنع مرور المركبات والمشاة، علمًا بأن محكمة العدل الدولية أصدرت قرارًا استشاريًا في 9 تموز / يوليو 2004 بعدم شرعية الجدار.

ورابعها – وحدة القرار والتنفيذ (الإرادة والعمل): المقصود بذلك التفوق بوحدة القرار السياسي والعسكري والإعلامي، وهو ما عرفته جميع الحروب «الإسرائيلية»، باستثناء ما بعد عملية طوفان الأقصى، فكان الانشقاق واضحًا، فبنيامين نتانياهو يلوم المؤسسة العسكرية والأمنية بسبب عدم معرفتها بخطة طوفان الأقصى، سواء في مرحلة التخطيط أو الإعداد أو حين التنفيذ، وهذا يعني فشل المنظومتين الأمنية والعسكرية، في حين أنهما يلقيان اللوم على نتانياهو لتوريطهما في حرب مفتوحة والخسائر التي منيت بها «إسرائيل»، وكلاهما يترصّد للآخر، فنتانياهو يريد زجّ الجيش بمعارك لا حدود لها، حتى لو سقط المئات من الجنود والضباط في هذه المعركة، بما في ذلك لو تم التضحية بالأسرى «الإسرائيليين»، طالما تؤدي إلى استمرار الحرب، لأنه يريد أن يظهر بمظهر «البطل»، كي يحمي نفسه بعد انتهاء المعارك من المثول أمام العدالة

بتهم الفساد والتزوير، وبالمقابل، تترصّد له المؤسسة العسكرية والأمنية، التي تريد إنهاء المعارك حقنًا لدماء الجنود واستعجالًا بمحاكمته.

ولعلّ ما أوقع «إسرائيل» في هذا الصراع، هو ازدياد حالات التذمر الشعبي، خصوصًا ضغوط عوائل الأسرى، والخسائر التي تعرّضت لها خلال عملية اجتياح غزّة، وذلك بعد تجريف الأجزاء الشمالية منها ودفع سكانها للهجرة إلى رفح باتجاه الحدود المصرية، فبعد أن كانت جميع الحروب «الإسرائيلية» تحظى باتفاق عام من الجيش والمستوطنين وسكان «إسرائيل»، فإن هذه الحرب أظهرت الانقسام الحاد بين حكم معزول ورئيس وزراء متّهم وجيش متذمّر، ومؤسسة أمنية مرتبكة، والأكثر من ذلك فإن الانقسام الشعبي والاصطفافات ضدّ حكومة نتانياهو التي سبقت الحرب ازدادت عمقًا، وآخرها امتناع وزراء من حضور اجتماعات مجلس الوزراء، وإعلان قادة عسكريين سابقين عن موقف مناقض لمواقف نتنياهو، وقرار جديد من المحكمة العليا بالتحقيق فيما حصل بطوفان الأقصى، حتى قبل انتهاء المعارك، وتلك مسألة تحدث لأول مرّة.

الحرب النفسية

لم تخلخل عملية طوفان الأقصى نظرية الأمن «الإسرائيلي» فحسب، بل عملت على تبهيت صورة الجيش «الإسرائيلي»، الذي لا يقهر وأسطورته، والذي يُقال عنه أقوى رابع جيش في العالم من حيث القدرات القتالية، والجيش الثامن عشر دوليًا، وهكذا انهارت صورة الردع «الإسرائيلي»، فالمحاصَرون والمجوَّعون انتصروا في لحظة تاريخية فارقة أذهلت العالم، الأمر الذي أدّى إلى استنفار حلفاء «إسرائيل»، الذين تسابقوا إلى تقديم النجدة العاجلة لها، والحج إلى تل أبيب حيث وصلها الرئيس الامريكي جو بايدن ووزير خارجية الولايات المتحدة بلنكن ووزير دفاعها أوستن والرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون ورئيس وزراء بريطانيا ريشي سوناك والرئيس الألماني فرانك شتاينماير ورئيس إيطاليا سيرجيو ماتاريلا، وهو ما وفّر لها غطاءً معنويًا لشن الحرب المفتوحة على المدنيين، ورفض أي مطالبة بوقف العدوان، ترافقًا مع الفيتو الأمريكي في مجلس الأمن، بحجّة:

1. استعادة الرهائن.
2. القضاء على قادة حماس وتفكيك بنيتها التحتية وإخماد أي صوت للمقاومة.
3. فرض سلطة أمنية جديدة على غزّة، صديقة «لإسرائيل».
4. تشطير غزّة ببناء حاجز يفصل بين شمالها وجنوبها.
5. تغيير نمط تفكير من يتبقى في فلسطين بتسفيه فكرة المقاومة، وإظهار عدم جدواها لقبول الأمر الواقع.

ودارت دورة الحرب النفسية الناعمة أيضًا في محاولة استبدال الوعي بالنصر لتحويله إلى موت ودموع ومأسي، وذلك بعد فشل «إسرائيل» في تحقيق أهدافها المعلنة، فضلًا عن فشلها في تسويق روايتها بخصوص قطع رؤوس الأطفال واغتصاب النساء، وكأن همّ المقاومة ذلك، ناهيك عن أن العملية كلّها استغرقت 3 ساعات، فكيف يمكن أن يحدث ما هدفت «إسرائيل «إلى تسويقه؟ وللأسف فإن رئيس أكبر دولة في العالم، جو بايدن، ردّد ذلك، وعاد واعتذر عند قصف «مستشفى المعمداني»، باتهام جهات موالية لإيران، ثم ثبت أن الصاروخ أمريكي وهو مستخدم لدى جيش الدفاع «الإسرائيلي».

ومثل هذا الأمر ينبغي وضعه ضمن خطط المقاومة، لاسيّما استخدام كلّ ما يتعلّق بوسائل الحرب الناعمة، ووفقًا للذكاء الاصطناعي واقتصادات المعرفة.

المحطة الثالثة للمشروع الصهيوني

إن هدف رسالة الردع «الإسرائيلية» هو الإرهاب، ولذلك انفلتت عمليات التهديد لدرجة أن الأمر وصل إلى بيروت، التي هُدّدت بمصير غزّة، وبدأت مع ذلك المحطة الثالثة للمشروع الصهيوني، فقد كانت المحطة الأولى هي إقامة «إسرائيل» العام 1948 بعد قرار التقسيم من الأمم المتحدة (1947).

ثم المحطة الثانية وهي احتلال كامل فلسطين، بما فيها القدس العام 1967، وضمها بقرار من الكنيست إلى «إسرائيل» (1980)، واعتبارها «عاصمة أبدية موحدة لها».

أما المحطة الثالثة، فهي التي بدأت مع طوفان الأقصى في العام 2023، بشن حرب إبادة ومجازر مروعة، باعتبار أن الفلسطينيين «حيوانات» يمكن تسويتهم بالأرض بهدف التهجير (ترانسفير)، والسيطرة على الأرض مجددًا (إعادة الاحتلال)، وتلك صفحة جديدة من صفقة القرن، التي يمكن شمولها لدول عربية أخرى، مثل الأردن (حسب ليبرمان) وسوريا ولبنان ومصر والسعودية والعراق واليمن، وإن كانت على مراحل.

وإذا كانت المحطتين، الأولى والثانية، قد مرّتا، وحققت «إسرائيل» جزءًا من أحلامها التوسعية، فإنه بعد عملية طوفان الأقصى، بدى الأمر مختلفًا، على الصعيد الفلسطيني اولًا، وهو ما سيترك تأثيره عربيًا لاحقًا، وسيكون الأمر مؤثرًا كذلك على المستوى العالمي، فبعد أن خفت الحديث عن حلّ الدولتين، وطويت المبادرة العربية (بيروت 2002)، «الأرض مقابل السلام»، التي تعاملت معها «إسرائيل» باستخفاف كبير، ومعها حليفتها واشنطن، والتي كانت تريد من العرب «التسليم بالأمر الواقع» وركوب قطار التطبيع بلا عودة، وإذا بحديث الدولتين يعود بقوّة على المستوى العالمي، ويتصاعد الكلام في الأمم المتحدة وخارجها عن حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم، طبقًا للقرارات الدولية.

سيناريوهان

شكل الارهاب جزءًا لا يتجزأ من العقيده الصهيونية، منذ ولادتها في نهاية القرن التاسع عشر، ونظر لها عرابوها من هيرتزل إلى جابوتنسكي، وتقوم الفلسفة الصهيونية على الإرهاب كنظرية عمل ونظرية حياة انطلاقًا من اعتبار «اليهود شعب الله المختار»، والشرط الجوهري لبلوغ ذلك، ليس سوى الإرهاب والعنف لمواجهة الوحوش الضارية، حسب هيرتزل، ووفقًا لجابونسكي تحطيم كل من يقاوم الصهيونية.

لا أحد يستطيع أن يقدّر متى ستنتهي الحرب وكيف ستنتهي؟

سيناريوهان يتصدّران المشهد، في الممكن وغير الممكن على المدى المنظور، أحدهما «إسرائيلي»، والآخر «فلسطيني»، الأول عاد بقوّة بعد عدم إمكانية تحقيق نصر عسكري على الأرض، إلى ممارسة الاغتيالات، والتي هي جزء من الفلسفة الصهيونية، فقد لجأت «إسرائيل»، خلال حرب الإبادة، إلى اغتيالات خارج دائرة العمليات الحربية فأقدمت على اغتيال رضا موسوي في دمشق وصالح العاروري (القيادي في حماس) في بيروت وقيادي من حزب الله في الجنوب اللبناني، وتزامنًا مع ذلك، اغتالت القوات الأمريكية مشتاق طالب السعيدي في بغداد من (الحشد الشعبي)، في إطار عمليات الانتقام من طوفان الأقصى.

السيناريو «الإسرائيلي» يريد استثمار التهجير القسري لإحداث تغيير ديموغرافي كي ما يؤدي إلى تغيير جيوسياسي، وذلك في الوعي والثقافة في الحاضر والمستقبل لإسدال الستار على القضية الفلسطينية لتصبح «ذكرى» أو «تاريخ»، والتمهيد لذلك يتم عبر تقطيع أوصال غزه، وتهجير سكانها وإيجاد من يقبل التعامل مع «إسرائيل»، وصولًا إلى إنهاء القضية الفلسطينية، فعلى الرغم من مرور أشهر على شروع «إسرائيل» بحرب إبادة، فقد اضطرّت إلى سحب 5 فرق جديدة خارج غزّة، بعد فشلها من تحقيق أهدافها، كما سحبت لواء نخبة النخبة من الجولان، في محاولة لإعادة الانتشار، خصوصًا في ظلّ الضغوط التي تعرّض لها رئيس الوزراء «الإسرائيلي» بنيامين نتنياهو، والصراع بين القرار السياسي والقرار العسكري، بالرغم من الحرب المفتوحة، التي شنّتها «إسرائيل» على شعب أعزل،

أمّا السيناريو الثاني (الفلسطيني)، فإنه يقوم على إرغام «إسرائيل» على الحدّ من الاعتداءات على المسجد الأقصى، التي تكرّرت خلال السنوات الأخيرة، منذ محاولة حرقه في العام 1969 على يد مايكل دينيس روهان، وهو متطرّف من أصل أسترالي، إلى اليوم، علمًا أن المسجد الأقصى ليس رمزًا إسلاميًا فحسب، بل هو رمز تاريخي كوني، وهو ما أظهرته اليونيسكو يوم 18 أكتوبر/ تشرين الأول 2016 خلال اجتماع في العاصمة الفرنسية باريس بقرارها رقم 200، الذي ينفي وجود ارتباط ديني لليهود بالمسجد الأقصى وحائط البراق، ويعتبرهما تراثًا إسلاميًا خالصًا، بالضدّ من ادّعاءات «إسرائيل» وحفرياتها لإثبات عكس ذلك بزعم «وجود الهيكل».

ومن نتائج طوفان الأقصى، وقف قطار التطبيع، التي سارعت إلى ركوبه بعض الدول العربية، ظنًّا منها أنه يمكن أن يساهم في عملية السلام في المنطقة، فضلًا عن الوقوف ضدّ مخطط تصفية القضية الفلسطينية، الذي كان يُراد له، في إطار صفقة القرن أن يدخل مرحلة التنفيذ لإنهاء فكرة قيام دولة، والقبول بالأمر الواقع ليصبح واقعًا، ومن النتائج الأخرى المحتملة، ضمن السيناريو الفلسطيني، إنهاء الحصار المفروض على غزة والذي يستمر منذ نحو 17 عامًا، فلم يعد ذلك مقبولًا ، ولا بدّ من التفكير في مسارات أخرى، خصوصًا بعد أن ساهمت عملية طوفان الأقصى في كسر نظرية الردع «الإسرائيلي»، فضلًا عن التحوّل الكبير في الرأي العام العالمي لصالحها، حتى أن جنوب أفريقيا قدّمت طلبًا إلى محكمة العدل الدولية بشأن فتوى استشارية بخصوص ارتكابات «إسرائيل» في غزّة.

فأي السيناريوهين سيكون قريباً من الواقع؟

لعل دروس تاريخ المقاومات تعلّم أن القوّة العسكرية والجيوش النظامية مهما أوتيت من جبروت وقوّة وامكانات علمية وتكنولوجية واستخباراتية، فإنه ليس بامكانها تحقيق النصر على الشعوب الحرّة المكافحة من أجل استقلالها وحريتها وحقها في تقرير مصيرها، ومثالنا الحرب الأمريكية على فيتنام (1962- 1975)، حيث اضطرت في نهايه المطاف إلى تجرّع طعم الهزيمة على الرغم مما ألحقته من خسائر بالفيتناميين.

صحيح أن الحرب غير متكافئة، حيث لا يمكن قياس التفوق العسكري «الإسرائيلي» بإمكانات المقاومة الفلسطينية عسكريًا، لكنها فشلت في القضاء على حماس، بل أن الأخيرة أعادت طرح القضية الفلسطينية كمحور للصراع في المنطقة، بل قضية عربية مركزية، ويعكس الاهتمام الإقليمي والدولي بها شعوبًا وحكومات، ناهيك عن الرأي العام العالمي، بأنه لا بدّ من حلّ عادل ومقبول، يؤدي إلى إنهاء الاحتلال إن آجلًا أم عاجلًا.

ويعود الفضل في كشف الوجه العنصري «لإسرائيل»، بكل سفور ودون براقع أو تزيين، إلى المقاومة، لدرجة أن نفورًا حصل في الرأي العام اليهودي داخل الولايات المتحدة، والذي كان باستمرار مؤيدًا «لإسرائيل»، وإذا بأعداد كبيرة من الشباب، أخذت تطالب بوقف الحرب، وتحمّل إستمرارها «لإسرائيل»، وتلك من الظواهر الجديدة التي أفرزها العدوان على غزّة، والبشاعة التي استخدمت فيها.

إن عملية طوفان الأقصى، وردّ الفعل «الإسرائيلي»، إنما هي صفحة جديدة ومهمة في صراع الإرادات والعقول، حيث تكون المطاولة فيها متنوّعة ثقافيًا وقانونيًا وديبلوماسيًا وسياسيًا وإعلاميًا واقتصاديًا وعسكريًا ونفسيًا، حيث لا تنتهي المعركة بجولة واحدة، لأنها طويلة الأمد، ولكن النتيجة لن تكون إلّا لصالح الشعوب مهما طال أمد الصراع.

مرة أخرى:
مستقبل فلسطين والفلسطينيين
في عين العاصفة

■ د. لبيب قمحاوي
مفكر وكاتب سياسي/ الأردن

الآن وبعد مضي اكثر من مائة يوم على العدوان الاسرائيلي العنصري والوحشي على إقليم غزة الفلسطيني والذي تميز بإصراره على ارتكاب مجازرها المتكررة بحق المدنيين الفلسطينيين فإن الوقت ما زال مبكرًا للقيام بدراسة علمية سياسية لتبعات ونتائج ما يجري الآن في إقليم غزة الفلسطيني وللقضية الفلسطينية خصوصاً والوضع الاقليمي عموماً، وإن كان هذا الكلام لا يسري على حجم جرائم الإبادة التي قام ويقوم بها الاسرائيليون ضد المدنيين العزل من سكان إقليم غزة الفلسطيني دون تمييز بين طفل وامرأة وصغير وكبير، بالإضافة إلى حجم التدمير شبه الكامل للبنية التحتية والمباني السكنية والتراثية والدينية والصحية والتعلمية التي هدفت لجعل إقليم غزة غير صالح للسكن والمعيشة .

الفلسطينيون الواقعون ضمن دائرة العنف المميت بشكل يومي ومستمر منذ 2023/10/7 ما زالوا في موقع المقاومة بالرغم من الدمار وعدد الضحايا الذي استثار في حجمه المجتمع الدولي والمجتمعات المدنية الشبابية ومؤسسات المجتمع المدني في معظم دول العالم .

وقد ترافق هذا الغضب العالمي مع زيادة تصميم قوى العدوان الاسرائيلي على الاستمرار في مخططها الاجرامي الهادف الى جعل إقليم غزة غير صالح للسكن والمعيشة مهما كانت نتيجة الحرب الدائرة الآن والعدوان اليومي المستمر على إقليم غزة الخطر كل الخطر يكمن في خلق سابقة العبث الديموغرافي الشامل بشعب بأكمله. ومثال على ذلك الترحيل السكاني القهري للفلسطينيين ونقلهم إما من مكان لمكان آخر داخل وطنهم، أو ترحيلهم من وطنهم الى خارج وطنهم جهاراً وعلى رؤوس الأشهاد وبما يجعل من الترانسفير سياسة مقبولة دولياً ومعمول بها. إن رفض العالم لسياسة الترانسفير، أي النقل الشامل للشعب بأغلبيته أو بأكمله من مكان لمكان آخر بغية إجراء عملية تطهير عرقي تسمح بأخذ الأرض والاستيلاء عليها خالية من البشر ومن سكانها الأصليين، كان دائماً حجر العثرة أمام المخططات الاسرائيلية الصهيونية للتخلص من الشعب الفلسطيني وابتلاع أرضه. إن ما يجري الآن هو في هذا السياق تماماً ويهدف الى خلق سابقة دولية يوافق عليها المجتمع الدولي وتجعل من الممكن، بل من المسموح به، إخلاء فلسطين من سكانها والسماح للاحتلال الإسرائيلي بابتلاع الإرض الفلسطينية خالية من سكانها. وهذا قد يكون أهم الأهداف الخفية للحرب الأمريكية – الاسرائيلية الوحشية الدائرة الآن ضد إقليم غزة الفلسطيني وسكانه المدنيين.

من الواضح أن الصمود الفلسطيني غير المتوقع اسرائيلياً وأمريكياً قد وضع كليهما في مأزق واضح. الفشل الاسرائيلي في تحقيق أي من أهدافها المعلنة سواء في القضاء على حماس أو في تحرير الأسرى الاسرائيليين، قد أفقد اسرائيل القدرة على وقف الحرب دون الاقرار بالهزيمة، أما الاستمرار فيها ضمن أجواء يومية من المقاومة الفلسطينية بأشكالها المختلفة، فهو إقرار اسرائيلي ضمني بالهزيمة كون الفلسطينيين لم ينصاعوا أو يستسلموا للمطالب الاسرائيلية

يترك هذا الحال الفلسطينيين في المدى المنظور أمام خيارين: الأول، يتمثل بالقبول والانصياع والتعايش من منطلق الهزيمة والاستسلام وهو خيار تمثله السلطة الفلسطينية، والثاني، خيار الرفض والمقاومة وعدم قبول الأمر الواقع وجعل كلفة الاحتلال عالية وبشكل مستمر وهذا موقف تمثله حماس وكتائب القسام والجهاد الاسلامي. وخطة اسرائيل على ما يبدو تتمثل في جعل كلفة الخيار الثاني على الفلسطينيين عالية جداً لدرجة تمنعهم من تبني خيار المقاومة وهو ما تحاول اسرائيل فعله الآن في إقليم غزة.

إن الصراع الاسرائيلي – الفلسطيني لم يبدأ كما يعلم الجميع، في السابع من أكتوبر عام 2023، ولكن مرحلة جديدة متطورة من هذا الصراع قد ابتدأت في ذلك التاريخ . وهذه المرحلة تؤشر على أن الأمور لن تعود كما كانت، بل سوف تزداد سوأ مع مرور الوقت وليس العكس، مما يعني بالنسبة لأمريكا والعالم الغربي ضرورة العمل على الخروج من هذا المأزق بحل يرضي الفلسطينيين وبأقل تكلفة على إسرائيل، وليس الاكتفاء بالتركيز على وقف إطلاق النار باعتبار ذلك هو الحل.

مائة يوم على طوفان الأقصى

الزلزال والارتدادات

«لقد كان صراعاً من الدموع والنار والدم، ونحن فخورون به إلى أعماق أنفسنا، لأنه كان معركة نبيلة وعادلة»

باتريس لومومبا
خطاب حفل الاستقلال في 30 يونيو 1960

■ محمد العبد الله
كاتب وسياسي فلسطيني

مدخل

لم يكن صباح يوم السبت 7 تشرين الأول / أكتوبر كغيره من صباحات الأيام الأخرى. في ذلك اليوم أشرقت الشمس من الجنوب، هي ليست كالشمس العادية، إنها شمس الحرية التي أضاءت من قطاع غزة، فجر ذلك اليوم الذي دخل التاريخ ليتحول في أجندة الزمن إلى الحدث الأكثر تأثيرا عل صعيد الإقليم والعالم، لأن نتائج ارتدادات ما حصل ستنعكس على كل الكون، نظرا لما تشكله "المستعمرة/الثكنة" من نموذج تتباهى به أنظمة الغرب الإمبريالي وفي طليعتها الولايات المتحدة الأمريكية؛ كونها "واحة الديمقراطية" التي تحترم حقوق الإنسان، حيث يتم تداول السلطات فيها بواسطة صناديق الاقتراع، جوار دول "استبدادية وديكتاتورية تحيط بهذه «الواحة»!. لكن أهميتها الحقيقة لهذا الغرب، تأتي من كونها الذراع المسلح الضارب الذي يوفر الحماية لسياسات الهيمنة الإمبريالية، وبشكل خاص، النهب الاستعماري لكل بلدان المنطقة والإقليم، ولأن هذا الكيان المصطنع سيشكل حاجزاً في طريق وحدة الأمة ونهضتها.

منذ الساعة الأولى لبدء الاجتياح وتحرير المستعمرات والقواعد العسكرية في قضاء غزة، انكشف المستور تحت ضربات المقاتلين. تبخرت "فرقة غزة" تلاشت تلك النخبة التي كان جنرالات العدو يعتبرونها «جوهرة الجيش»، ما بين القتل والأسر والفرار.

ساعات طويلة وثقيلة انقضت على حالة «الصدمة وفقدان التوازن» التي عاشها كيان الغزاة الصهاينة ومعه داعموه، ومظلة أمانه، وشريان حياته، في عواصم المركز الإمبريالي وتوابعه من أنظمة التبعية والتطبيع في الأطراف مع كل الصور والفيديوهات التي تواترت على شبكات التواصل وعموم وسائل الإعلام، ظهر الجنرالات، عراة من نياشينهم وسلاحهم، وشبه عراة من ملابسهم، أذلاء، يسحبونهم شبان بكامل سلاحهم وعنفوانهم وإيمانهم بالنصر، لداخل القطاع الثائر. وقد حافظ المقاتلون الشجعان على سلوك يليق بالثوريين وبالعقيدة التي يحملونها، كما ظهر في تعاملهم مع العائلات داخل بيوت مستعمرات الغلاف ولاحقا مع كافة الأسرى، كما جاءت شهادات من أطلق سرحهم/ ن في عمليات التبادل.

في عواصم الغرب الإمبريالي، كانت الصدمة واضحة، صاعقة كبيرة ضربت الحكومات، ووزارات الدفاع بشكل خاص. لهذا هرع "بلينكن» اليهودي، كما قال بوقاحة فاقعة، أسقط خلالها صفته الدبلوماسية، ليس بسبب هول الصدمة، بل للتأكيد على الارتباط الروحي بالكيان، من حيث كونه «أرض الميعاد» حسب التلفيق الديني السائد، ولتثبيت حقيقة، أن الكيان الصهيوني ليس أكثر من امتداد روحي وثقافي وسياسي للإمبراطورية الأميركية بمهمات عسكرية وأمنية في الإقليم.

أما الرئيس "بايدن" فقد وصل سريعا للكيان ليؤكد صهيونيته مجددا، وهو القائل (لو لم تكن "اسرائيل" موجودة، لأوجدناها). واللافت في الزيارة، ليس ما صدر عن «بايدن» و»بلينكن» من تصريحات داعمة،

بل ترأسهما اجتماعات المجلس الحكومي المصغر بما يعني أنه أبعد وأعمق من إشارة تضامن، حيث أن الرد على الفشل الواضح في الأداء العسكري أولا، وعلى صعيد الجبهة الداخلية ثانيا، يتطلب من القيادة الأمريكية، السياسية والعسكرية، أن تُشرف وتدير «خطة مواجهة الكارثة / الزلزال». لهذا، سارعت البوارج البحرية بمختلف اختصاصاتها ومهماتها لتكون في البحر المتوسط بالقرب من سواحل فلسطين المحتلة، مع فتح مخازن السلاح الأمريكي لتزويد جيش الاحتلال بكل ما يحتاجه. وقد ترافق كل ذلك مع وصول الضباط القادة، وأصحاب الخبرات في العراق وأفغانستان، للقواعد العسكرية المتقدمة.

تسابقت الدول الغربية الأوروبية بإرسال رؤسائها للكيان المؤقت، لتقديم كل الدعم لمواجهة ما أسموه «إرهاب حماس وقتل المدنيين"، والعمل على إعادة التوازن لحكومة يغلب عليها، الفزع والتخبط والعجز، تدير كيانا متصدعاً، مما سارع بتشكيل حكومة طوارئ إنقاذيه.

جيش المستعمرة يُنفذ خطة الإبادة

انقضت مائة يوم على "الطوفان / الزلزال"، وفي كل ساعة مَرت على المذبحة والإبادة التي تنفذها طائرات العدو الصهيونية بالصواريخ المتفجرة والقنابل الفوسفورية، وقذائف المدفعية، والقوات التي اقتحمت برا يوم 27 تشرين الأول / أكتوبر، بالدبابات وناقلات الجند والمشاة، شمال القطاع، ومازالت عاجزة عن التحرك، بحرية، في شوارعه، التي خربتها و «حرثتها» جرافات D9، نتيجة الانقضاض والاشتباك المستمر الذي تقوم به المقاومة. كما تصطدم محاولات التقدم في أكثر من منطقة بالوسط والجنوب بمقاومة ضارية تخوضها – كما في المناطق - كتائب القسام وسرايا القدس وبمستويات أقل – كل حسب قدراته وإمكانياته التسليحية - كتائب "أبو علي مصطفى، شهداء الأقصى، ألوية الناصر صلاح الدين، المجاهدين، والمقاومة الوطنية»، مما ألحق بجيش العدو، خسائر فادحة، خاصة، ألوية النخبة، مما دفعها للتراجع والانسحاب في ظل خطة مستمرة وعلى مراحل، من التبديل وإعادة التموضع.

على امتداد المائة يوم، " ارتكب جيش العدو 2000 مجزرة، أدت لارتقاء 968 23 ألف شهيد، بينهم 10600 طفلا و7200 من النساء، كما بلغ عدد الجرحى 60582 ألف شخص، و7000 مفقود، 70% منهم من الأطفال والنساء".

وقد جاءت عمليات التدمير الواسعة للمباني السكنية والمدارس ومراكز الإيواء، و قصف المشافي، والمراكز الصحية واستهداف سيارات الإسعاف والكوادر الطبية، والحصار الخانق لمنع وصول إمدادات الماء والوقود والطعام والدواء، وملاحقة الجسم الصحفي والإعلامي بالنيران، وقصف مباني الفضائيات ومركبات البث المتنقلة، لتشكل جميعها أدوات القتل، والضغط على السكان لتهجيرهم وتحويل القطاع لمكان غير صالح للحياة .

يكتب الباحث الأكاديمي « صالح عبد الجواد » في مقارنة لما يتعرض له قطاع غزة، وما أصاب مدينة ستالينغراد (في غزة يموت فيها جراء القصف ما لا يقل عن 355 شخصاً يومياً جميعهم من المدنيين الأبرياء، وهذا الرقم لا يشمل من هم تحت الأنقاض والذي يتجاوز 2000 شخص. خلال حصار مدينة ستالينغراد نفسها الذي استمر 162 يوماً والتي تحوّلت إلى أيقونة مقاومة ضد النازيين وبشاعتهم، قتل في المدينة المكتظّة بالجنود 40 ألف مدني أي بمعدل 247 يومياً، أي أقل من معدلات قتل غزة).

والأكثر إيلاماً في العدوان الإجرامي على القطاع، ارتفاع عدد الأطفال الشهداء لأكثر من 10 آلاف طفل، بما تعنيه هذه الأرقام المرشحة للزيادة مع استمرار المذبحة مستقبلاً من خسارة كبيرة على الجيل القادم. هذا الاستهداف المقصود للأطفال نجد مرتكزاته ودوافعه في معتقدات / هلوسات «الأيديولوجيا الدينية» والتي هي بحق «أيديولوجيا الإبادة». في رأي الحاخامان، شابيرا وإليتسور، فإنه بالإمكان قتل الأطفال الرُّضّع أيضًا، لأنهم «يضرون بنا عندما يكبرون، وفي هذه الحالة يتم إيذاؤهم تحديدًا، ليس فقط من خلال الإضرار بالبالغين، بل كليهما معا«.

أما الفتاوى التي تحث على القتل العشوائي للمدنيين، والتي يتم تدريسها في المدارس الدينية العسكرية، فنجدها صادرة عن كبار الحاخامات اليهود الذين يشكلون ما يعرف بـ «رابطة حاخامات أرض إسرائيل «، برئاسة دوف ليئور، الحاخام الأكبر بمستوطنة « كريات أربع «، الذي يحظى بقبول كبير في أوساط الضباط والجنود المتدينين. وقد أباحت الفتوى لجيش الاحتلال قصف التجمعات السكانية الفلسطينية دون تمييز. وقد استند إلى هذه الفتوى عدد من الوزراء الإسرائيليين المتدينين لتبرير دعواتهم للمس بالمدنيين الفلسطينيين أثناء الحروب التي شنها الكيان الصهيوني على غزة سوء أواخر عام 2008 وفي صيف 2014، وجاء في هذه الفتوى أن «الشريعة اليهودية تبيح قصف التجمعات السكانية المدنية الفلسطينية، والتوراة تجيز إطلاق قذائف على مصدر النيران حتى لو كان يتواجد فيه سكان مدنيون».

الارتدادات الميدانية

لم تتوقف حدود الطوفان عند حدود غزة وباقي الأراضي الفلسطينية، بل امتدت تأثيراته لتغمر الوطن العربي، والعالم

_ فلسطينياً:

اتخذت سلطة رام الله منذ اليوم الأول للطوفان، موقف التشكيك بالدوافع التي جعلت قيادة «القسام» تتخذ قرار تنفيذ العملية، لتنتقل بعدها بشكل متدرج لمهاجمة «الخطوة الانفرادية المغامرة»، وصولاً إلى «ضرورة محاسبة حماس بعد وقف الحرب على غزة على ما ارتكبته بحق التدمير الواسع للقطاع وقتل الالاف بسبب عمليتها المتهورة»، كما جاء في تصريحات عدد من رموزها «الهباش» نموذجاً. كما غابت عن المشهد والفعل، مؤسسات السلطة، وعدد من «الفصائل» المشاركة بها.

على العكس تماماً، التهبت مدن وبلدات الضفة المحتلة بالمظاهرات المؤيدة للمقاومة في غزة، مما دفع بجيش الاحتلال لاقتحام العديد من المخيمات والمدن، التي تصدى لها أبطال المقاومة في كل المناطق التي تعرضت للاعتداءات الوحشية، مما أدى لارتقاء أكثر من 350 شهيدا، وتجاوز عدد المعتقلين من الضفة بما فيها القدس المحتلة 5850 معتقلاً.

_ عربياً:

- في اليوم التالي 8 تشرين الأول / أكتوبر فتح حزب الله جبهة الاشتباك مع الغزاة في شمال فلسطين المحتلة، بعدة عمليات في اليوم الواحد – حوالي 700 عملية، استهدفت أكثر من 70 موقعا عسكرياً، وأكثر من 20 مستعمرة، أدت إلى حركة نزوح جماعية 230 ألف مستوطن.

جاءت العمليتان النوعيتان المتتاليتان، كمؤشر على تصعيد عسكري في عمليات الحزب. في الأولى: تم استهداف قاعدة " ميرون " التي تنفذ مهام تنظيم وتنسيق وإدارة كامل العمليات الجوية باتجاه سوريا ولبنان وتركيا وقبرص والقسم الشمالي من الحوض الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، والواقعة في قمة جبل الجرمق يوم 6 كانون الثاني / يناير ب 62 صاروخا، وكانت الرد الأول على اغتيال القائد القسامي صالح العاروري ورفاقه في ضاحية بيروت الجنوبية. وفي الثانية: استهدفت قاعدة «دادو" مقر قيادة المنطقة الشمالية التابع لجيش العدو قرب مدينة صفد في الجليل المحتل بطائرات انقضاضيه متفجرة، في رد جديد على اغتيال القائد العاروري ورفاقه، واستهداف القائد في حزب الله وسام طويل في عملية اغتيال في بلدته الجنوبية.

- اليمن، دخل المعركة أيضا من خلال منع السفن المملوكة للكيان، أو المتجهة إلى موانئه، من عبور البحر الأحمر، طالما أن غزة خاضعة للحصار والعدوان. وبعد الاعتداءات الأخيرة التي نفذتها قوات أمريكية وبريطانية وتوابعها في « تحالف الازدهار « بضرب

عشرات المواقع داخل الأراضي اليمنية، ردت القيادة العسكرية بالإعلان «منع السفن الأمريكية والبريطانية من المرور بالبحر الأحمر»، وتم التنفيذ الفوري باستهداف باخرة أمريكية. كما نفذت القوات اليمنية عدة ضربات لميناء أم الرشراش ومناطق عديدة في جنوب فلسطين المحتلة، بالطائرات المسيرة والصواريخ.

- الحشد الشعبي في العراق، أعلن دخوله ميادين المواجهة المسلحة بالقصف الصاروخي والطائرات المسيرة مع العدو الصهيوني في فلسطين المحتلة والجولان، وضرب القواعد الأمريكية في العراق وسورية.

تفاوتت ردود الفعل الشعبي في التعبير عما أحدثه الطوفان داخل المجتمعات العربية. في الأسابيع الأولى، نزلت الجماهير العربية في شوارع وميادين وجامعات بعض العواصم، خاصة، مع مذبحة المشفى الأهلي / المعمداني، وخلال التدمير الوحشي الواسع للمباني السكنية ومراكز الإيواء. لكن هذه الجماهير المسكونة بتأمين لقمة عيشها واحتياجاتها الإنسانية الضرورية، وتعرضها لقمع حكومات التبعية – هذا ما ظهر في عواصم ومدن أنظمة التطبيع – وتراجع دور القوى السياسية الثورية، وتفريغ المنظمات الجماهيرية / النقابات، وإلحاقها بالمؤسسة الرسمية لنظام الحكم، كل ذلك، أدى لتراجع الحراك الشعبي مع استثناءات محدودة، نراها في اليمن والبحرين وتونس والمغرب.

على صعيد حكومات أنظمة التطبيع والتبعية، سجلت موقفها اللفظي المعلن، ضد الإبادة، لكنها في ذات الوقت، ضد ما حصل يوم 7 أكتوبر / تشرين الأول، بمضمون يحمل الإدانة لما أقدمت عليه كتائب القسام. هذه الأنظمة، حرصت على تقديم الدعم بمختلف أشكاله لكيان الغزاة، برا وبحرا وجوا، في مقابل تشديد الحصار على غزة، وحرمانها من كل أسباب الحياة الإنسانية، بمعنى أن هذه الأنظمة ليست محايدة، بل هي مشاركة في المذبحة، وطرف في تحالف العدوان على الشعب اليمني الشقيق الذي وقف مع مقاومة غزة وكفاح الشعب الفلسطيني، قولاً وفعلاً.

على الجانب الآخر، هناك موقف معلن مع المقاومة الفلسطينية وضد حكومة العدو، وداعميها، التزمت به عدد من الدول العربية، خاصة، المنخرطة بمحور المقاومة.

_ كيان العدو:

في الأيام الأولى التي أعقبت 7 أكتوبر، عاد التجمع الاستعماري بمختلف قواه السياسية للتوحد في مواجهة ما حصل في يوم «السبت الأسود». التطورات المتلاحقة، وانكشاف الترهل والعجز في المؤسسة الأمنية بسبب الإخفاق في استشعار الطوفان / الزلزال قبل حصوله، مضافا لذلك الانهيار السريع في « فرقة غزة « النخبوية، وتأخر وصول «النجدة» للتعامل مع «الصدمة» وامتصاصها، والإعلان عن مئات الرهائن / الأسرى من عسكريين، ومستعمرين «مدنيين»، واستدعاء أكثر من 320 ألفاً من الموظفين وأصحاب المهن الحرة إلى الالتحاق بالجيش، مما أدى لتعطل العجلة الاقتصادية والاستنزاف المتسارع للميزانية العامة بفعل تكاليف الحرب، وبدء وصول جثامين مئات القتلى من كبار الضباط والعسكريين من مختلف الرتب، واستقبال المشافي لآلاف الجرحى، وتوقف عملية تبادل الأسرى بين المقاومة وحكومة العدو، مما أدى لتفكك تلك المادة الصمغية، التي كشفت عن عمق التشققات في أساسات وجدران «المستعمرة / الثكنة»، وعن عودة التظاهرات وقطع الشوارع في المدن الكبرى احتجاجا على تعامل الحكومة مع نتائج ما حصل، والمطالبة بإسقاط نتنياهو. كما برزت خلافات عميقة في حكومة العدو، وداخل الائتلاف الحاكم، مع تدهور ملحوظ في شعبية حزبها الأساسي «الليكود» ووصوله لمستويات متدنية جداً، حسب آخر استطلاعات الرأي.

انعكاسات الطوفان / الزلزال في العالم

من سيدني إلى سانتياغو مرورا بطوكيو وجاكرتا ولندن وواشنطن وباريس وإستكهولم، والعديد من العواصم وكبريات المدن في مختلف قارات العالم، نزلت – ومازالت - الملايين إلى الشوارع، تهتف: فلسطين حرة، وأوقفوا الإبادة في غزة، والكيان المحتل، نازي وقاتل للأطفال. كما تأثرت بالحركة الشعبية، أحزاب ونقابات كبيرة في عواصم الغرب الاستعماري، وهذا ما تأكد في اتساع عدد المؤيدين للشعب الفلسطيني في صفوف الحزب الديمقراطي الأمريكي، خاصة، في الجامعات والنقابات، وحملة الاستقالات في عدة أحزاب ليبرالية و» يسارية» أوروبية، بسبب تأييد قيادات تلك الأحزاب لحكومة العدو في « الدفاع عن النفس « تلك الكذبة التي اخترعها النازيون الجدد، قادة كيان الغزاة، وحاولوا تسويقها في العالم.

جاءت دعوة حكومة جنوب أفريقيا لمحاسبة كيان العدو أمام محكمة العدل الدولية في لاهاي على جرائمه الموصوفة ضد الإنسانية التي ترق لحرب الإبادة للسكان، لتشكل سابقة تاريخية لاتهام ومقاضاة حكومة الإجرام على المذبحة التي ترتكبها، ولتُقدم للعالم نموذجا يحتذى في محاسبة الخارجين على القانون، ولتكشف عن جانب آخر، عجز حكومات 57 دولة من «ذوي القربى» عن المبادرة في إظهار الجريمة والمجرمين أمام المحافل الدولية. ويرى خبراء قانونيون دوليون في الكيان، بأن هذه الدعوى « خطوة أولى « على طريق الملاحقة القانونية – ومن دول متعددة – لقادة العدو، من سياسيين وعسكريين وأمنيين، أمام «المحكمة الجنائية الدولية"، لارتكابهم جرائم حرب وإبادة بحق المدنيين في قطاع غزة.

خاتمة

في 7 أكتوبر / تشرين الأول 2023 لم تسقط الجدران الفولاذية والالكترونية والأسلاك الشائكة التي ظن المستعمرون أنها تضمن سلامتهم، بل تهاوت «الفكرة" التي أسست لقيام "المستعمرة/الثكنة". كما أن نتائج تلك المعارك التي يسطرها المقاتلون بعملياتهم النوعية المقرونة بشجاعة أسطورية، جعلت «المسافة صفر»، سواء بالاشتباك المباشر، أو العبوة الناسفة على دبابة المير كافا، أو ناقلة الجند «النمر"، مادة يومية في الأخبار.

ما حصل في المائة يوم، أسقط كل مخططات المركز الإمبريالي وتوابعه في المنطقة والإقليم.، لأن عجلة التطبيع التي كانت تسير سريعا في بلدان التبعية، توقف الان ولأمد غير منظور. إن الجهود التي بذلتها واشنطن وحلفاؤها والتوابع / الأطراف، لمد «خط الغاز العربي» و «إقامة حلف ناتو عربي» أصبحت سراباً.

في السابع من أكتوبر الذي أرخ لمرحلة جديدة، حاسمة، في تاريخ الصراع بين قوى التحرر وقوى الاستعمار والهيمنة، تترسخ الفكرة / المقولة التي كتبها وكررها في كل لقاءاته، المثقف المشتبك، الفدائي، الشهيد باسل الأعرج (لاتحلموا بعالم سعيد مادامت "إسرائيل" موجودة).

طوفان الأقصى واستحضار التجربة الفيتنامية

د. رباب عبد الهادي
أكاديمية فلسطينية/ أميركا

من النادر أن تمر بين أيدينا أدبية أو خطاب للمقاومة الفلسطينية خلال أعوام الستينات أو السبعينات لا تتم به الإشارة بشكل أو بآخر إلى تجربة فيتنام وحرب التحرير الفيتنامية ضد الاستعمارين الفرنسي أولاً والأمريكي ثانياً وخصوصاً مقومات انتصارها الحاسم عام 1975. فيرد اسم الأمين العام للحزب الشيوعي الفيتنامي هوشي منه في كثير من التحليلات السياسية والحزبية بينما تقتبس كلمات الجنرال جياب في التحليلات والخطط العسكرية. وما زلنا نقوم حتى يومنا هذا باستلهام العبر والدروس من التجربة الفيتنامية.

وفي خضم المقاومة الباسلة والأسطورية في غزة ضد أقوى جيوش العالم وأكثرها تسلحا وشراسة وقدرات عسكرية واستخباراتية ناهيك عن الدعم المطلق الدبلوماسي والمادي الذي توفره له الولايات المتحدة وكأنها تعمل كجسر إنقاذ عابر المحيطات لكيان فاشي، يطرح السؤال نفسه حول مدى تطابق التجربتين الفيتنامية والفلسطينية وإذا كان بالإمكان أن نقول بأننا نشهد أو على الأقل مقبلين على بوادر لحظة فيتنامية في فلسطين؟

لا شك أن المقاومة الفلسطينية استلهمت دروسا من كافة حركات التحرر الوطني من الجزائر إلى كوبا وفيتنام وقارنت استراتيجياتها وتكتيكاتها وطبقت ما يناسب طبيعة ظروف المعركة والمجتمع والمحيط. وبالتأكيد درست المقاومة الفلسطينية تجربة الجزائر ولكنها استلهمت من فيتنام خصوصاً دروسا ومثالاً ونهجاً. وأعزي تركيز واهتمام فصائل اليسار الفلسطيني بالذات بتجربة فيتنام إلى عاملين تربطهما علاقة جدلية فالأول هو الطابع القومي الإسلامي لحركة التحرير الجزائرية التي لم يقدها حزب ماركسياً ولا يساريا (رغم وجود حزب شيوعي في الجزائر كان دوره وفعاليته على الأرض متواضعا) مما يتناقض ايديولوجياً مع الفكر اليساري الفلسطيني من ناحية ومن ناحية أخرى فقد قاد الحزب الشيوعي حركة التحرير الوطني الفيتنامي بفكره الماركسي وتنظيم الحزب اللينيني وتأسس جبهة وطنية عريضة بقيادته.

فنجد في مقارنة فصائل المقاومة الفلسطينية اليوم بالتجارب الفيتنامية والجزائرية أن هناك إرث من الاثنين من شأنه تصليب دعائم المقاومة إذا ما تمكنت الفصائل اليسارية (والوطنية المتأثرة بالفكر اليساري) إعادة النظر بمواقفها التاريخية ليس باتجاه رفض الفكر الماركسي وإنما لتصحيح الآثار السلبية والمدمرة لما أسميته بـ الأصولية العلمانية secular fundamentalism في أوساط اليسار الفلسطيني والعربي. الأصولية العلمانية - والتي ترعرعت وانتشرت خصوصا ما بعد أحداث 11 سبتمبر 2001- ترفض بشكل جذري إمكانية وجود فكر إسلامي تحرري وعليه فإنها لا تأخذ على محمل الجد الدور الرئيسي والاستراتيجي الذي تلعبه القوى الإسلامية المناهضة للاستعمار ونخص بالذكر حركتي حماس والجهاد الإسلامي التي انطلقت عام 1987 او الدور الرئيسي الذي لعبه حزب الله في تحرير جنوب لبنان جانبا لجنب مع القوى الوطنية اللبنانية الأخرى عام 2000. بل بالعكس فان التيار السائد في أوساط القوى اليسارية الفلسطينية والعربية والأممية كانت تاريخياً تعتبر القوى الإسلامية حركات عابرة. ولكن ملحمة الصمود في غزة بدأت تفرض نفسها اليوم لتؤكد على ضرورة اعتبار قوى المقاومة الإسلامية الفلسطينية جزأ رئيسياً في حركة المقاومة الفلسطينية وحليفاً استراتيجياً (وليس تكتيكياً) للقوى اليسارية حتى تحرير كامل التراب الفلسطيني وعودة الشعب إلى أراضيه التي طرد منها قسراً في نكبات ونكسات متعاقبة. وربما لا تحتاج حماس أو الجهاد الإسلامي من أي طرف ومن ضمنه القوى اليسارية الفلسطينية بالاعتراف ولكن تاريخ اليسار الفلسطيني وتضحياته -عدى عن صواب مواقفه التي اعتبرتها القيادة المتنفذة في منظمة التحرير مغامرة أو مثالية أو لا مسؤولة- يتطلب أن يراجع اليسار مسيرته ليقيم ما له وما عليه كونه الطرف الآخر الصادق والمخلص تاريخيا للقضية الفلسطينية وعدم تصفيتها.

هذا لا يعني أبداً بأن الجدل والحوار بين القوى اليسارية والإسلامية حول القضايا المحورية الأخرى كشكل المجتمع الفلسطيني وعلاقاته الاجتماعية بكافة أطيافها بما في ذلك شكل الدولة المستقبلية يجب أن يتوقف

للحظة واحدة. فكما تناضل الفصائل اليسارية بين بعضها البعض وفي حواراتها الداخلية أيضاً حول جميع نقاط التقاطع والاختلاف بشكل صريح وجريء ونقدي فمن المفترض بل المتوقع من قيادات الشعب المقاومة أن تلعب دوراً ريادياً وتكون القدوة لتشجيع أبناء وبنات شعبنا على المشاركة في هذا الحوار الحقيقي والبناء لتصحيح ما دمرته اتفاقيات أوسلو الاستعمارية والتي خدمت وتخدم مصالح العدو اولاً واخيراً.

ولا أدعي أن هذه مسألة سهلة فمن الصعب التخلي عن مفاهيم ومعتقدات قامت على أساسها حركات ومنظمات وشخصيات تاريخية ناضلت وقادت الشعب في تضحياته ونضاله لعشرات السنوات. إضافة لذلك فان اعتماد مبدأ الخندق الواحد لقوى المقاومة يتطلب أيضاً مراجعة والتخلي عن بعض المفاهيم التي تكبح جماح تقدمنا تجاه الحرية والتحرر كاستخدام التعابير الاستشراقية والعنصرية والتي ورثناها من أولئك الذين يدعون أنهم رعاة فكر «الحداثة» الغربي والذي يصب في خانة الخطاب الاستعماري العنصري ويوفر التبريرات للاستعمار الصهيوني والامبريالي لتصعيد سلطتهم علينا.

فليس من المعقول أن تستمر القيادات المناضلة والمثقفة باستخدام تعابير «القبلية» و«التخلف» و«العالم الثالث» و«غياب الحضارية» وكأننا نشّرع نظرية مايكل هنتنغتون في كتابه «صراع الحضارات» كما قام المفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد بتوجيه نقداً لاذعًا لهنتنغتون مستنداً إلى نظريته حول الاستشراق والعنصرية ضد العرب والشعوب الأخرى وعدائه للإسلام.

وهناك قضايا أخرى تختلف عنها التجربة الفلسطينية عن التجربة الفيتنامية فعدى أن طبيعة فيتنام التي كانت تسمح للثوار بالاختفاء في الأدغال فإن طبيعة غزة السهلية التي لا يتوفر فيها غابات أو جبال جعلت مهمة الاختفاء من ضربات العدو مهمة شبه مستحيلة لولا ابتداع حفر الأنفاق تحت الأرض كما قامت به الثورة الفيتنامية من قبلها وحزب الله لاحقا والتي كان من حظّي الشخصي زيارة قسم منها تحت مقر المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفيتنامي في هانوي من ناحية ومليتا من ناحية أخرى. ويستغرب بعض المحللين السياسيين والاستخباراتيين في تقاريرهم الصادرة بوسائل الإعلام الغربية وأذيالها العربية يوما بعد يوم بمدى تطور أنفاق غزة. ونلاحظ أن جزءاً من هذه التقارير يعرب عن إعجاب مبطن بينما طرف آخر يستخدمه للدلالة على «خبث» المقاومة وثالثاً يستخدمها لتبرير القصف الجنوني والإرهابي على مواطني غزة.

وفي كل هذه الأحوال تبرز العقلية العنصرية الاستعمارية والمتعجرفة التي مازالت في حالة رفض «denial» لأن يمتلك هذا الشعب الفلسطيني الصغير وأغلبه من العزل هذه القدرات الميدانية بمجموعة من القوات الغير نظامية تستخدم أسلحة بسيطة ومصنّعة محليا لكنها استطاعت دحر ألوية وكتائب من جيش نظامي مختبئ خلف الدبابات والمصفحات وطائرات الموت ولا يجرؤ على المواجهات الوجهية وإنما يصاب بحالات الاكتئاب لفشله في المعركة العسكرية وانتصاره في الإبادة الجماعية التي فاقت أي حالة سابقة.

وهنا أيضا تظهر أوجه التشابه ما بين فيتنام وفلسطين. فقد كان الاستعمار الأمريكي وقبله الفرنسي يستخف بقدرات هذا الشعب الصغير الذي أجبره بالنهاية على الرضوخ حتى على شكل طاولة المفاوضات في باريس. وكلا الحالتين تثبت مدى غطرسة الاستعمار العنصري الذي يستند إلى بديهيات يصدقها استنادا لقناعته بتفوقه العنصري لأن مجرد التشكيك بها يهد كل الأسس التي ربى عليها. فالتواضع لم يكن ابدا من خصائص المستعمر والمستبد والذي لم يعتاد على تجرؤ المستعمر بتحديه ورفض تفوقه وحتمية انتصاره. وفي هذا لا نستثني الجزائر ولا أي من حركات التحرر التي تعتمد على غباء العدو وغطرسته وامتيازاته الغير مبررة.

المسألة الأخيرة التي أود طرحها هنا وهي كيف نصف مواقف الولايات المتحدة في هذه الفترة وتاريخيا بالنسبة للقضية الفلسطينية. ربما أهم الاختلافات ما بين القضية الفلسطينية والفيتنامية والتي تربطها مصيرياً أن تحالف الدوائر الحاكمة الأمريكية (كما يطلق عليها الماركسي الراحل سي. ديبليو. ميلز C.W. Mills نخبة السلطة\القوة المؤلفة من المؤسسة العسكرية والسياسية والتنفيذية ورؤوس الأموال) لم تكن متفقة حول السياسة الأمريكية تجاه فيتنام فمنهم من كان شديد الحماس لتصعيد الحرب الإمبريالية كجزء من الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتي والصين الشعبية كنيكسون وكسينجر وجونسون ومنهم من كان يطالب بإنهاء ووقف نزيف الخسائر المالية والاجتماعية كمرشحي الرئاسة ماكجفرن وكينيدي ومكارثي وقد خسر كلاً منهم الترشيح أو الفوز بالانتخابات. وتعمق الخلاف في أوساط الدوائر الحاكمة الأمريكية بعد احتلال ال 67 وخصوصا ان الاستعمار الامبريالي في فيتنام كان يعاني من خسائر متزايدة بينما وفرت منطقتنا العربية إسرائيل كقاعدة عسكرية متقدمة وأنظمة عربية التي كانت إضافة إلى نظام الشاه في إيران موطئ قدم وبؤر لنشر النفوذ الأمريكي والصهيوني بالمنطقة بعد هزيمة الأنظمة الوطنية.

ومقابل تعمق الشرخ في مواقف الدوائر الأمريكية الحاكمة تجاه فيتنام فقد تعمق إجماع هذه الدوائر على دعم إسرائيل والعداء المتصاعد ضد القضية الفلسطينية وعدالتها. ولم نشهد دعما امريكيا رسميا لإسرائيل أكثر مما نشهده حالياً. فإن الحزبين الرئيسيين الجمهوري والديمقراطي يتنافسان على من يصدر مواقف أكثر دعما للكيان الصهيوني ومن المجازر وحرب الإبادة في غزة كل يوم. ويتعجب البعض أن الديمقراطيين المفترض أن يكونوا أكثر تقدمية وأكثر ليبرالية من أشد التعصب لإسرائيل، وعلى رأسهم الرئيس بايدن الذي قال عدة مرات ومرات إنني صهيوني وذكّر من نسى أنه كان معجب بإسرائيل منذ لقائه الأول مع غولدا مائير عام 1973 ودفاعه عن الغزو الصهيوني للبنان وفظاعة القتل والتنكيل التي ادعى مناحيم بيغن بأنه تبرأ منها.

اليوم لا تستخدم الولايات المتحدة حق الفيتو في مجلس الأمن الدولي لعرقلة أي خطوة تدين المجزرة الاسرائيلية في غزة أو تدعو لوقف إطلاق النار فحسب وإنما توفر غطاءاً كاملاً سياسياً وعسكرياً وتمول إسرائيل وتعوض عن الأسلحة التي تخسرها خلال عدوانها على غزة. فقد قام وزير خارجية الولايات المتحدة بلينكن بتجاوز القانون الأمريكي يسمح ببيع إسرائيل قذائف للدبابات بمبلغ يزيد عن 147 مليون دولار. وعليه فيجب اعتبار الولايات المتحدة شريك مباشر في المجزرة الاسرائيلية في غزة ملطخة أيديهم بدم الشهداء الفلسطينيين والتوقف عن وصفها بالطرف الدولي أو المحايد أو كما يتأمل بعض العرب والفلسطينيين يمكنها أن تلعب دوراً حيادياً أو دور وسيط وموفق ما بين الفلسطينيين وإسرائيل، كما جرت عليه العادة قبل وبعد اتفاقية أوسلو وكما يقول المثل الفلسطيني «اذا غريمك القاضي لمين تشكيه؟!»

وبالتالي هناك اتحاد بين الطبقة الحاكمة الأميركية أو لنقول دوائر الحكومة الأميركية دوائر السلطة وحتى الإمبريالية عموما، لأنها تتعدى حدود أمريكا وتتمركز في أمريكا، وتدخل فيها الدول الأوروبية الغربية، التي كانت تاريخيا جزء لا يتجزأ من الاستعمار، كما هي الولايات المتحدة، جزء لا يتجزأ من الاستعمار الاستيطاني العنصري الإحلالي الاقلاعي كما هي جنوب أفريقيا، والأمريكيتين، وأستراليا ونيوزيلندا.

وبناء عليه إذا كانت الطبقة الحاكمة خلال الحرب الفيتنامية الأميركية منشقة على بعضها، بحيث كان الانشقاق بمثابة جزئية أدت إلى إيقاف الحرب الأميركية على فيتنام فالسؤال الآن هل يمكن أن نشهد تغيرا بالنسبة لفلسطين؟ وكيف يمكن التأثير على تغيير موازين القوى حتى يتم خلخلة قبضه الدوائر الحاكمة.

هي المذبحة...

أن لا تصدَّها، فشريك فيها

ملحمة طوفان الاقصى.. التداعيات والمآلات

د. عادل سماره

كاتب وباحث مختص في الاقتصاد السياسي/ فلسطين

ومن بوسعه حصر الملحمة في كلمات! وقد نقلت الصراع إلى المحتل 1948 وحولت مستوطنين إلى اللجوء ودفعت بعضهم من حيث أتوا وبيَّنت أن القاعدة كاستثمار استراتيجي مربح للإمبريالية هي في النهاية محمية وعبئاً على صانعيها ودفعت قيادة الكيان لما بعد الانتقام مستعيدة السيرة الأخطر للاستيطان الرأسمالي الاقتلاعي الأبيض وهي الإبادة. وحيث مارست النازية محرقة مشتدة لليهود فانتقل الكيان من محرقة ممتدة ضد شعبنا إلى مزاوجتها مع المشتدة ومن هنا شنَّ العدو عدوانين أحدهما مع المقاومة تحت الأرض والآخر ضد أهليهم المدنيين فوق الأرض وصمد شعبنا في الحربين بينما يحاول الكيان إخفاء تثاقل جُنده وفراغ معنوياتهم.

وهرولت الإمبريالية بأجمعها إلى الكيان بين شد العصب والقتال نيابة عنه، كيف لا وهي تعلم أن وطننا الكبير آخر منطقة مباحة للاستغلال بتواطىء حكام قُطريات يتواشج مصيرها بحبل سُرّيٍّ بمصير الكيان.

أكدت المقاومة أن حرب الغُوار لم تفقد دورها ولا وهجها مبتكرة أشكالاً إبداعية تتغلب على تكنولوجيا راس المال المعولم مما يرغم الإمبريالية على قراءة أخرى ذات وقت قريب لدور هذا الاستثمار الذي يفقد دوره كاستثمار استراتيجي.

لم يكن على المقاومة أكثر من موقعة 7 تشرين الأول والصمود الأسطوري وتطوير تشرين 1973 لما هو أعمق من المحتل 1967. وإن جاز لنا القول فهي فاتحة عهد جديد كما معركة «ذي كار» قبل مجيء الرسالة حيث شكّلت انبعاثا عربيا وضع العروبة على عرش العالم، وهذا يؤكد أن العالم قد اهتز ووضعته 7 تشرين على عتبة تغيير معولم.

ساهمت الملحمة في تقعيد مختلف الأنظمة والمعسكرات كل في موضعه الطبيعي وهذا كشف لم يكن ليحصل لولا هذه المغامرة التاريخية.

أثبتت هذه المغامرة تاريخية المقاومة وانتقالها من حقبة وإبداع إلى آخر من المجاهدين للفدائيين للمقاومين وإلى ما سيأتي.

كشفت الملحمة عن ما لم ندركه من قبل حيث انتقلت الدولة القطرية من التخلي في عدوان 1982 إلى الخذلان هذه المرة. فأفهمتنا درساً في قراءة قانون الترابط الشامل للأحدث وخاصة الثورات. لقد وضعت الأنظمة العربية وحتى الإسلامية جميعاً في خانتها الطبيعية. بل وأخطر، فها نحن نشهد مساكنة ثلاثية بين السلطة والقوى السياسية والشعب في حالة أبعد من الهيمنة/غرامشي حالة الإنشباك بدل الإشتباك! وهذه مساهمة في ديالكتيك السقوط كاستثناء مقابل 7 تشرين ديالكتيك التاريخ الصاعد.

كان 7 تشرين لحظة الانتصار العالي، لكن الثورة المضادة بثلاثيتها الإمبريالية الغربية والكيان والصهيونيتين العربية والإسلامية التقطت أنفاسها بهجومها التطبيعي منذ 8 تشرين مباشرة الأمر الذي آخى المؤامرة والمذبحة

أثبتت الملحمة بأن النووي الحقيقي هو الذي يواجهنا به العدو أي التطبيع الرسمي العربي وتطبيع قوى ومثقفي الطابور السادس ومحاولة الوصول بالتطبيع إلى قلعة الجماهير العربية التي لم تُخترق لكنها تساكنت. نعم كانت المهزلة في تقيد الحراك الشعبي بالسقف الذي سمحت به الأنظمة بينما كان الشارع العالمي مختلف تماماً. أما النووي الحربي فهو ردع متبادل مما يحول دون تفعيله.

وهذا يفتح على حقيقة معولمة جديدة وهي التفارق بين الرسمي الشعبي على صعيد معولم والذي يبشر باحتمال الطلاق بين الشعبي والرسمي وحتميته في الوطن العربي وإن تأخرت.

وفي هذا الصدد لعب الإعلام العربي التطبيعي وحتى المقاوم دوراً خطيرا إتضح في مستويين:

الأول: تضخيم الفلسطيني إلى حد الزعم بأن الفلسطينيين وحدهم قادرين على هزيمة الكيان وتحرير فلسطين. وفي هذا تبخيسً لطبيعة الصراع وكأنه بين الفلسطيني والصهيوني. ولعل هذا يذكرنا بحقيقة إدراك عبد الناصر بأن الصراع مع الإمبريالية وليس محصورا في الصهيونية. ولسنا هنا بصدد التذكير بالجسر الجوي الأمريكي في حرب تشرين 1973 وقرار الغرب «ممنوع إنتصار العرب». وهنا يكفي أن نشير إلى انكشاف ظاهرة «الماخال» أي المتطوعين مع الكيان من جميع الدول الغربية بلا استثناء عام 1948، وها هي تتضح بل تُعلن.

إن تضخيم الفلسطيني هو في حد ذاته تغطية على الموقف الكارثي الذي وقفته الأنظمة العربية خاصة والإسلامية عامة في عدم القيام بإدخال علبة دواء لغزة! وهذا ليس عجزاً وإنما مخافة امتداد الظاهرة إلى تلكم الأنظمة. لقد سُمح للكيان بممارسة الذبح على الفضائيات مما أفلت مثقفي الطابور السادس إلى التجرُّؤ والكتابة ضد مجرد حصول ملحمة أكتوبر/تشرين الأول بثًّا

لسموم الندم على ما حصل.

إن الخطوة الطبيعية الثانية بعد خطوة 7 تشرين الأول هي حرب الشعب العربية طويلة الأمد بدءاً بمقاطعة حقيقية لمنتجات الأعداء وضرب مصالحهم اي مستعمراتهم مما يقود في الحد الأدنى لإرغام العدو على وقف المذبحة. هذا هو التفاقم والتطوير الطبيعي لتشرين وليس توجيه اللوم لتشرين لامتصاص فعله التاريخي.

وما أقل، وللأسف، الذين التقطوا ذلك الاستدخال للهزيمة بإعفاء الأنظمة العربية من دورها الذي كان يجب أن يكمل بالحلقة الثانية من 7 تشرين وهو التصدي للعدو بدءاً بقطع العلاقات الدبلوماسية بالحد الأدنى.

لذا شاهدنا ترويجاً وتوسيعاً لكتابات تبرر الاستقواء بالضعف وتضخيم الإمبريالة واسلحة الكيان مما قاد إلى لجم الكثير من القوى التي كان يمكن لها أن تفعل شيئاً ما.

والثاني اقتلاع القضية من عمقها العربي وهذا يقع تماماً في مخطط العدو بتوسيع التطبيع إلى كامل الوطن العربي.

يعيدنا هذا إلى السياق التاريخي لخطة وتآمر الإمبريالية ضد الوطن العربي بما هو الأكثر استهدافاً من اية بقعة في الكوكب وذلك منذ انتقال أوروبا الغربية خاصة من المركنتيلية إلى الثورة الصناعية فالرأسمالية الإستعمارية فالإمبريالية فالعولمة. واختصاراً، فإن وثيقة بانرمان في الحيلولة دون الوحدة العربية وإيلاج الكيان في فلسطين وهزيمة الناصرية وتدمير ثم احتلال العراق والعشرية السوداء في الجزائر واحتلال ليبيا والاستماتة لإنهاء سوريا والعدوان على اليمن وصولا إلى إهلاك لبنان إقتصادياً كل هذه مسار السياق التاريخي لاحتجاز الوحدة والتنمية في الوطن العربي. ومن هنا كان 7 تشرين صدمة لكل هذا، إلا أن هذا الإنجاز ووجه مباشرة من قبل الثورة المضادة والتي علينا أن نفهم ونُفهم الجميع بأنها موجودة تحت جلد الوضع العربي وبقوة. وهذا يعني شدة المواجهة بيننا وبينها.

لذا حُصر الدعم للمقاومة في دور المقاومة اللبنانية التي قُيِّدت رغماً عنها بحكم الظرف. لكن مساهمة المقاومة اللبنانية ومساهمة اليمن اثبت ما لا يود كثيرون رؤيته وهو أن البعد العروبي لن يغيب عن فلسطين.

وفي هذا الصدد، ليس من الحكمة اللجوء إلى لوم إيران التي اتخذت الموقف المنسجم مع مصلحتها الوطنية بتجنيب وطنها عدوان الإمبريالية والذي يشكل الشبق الأقصى لدى نتنياهو من جهة، ودعمها للمقاومة الفلسطينية واللبنانية من جهة ثانية بمعنى أن ليس من حقنا ولا تقبل عروبتنا أن يقاتل الصديق نيابة عنا لا في فلسطين ولا في أي بلد عربي آخر.

ينقلنا هذا إلى السمفونية المشروخة التي يعزفها البيت البيض بعدم توسيع الاشتباك لما هو ابعد من غزة. والحقيقة أن توسعة الحرب حصلت فوراً ومطلقاً من جانب الثورة المضادة إذ انخرط الغرب بقضِّه وقضيضه في العدوان وبالتالي صار المطلوب ولا يزال الرد في الجانب العربي تحديدا والإسلامي توسيعا وغير الإمبريالي عامة. وهذا بقي محصور في لبنان واليمن لا اوسع.

ولعل آخر ما أثبت ذلك العرض الأمريكي لليمن بوقف الدفاع عن غزة مقابل اعتراف الأمريكي بالسلطة العروبية في اليمن والتسريب لليمن بأن أمريكا لجمت الأنظمة العربية عن المشاركة في الدفاع عن غزة بل والضفة الغربية، ولكن في حقيقة الأمر هي ملجومة ذاتياً.

وسواء هو اللجم الخارجي أو اللجم الذاتي فهذا الأمر يفتح على ما يُدعى باليوم التالي! وهو الذي اسرَّت به الإمبريالية الأمريكية للكيان.

إن سؤال اليوم التالي هو سؤالنا نحن: ماذا بعد وقف العدوان بغض النظر عن أيلولتها؟

صحيح أن 7 تشرين مقدمة حرب التحرير وليست حرب التحرير نفسها، وهذا يعني أن علينا التعاطي مع اليوم التالي في اربعة مستويات:

الأول: مواصلة المقاومة وبالسلاح خاصة لقطع الطريق ما أمكن على التطبيع والمفاوضات وأكذوبة حل الدولتين ولجم المستوطنين لا سيما وأن الوعود بالحلول والمفاوضات ليست سوى تعميقاً للاستسلام وإنتاج حلول لغوية لا أكثر. أنها المقاومة التي على شعبنا مواصلتها ونقلها ما أمكن للشعب العربي وصولا إلى حرب الشعب. وهذا يفتح على الميلان نحو حل الدولة الواحدة في فلسطين وهو الحل النهائي كما نعرف ولكن ليس بالطبعة المألوفة منذ قرن بل بمضمون جديد قوامه أمرين هامين:

دولة واحدة ضمن الدولة العربية الكبرى .

مع خيار اليهود بين البقاء والرحيل وحق المتبقين في المواطنة دون تمسكهم ببيوت وأملاك العرب الفلسطينيين على أن تحل الدولة الجديدة والعالم متطلبات حياة مقبولة لهم بدل أن يتم خصي الأمر بالأطروحة المسحوتة: «تخلي الإسرائيلي عن صهيونيته» بل تخليه عن ما اغتصب.

والثاني: معركة إعادة تجليس القضية المركزية، اي القضية الفلسطينية في موضعها الطبيعي اي الوضع الشعبي العربي. وهذا يعني أن تحرير فلسطين هو مقدمة و/أو نتيجة لتحرر وتحرير الوطن العربي. وعليه، فإن الدولة العربية المركزية وحدها التي بوسعها إنجاز المهام التاريخية للعروبة بإسقاط الأنظمة القطرية لصالح دولة الوحدة أو الاتحاد وهي الدولة التي لا تحصل إلا وقد كنست مصالح /مستعمرات الإمبريالية في الوطن العربي بأسره وهذا ما يقود إلى تحرير فلسطين سواء بالقوة أو بالقوة والثقل الاقتصادي والسياسي لوطن موحد يتعاطى معه العالم طمعا في مصالحه معه بما هو كتلة واحدة سوق واحدة ثروات مسيطر عليها ممرات بحرية وجوية وبرية وبذا يكون لهذا العالم مصالحه مع وطن العروبة وليس مع كيان غاصب وفاقد لدوره. إن الاقتصاد بمفهومه الاقتصادي البسيط والمادي الموسع والمعمق هو العامل الحاسم والمقرر في التاريخ عامة وفي حاضر البشرية اليوم وهذا ما يؤكده ثقل ودور الكتل الاقتصادية الكبرى وسيطرة الكتل الكبرى على صغريات الدول تأييداً للمقولة التنموية المركزية بأن البلدان الصغيرة لا بد أن تكون تابعة غنية هي أم أفقيرة. وحينها قد تهز الصهيونية كتفيها في استسلام.

والثالث: وهو معركة الجدل الفكري والثقافي مع المثقفين اليهود التقدميين أو الأقل صهيونية وخاصة أن هذا الفريق قد نشط بعد 7 تشرين الأول بشكل ملفت للنظر داعياً لدولة واحدة متوقفاً عند هذا الشعار المعوَّم!. شعار رومانسي جميل لاشك، ولكنه لا يجيب عن سؤال: مضمون هذه الدولة الواحدة؟ وهنا لا نكتفي بالعنوان البراق «دولة ديمقراطية» ! فهي لن تتأتى دون تحرير، بينما هم ينطلقون من أن الكيان موجود ثابت وعلى الفلسطينيين التوحد معه! وحتى حين نصل إلى هناك ففي هذه الدولة يكون الصوت الفردي نفسه للأشد فقراً وللملياردير! وبوضوح: نقول لهم ماذا عن عودة اللاجئين الفلسطينيين إلى بيوتهم وممتلكاتهم ؟وقد يقبل بعضهم بالحل الاشتراكي، ولكن حتى الوصول إلى هناك لا بد من إعادة الأرض والمساكن لأصحابها، ولا بد أن يقبلوا بأن الدولة الواحدة هي ضمن الدولة العربية المركزية الاشتراكية في التحليل الأخير وهم فيها رعايا كغيرهم.

والرابع: وهو بلورة الخطاب في توجهنا إلى التضامن الشعبي العالمي الذي يقف معنا بوضوح؟ كيف ننقل إلى هذا التضامن أن معركتنا ليست استعادة المحتل 1967 بل مع التناقض الأساسي اي مع احتلال الكيان لمعظم فلسطين عام 1948؟ وفي هذا المستوى يواجهنا ثقل التطبيع العربي والرسمي الفلسطيني الذي ينطلق من الإقرار بأن المحتل 1948 هو للكيان؟ هذه معركة هامة وشديدة الحساسية مما يوجب بلورة خطاب لا يقود إلى انفضاض الكثير من هؤلاء المتضامنين إنسانيا معنا.

ننهي بلفت النظر إلى أن تهافت الأنظمة العربية فتح الباب لانضمام إمبرياليتين جديدتين لدعم المذبحة هما المانيا والهند!

الأسس الإيديولوجية للإرهاب الصهيوني المعاصر

■ د. سامي الشّيخ محمّد

باحث أكاديمي/سورية

لكلّ ممارسة عنصريّة وإرهابية أسسها الأيديولوجيّة الّتي تبنى عليها، بقصد تبريرها وإضفاء المشروعيّة السّياسيّة عليها، في حقل الممارسة العملية والتاريخية.

والعنصريّة الصّهيونيّة من أشدّ الأشكال العنصريّة غلوّاً في التّاريخ الإنساني المعاصر، ذلك أنّها تنفرد بجملة من المفاهيم العنصريّة لم تنفرد بها أيّ أيديولوجية عنصرية أو نظام عنصري سواء في: أفريقيا أو أمريكا أو في أي مكان آخر من العالم، فالفارق بين العنصريّة الصّهيونيّة الإرهابية وغيرها من العنصريّات، هو فارق بالنّوع والدّرجة، والدّليل على ذلك حقد الصّهاينة الغاصبين على الإنسان والطّبيعة بآن معاً، فالإنسان غير اليهودي وبخاصّة العربي، عرضة للاضطّهاد الصّهيوني، وما جرى لشعبنا العربي الفلسطيني في فلسطين ولبنان، وما يجري في قطاع غزة ومدن ومخيمات الضفة الغربية المحتلة هذه الأيّام، من حرب تدمير وإبادة وتطهير عرقي غير مسبوق، يؤكد صدقية القول بمدى بشاعة الإرهاب العنصري الصهيوني المستمد من أيديولوجية توراتية إرهابية زائفة، فقتل الأطفال والنّساء والرّجال والكهول وأسر بأكملها، وإزالة أحياء سكنية في قطاع غزة على بكرة أبيها، بأبشع صور القتل والتّدمير والإجرام على مرأى ومسمع العالم كله، كمثيلاتها من المجازر والجرائم الصهيونية الّتي ارتُكبت على أيدي عصابات الإجرام الهاغانا والشتيرن وغيرهما، في الطّنطورة وكفر قاسم ودير ياسين وقبية وصبرا وشاتيلا وقانا والخليل وجنين ونابلس ورفح وغزّة وغيرها من المدن والمخيمات والأحياء السكنية الفلسطينية، وتعذيب المعتقلين والأسرى في السّجون (الإسرائيليّة) في نفحة وعسقلان والرّملة والخيام وغيرها، وقتل الأسرى المصريين بالإضافة إلى مشاهد القتل اليومي والمنظّم بحق السّكان المدنيين في فلسطين والحيلولة دون وصول مئات الآلاف من الطلبة إلى مدارسهم وجامعاتهم المدمرة بقوّة السّلاح، وتهجير زهاء مليونين من أبناء شعبنا عن منازلهم في غزة -كلّ ذلك- شهادات واضحة عن طبيعة العنصريّة الصّهيونيّة الإرهابية الإجراميّة .

•أبرز سمات الممارسات العنصريّة الصّهيونيّة بحقّ الطبيعة ومظاهرها:

- هدم المنازل فوق رؤوس أصحابها، تدمير المنشآت الاقتصاديّة والمدنيّة.

-قطع الأشجار وتجريف الحقول والمزارع.

-تلويث المياه الصّالحة للشّرب والتّربة الزّراعيّة وسرقة التّراب والمياه العربية من جنوب لبنان والجولان وفلسطين المحتلة لمصلحة قطعان المستوطنين الصهاينة، بالإضافة إلى ردم آبار مياه الشّرب في المخيّمات والقرى والأرياف، بواسطة الطّائرات الحربيّة والجرّافات الثقيلة، وعبر إلقاء مئات آلاف القنابل والصّواريخ الثّقيلة.

-إزالة المرافق والبنى التحتيّة وغير ذلك.

إزاء ذلك يطرح السّؤال الآتي:

ما هي الأسس الأيديولوجيّة الّتي ترتكز عليها العنصريّة الصّهيونيّة؟

ثمّة أسس مستمدّة - في جانب كبير منها - من النّصوص التّوراتيّة والتّلموديّة الواردة في العهد القديم، والتّلمود الّذي يؤمن به اليهود حصراً، والّتي تصوّر اليهود بأنّهم العرق النّقي والمختار الّذي اصطفاه الله ليكون شعباً مقدّساً له من دون شعوب الأرض الّتي قَدَّر عليها اللعنة والهلاك وجعلها في صورة بشر لتكون قادرةً على خدمة هذه الفئة المقدّسة من البشر.

ولعلّ الكنعانيين أصحاب الأرض الحقيقيين لفلسطين وما حولها هم من ينبغي القضاء عليهم واستباحة دمائهم وممتلكاتهم من قِبَل هؤلاء القوم الضّالين حسب اعتقادهم. فوصيّة إله إسرائيل ليشوع بن نون خادم موسى: «كلّ مكان تطأه أخامص أرجلكم لكم أعطيته كما قلت لموسى من البريّة ولبنان هذا إلى النّهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثّيين وإلى البحر الكبير الّذي في جهة مغارب الشّمس تكون تخومكم « [يشوع 1: 3،4].

فهذا القول يشكّل غطاءً عقديا نَسَبَهُ اليهود إلى الله زوراً وبهتانا لتبرير اغتصابهم للأرض العربيّة بعامة وفلسطين على وجه الخصوص. وكما هو معلوم يستحيل استيلاء قوم على أرض قوم دون عنف وسفك دماء، الأمر الّذي يتطلّب مباركة إلهيّة لأعمال القتل والتّدمير الّتي يقوم بها الغزاة المحتلّون بحق أصحاب الأرض الشّرعيّين: «وفَتحَ

يشوع في ذلك اليوم مَقِيّدة وضرَبها بحدِّ السّيف وأبسل مَلِكها وكلّ الأنفس الّتي فيها لم يُبق باقيا» [يشوع 10: 28]» ثمّ اجتاز يشوع وجميع إسرائيل إلى لبنة وحاربها.. فضربوها بحدّ السّيف وقتلوا كلّ نفسٍ فيها لم يُبقوا فيها باقياً «[يشوع 10: 29، 30] وكذلك فعلوا بـ (لاكيش) و(عجلون) و(حبرون) و(بير) وبـ (جميع أرض الجبل والجنوب والسّهل والسّفوح) [يشوع 10: 31حتى 41].

وأمّا الاستيطان والاستيلاء على الأراضي العربيّة وما فيها فحجّته أنّ الله جوَّزها ملْكاً لبني إسرائيل حسب قوله:»أعطيتكم أرضاً لم تتعبوا فيها ومدناً لم تبنوها فأقمتم بها وكروماً وزيتوناً لم تغرسوها وأنتم تأكلونها « [يشوع 24: 13] وتستمرّ أفعال القتل والحرق والتّدمير على يد مجموعة من القضاة اليهود يظهر فيها الإرهاب العنصري بحق أهل الأرض الحقيقيين من الفلسطينيين: « وحاربَ بنو يهوذا أورشليم فأخذوها وضربوها بحدّ السّيف وأحرقوا المدينة بالنّار « [قضاة 1: 8].

والأمثلة والشّواهد كثيرة على العنصريّة الصّهيونيّة الّتي أصّل لها الصّهاينة اليهود لتبرير ممارساتهم اللاّإنسانيّة بحق الشّعب العربي الفلسطيني منذ زمن بعيد، الأمر الّذي يستدعي إعادة النّظر في جملة النّصوص التّوراتيّة الدّخيلة على الكتاب السّماوي الّذي أنزله الله على نبيّه موسى، ذلك الكتاب الّذي تشكّل الوصايا العشر حامله الأساسي والّتي تتناقض وتتعارض وتفترق بأكملها مع النّصوص الدّخيلة على التّوراة، تلك النّصوص الّتي وضعها كهنة اليهود وأحبارهم لتبرير بشاعة سلوكهم وفظاظة طباعهم وأخلاقهم. والسّؤال: ما السّبيل لانتفاء العنصريّة الصّهيونيّة عن اليهود؟ لعلَّ إعادة صياغة معتقداتهم الزّائفة بما ينسجم والقيم الأخلاقيّة والرّوحيّة والإنسانيّة السّامية، بحيث تصبح نظرة اليهوديّ إلى نفسه على أنّه إنسان كغيره من البشر، وبأنّه يكتسب أهميّته بمدى قربه من قيم الخير والجمال وليس بالنّظر إلى نفسه على أنّه إنسانٌ من طبيعة عرقية استثنائيّةٍ مفترضة من قبل إله عنصري شرّير، مهمّته القتل و الإبادة للأقوام غير اليهوديّة وتحويلها إلى خدمٍ وعبيد لدى من أطلقوا على أنفسهم شعب الله المختار زورا، يُشكّل السّبيل الأمثل للتّخلّص من العنصريّة الصّهيونيّة ، والشّروع في صياغةِ صورةٍ إنسانيّة للإنسان اليهوديّ بوصفهِ إنساناً بالمعنى الحقيقيّ للكلمة .

أجل أجل أجل تتجلى ماهية الفكر الإرهابي الصهيوني اليوم بأجلى وأبشع صورها أكثر ما تتجلى، على مرأى ومسمع العالم بأسره، على نحو غير مسبوق تاريخيا أيقظ الضمير الإنساني للشعوب الحرة على كوكب الأرض، وأماط اللثام عن حقيقة العقيدة الإرهابية للكيان الصهيوني، التي تجسدها جرائم الإبادة والتطهير العرقي والتدمير الشامل بالطائرات والمدافع (الإسرائيلية) الجارية على ارض غزة والضفة الغربية في فلسطين المحتلة.

إن عقيدة الإرهاب الصهيونية تعلن عن نفسها بشكل مفضوح يتعذر على وسائل الإعلام المضللة التي مارستها دوائر السياسة والإعلام (الإسرائيلية) طيلة العقود الماضية على مدار احتلالها لفلسطين، عبر ممارستها النازية العنصرية والفاشية عبر شعار: أنا أقتل وأدمر وأهجر إذا أنا موجود، في مواجهة أصحاب الأرض الشرعيين الفلسطينيين الذين يتبنون شعار المقاومة : أنا أقاوم الاحتلال الصهيوني وأنتصر عليه إذا أنا موجود.

•مفارقات الذهنية والسلوك ما بين الإرهاب الصهيوني، والمقاومة الفلسطينية:

ثمة مفارقات جوهرية تضع كلا من الذهنية والسلوك الإرهابي الصهيوني، والذهنية والسلوك الفلسطيني المقاوم، على طرفي نقيض، أبرزها:

-تركيز الجهد المسلح لرجال المقاومة الفلسطينية بقيادة كتائب القسام في معركة طوفان الأقصى، في السابع من أكتوبر الماضي، على جنود وضباط المؤسسة العسكرية والأمنية الصهيونية في مستوطنات غلاف غزة، وأسر مئات الجنود والضباط والمستوطنين، والتعامل معهم وفق الأخلاق الإسلامية، وأخلاق الحرب المنصوص عليها في الدساتير الدولية للأمم المتحدة، فكان الأسر (لأجل التبادل) الهدف الرئيس من عملية طوفان الأقصى وليس قتل الجنود والضباط إلا في حالة المواجهة العسكرية.

-ضمان أمن وسلامة الأسرى الصهاينة عسكريين ومدنيين، وحسن معاملتهم وفقا للقيم والأخلاق الدينية والإنسانية الأصيلة، دون امتهان للكرامة الشخصية لأي منهم بما في ذلك، الكلب الذي كان برفقة مستوطنة طيلة مدة الأسر، يأكلون ويشربون ويقدم لمرضاهم الدواء والعلاج والرعاية الصحية التامة، وتأمين المنامة الكريمة لهم، فالاحترام وعدم التمييز ما بينهم وبين الآسرين لهم من رجال المقاومة الفلسطينية، سواء في المأكل والملبس والمشرب والدواء والعلاج وحسن المعاملة، كان ولا يزال السمة الفارقة في التعامل معهم، فلا اعتبار يذكر في المعاملة معهم على أساس الدين والعرق وبالرغم من كونهم أعداء يحتلون الأرض الفلسطينية، وجيش كيانهم المحتل يقوم بالتدمير الشامل وجرائم الحرب والإبادة الصهيونية بحق أهل غزة والمربعات السكنية الآمنة والمباني والبنى التحية من فوق الأرض، لم يفقد المقاومون الآسرون قدرتهم على التحكم في أعصابهم حيال التعامل مع هؤلاء الأسرى.

-جميع المقابلات الإعلامية والصحفية مع الأسرى المحررين الذين جرى تبادلهم مع الأسرى الفلسطينيين في السجون والمعتقلات النازية الصهيونية، أكدوا بالصوت والصورة الحية على حسن معاملة رجال القسام وسرايا القدس وكتائب الشهيد أبو علي مصطفى وعموم عناصر فصائل المقاومة الفلسطينية معهم.

-تغير قناعات جميع الأسرى المفرج عنهم من غزة، حيال الرواية الصهيونية الزائفة بوجود حق لليهود في فلسطين وفاقا للآيديولوجية الصهيونية ذاتها، فقد دخلوا الأسرى أعداء مضللين بأفكار خاطئة عن فلسطين وأصحابها الشرعيين، وخرجوا أصدقاء متعاطفين مع آسريهم من رجال المقاومة الفلسطينية.

-في مقابل كل ما ذكرناه آنفا، فإن الممارسات الفاشية والنازية للكيان الصهيوني ومؤسسته العسكرية والأمنية تقف على طرف النقيض تماما، فجرائم الحرب والعدوان الجارية في قطاع غزة، والضفة الغربية المحتلة، حيث إلقاء مئات آلاف الأطنان من أسلحة الدمار الشامل من الطائرات والمدافع على المدن والأحياء السكنية على رؤوس النساء والأطفال والكبار والصغار، والمشافي ورياض الأطفال والمدارس والجامعات والأسواق، والأراضي الزراعية وآبار المياه وشبكات الكهرباء والاتصالات، وجميع المرافق والبنى التحتية في عموم قطاع غزة، وامتهان كرامة المحتجزين المدنيين لدى قوات العدوان الصهيونية من ابناء غزة، وسرقة أعضائهم البشرية وقتل وجرح زهاء تسعين ألفا من أبناء شعبنا المقاوم في غزة والضفة الغربية المحتلة، فضلا عن سوء معاملة أسرى شعبنا الفلسطيني في السجون والمعتقلات الصهيونية، وحرمانهم من الطعام والشراب والدواء وسوء المعاملة. كل ذلك يشكل مفارقات نوعية بين طرفي الصراع، الفلسطينيين والمحتلين الصهاينة.

إن حجم التعاطف الدولي مع نضال شعبنا الفلسطيني وقضيتنا العادلة، باتجاه تفكيك وإنهاء الكيان الصهيوني الفاشي عن عموم فلسطين، وتصويب الأفكار الخاطئة عما يسمى بدولة (إسرائيل) - التي مارستها الحكومات الغربية، والإعلام الراعي المتعاطف معها، منذ احتلالها لفلسطين، بمزاعم تضليلية زائفة - والتظاهر الجماهيري بقوة في جميع دول العالم، والدعوة إلى محاسبة المجرمين الصهاينة في المحاكم الدولية وإنهاء الاحتلال لفلسطين، جاء كمحصلة لإماطة اللثام عن الجوهر الفاشي والطبيعة العنصرية النازية للكيان الصهيوني وآيديولوجيته الإرهابية التي يعتنقها في ارتكاب جرائم الإبادة الجارية في غزة وعموم فلسطين المحتلة، وكثمرة للتعاطف مع مظلومية شعبنا الفلسطيني وقيمنا الإنسانية النبيلة، كشعب مناضل يتوق للحرية رافض للظلم والعنصرية والإرهاب الصهيوني بأشكاله كافة.

أثر الفراشة في غزة وحرب السرديات

■ د. موفق محادين

كاتب وباحث سياسي/الأردن

كما أثر الفراشة، غزة وأبطالها يشعلون حرب السرديات الكبرى على الصعيدين، العربي والعالمي، سرديات تسقط، وأخرى تنهض.

أولاً: على المستوى العالمي، ها هي سرديات وستفاليا قاب قوسين أو أدنى من السقوط، وهي السرديات التي تزامنت مع تفسخ الإمبراطوريات الإقطاعية البابوية لصالح أشكال من الدول الرأسمالية الحديثة في مناخات الحرب الطائفية التي أشعلها ملوك أوروبا في ألمانيا، وانتهت باتفاقية وستفاليا 1648 ودولتها التي راحت تكتسي ملامح العقد الاجتماعي، سواء عند جون لوك أو توماس هوبز، ولعل الأهم فيها فيما يخص بقية أمم وشعوب الأرض، هو طابعها المتروبوليتاني (المركز الرأسمالي ومحيط المستعمرات)، والذي قدمه الغرب الرأسمالي المتوحش في خطاب ليبرالي راكم عليه ما عرف بالقانون الدولي والقانون الإنساني ضمن مقاربات عنصرية وحقول الأنثروبولوجيا والاستشراق. كما لم يتردد حيث يلزم من إطلاق حروب الإبادة هنا وهناك باسم تمدين (المتوحشين) من إبادة ملايين الهنود الحمر في أمريكا الشمالية والجنوبية إلى استخدام القنابل الذرية والسائل البرتقالي واليورانيوم المنضب.

ولم يكن سقوط الغرب الرأسمالي برمته واشنطن ودول الاتحاد الأوروبي في امتحان غزة ودعم حرب الإبادة الصهيونية ضد (الهنود الحمر) في غزة، سقوطاً مفاجئاً بالنظر إلى تاريخه، لكن المفاجئ فيه أنه دخل لأول مرة مرحلة هبوطه والسقوط المنتظر لرموزه الإجرامية كما سقطوا بعد العدوان الثلاثي على مصر 1956، بن غوريون رئيس حكومة العدو، والبقية من رؤساء حكومات فرنسا وبريطانيا ومن في حكمهم، والأهم الأهم، سقوط الخطاب الليبرالي ومفرداته، مفردة مفردة، من حقوق الإنسان إلى كذبة الدولة العلمانية.

ثانيا: على مستوى النظام الرسمي العربي، وسرديات الغرب المتروبولي في أرجاء هذا النظام، ولا سيما الدول والكيانات التي انتزعت من رحم سوريا التاريخية والعراق سواء عبر وعد بلفور والمشروع الصهيوني أو عبر اتفاقية سايكس-بيكو ودولها وهوياتها الكيانية القاتلة.

في السابع من أكتوبر أطلقت المقاومة الفلسطينية العد العكسي لسقوط إسرائيل الاشكنازية وما ينتظرها من هجرة معاكسة وتحويلها من شريك إجرامي لواشنطن إلى ثكنة حاخامية من طينة داعش على طريق نهايتها، كما خلخلت المقاومة كل مشروع الشرق الإبراهيمي وأوهام (إسرائيل الكبرى) على طريق الهند الشرقية الجديدة وصولاً إلى ميناء حيفا المحتل.

ومن ضروب الفانتازيا الجديدة أن ما تبقى من كيان الحاخامات قد يجد صدى لخرافة هارمجدون عند اليمين الأنجلوسكسوني إذا ما تفاقمت أزمته البنيوية التي تضرب الإمبريالية في كل مكان وتحيلها إلى قوة بين القوى العالمية بعد أن مادت وسادت قروناً

العودة إلى الفهرس

مديدة.

هذا عن الطبعة الصهيونية من سرديات المتروبولات في الشرق، أما عن الطبعة العربية منها فقد أظهر الطابع الكياني لدولة سايكس بيكو وأشباهها وهوياتها القاتلة كم أطلقت هذه الكيانية القطرية مخاوف فئوية لدى القوى التابعة منها، دون أن تمتلك في الواقع ومنذ تأسيسها الحد الأدنى من الشروط الموضوعية لتجاوز هوياتها القاتلة وبناء نسيج مدني حقيقي عابر للطوائف والمجاميع ما قبل الرأسمالية، فهذا النسيج وتحققه مرهون بخطاب مختلف وتركيبة مختلفة بدلالة الأمة لا شظاياها. والأسوأ من كل ذلك البدائل التي قدمت عوضاً عنها أو إلى جانبها أو عبر مشارطها البيئة الكيانية ذاتها، فمن الأصوليات التكفيرية إلى الأوساط الليبرالية المزعومة وثوراتها الملونة التي تغذت من المتروبولات حيناً وحيناً من جزيرة الغاز المسال.

في الدائرة الفلسطينية – الأردنية

إذا كانت استهدافات العدو الصهيوني لغزة استهدافات ذات طابع أمني – عسكري بدلالة موقع هذا القطاع البطل في محور المقاومة، فإن استهدافه للضفة الغربية استهداف استراتيجي انطلاقاً من أوهامه وخرافاته باسم يهودا والسامرة والهيكل المزعوم، مما جعل الترانسفير أمراً أساسياً تحت عنوان الترانسفير المؤجل والمركب من تدابير إجرامية وأخرى ناعمة عبر تحويل الضفة إلى قوة طاردة، وتحويل الأردن إلى قوة جاذبة كما حدث مع وحدة الضفتين حين تركزت التنمية والصناعات أياً كان مستواها في الضفة الشرقية مضافاً إلى ذلك تسهيل العمالة الفلسطينية في الخليج لتوفير تحويلات مالية إلى هذه الضفة.

ولا يخفى على أحد كيف ساهمت اتفاقية أوسلو من جهة، ومعاهدة وادي عربة من جهة ثانية، بإضعاف البنى الاجتماعية التحتية فيما كان مطلوباً تحصينها ضد الترانسفير المؤجل.

فمنذ التوقيع على أوسلو، لم يتوقف الاستيطان مرة واحدة، وكذلك وضع اليد الصهيوني على أرض الضفة، إذ نعرف أن عدد المستوطنين اليوم 750 ألف مستوطن في أكثر من 300 مستوطنة وبؤرة استيطانية تمتد على 42% من أرض الضفة، وذلك غير ما يبتلعه العدو من مناطق (ج) و(ب) (وفق ما ذكرته جريدة الغد الأردنية الصادرة بتاريخ 2023/11/8).

من جهة ثانية، وبالرغم من حصول الأردن على الاستقلال 1946، إلا أن الحركة الصهيونية ومعها لندن وواشنطن لم تكف عن اعتباره منطقة خزان بشري لأزمات المنطقة بما فيها الحالة الفلسطينية.

وليس بعيداً عن استهداف البنية الاجتماعية للدولة في الأردن الاستراتيجية التي ينفذها البنك الدولي لتحويله إلى شكل من أشكال الدولة الجابية – الشرطية، وإضعاف مناعته إزاء الترانسفير المؤجل، وكذلك تجريف الحياة الحزبية والبرلمانية وقطع صلتها بتاريخها المعروف في عقود سابقة عندما كانت تعبيرات عن حياة حزبية وبرلمانية حقيقية.

ولعل الأخطر في الحالة الأردنية – الفلسطينية أن الترانسفير المؤجل في العقل التوراتي الصهيوني شديد الارتباط بإجماع القوى الصهيونية على أن ما بين البحر والصحراء (العراقية) أرض إسرائيلية يعيش عليها سكان عرب بإمكانهم أن يقيموا أشكالاً للسلطة على سكان وليس على شعب.

فالشعب والأرض مفهومان محتكران من الصهيونية مقابل السكان والجغرافيا، ومن هنا فالتوطين الفلسطيني المقصود توطين سكاني سياسي، بل إن الأردن نفسه في العقل الصهيوني حالة سكانية أيضاً.

السرديات الصاعدة

مقابل السرديات الهابطة في حالة نظام وستفاليا والغرب المتروبولي والنظام الرسمي العربي و(إسرائيل الاشكنازية)، ثمة سرديات في طريقها إلى الصعود على المستوى العالمي والإقليمي.

1. فعلى الصعيد العالمي، ثمة استعادة وإعادة اعتبار للجغرافيا السياسية والجيوبوليتيك، وهو حقل لم يولد في الشرق أو الجنوب، بل في المدارس الغربية، الأمريكية والأوروبية، وكان اهتمامه منصباً على شرق العالم حيث ربطت هذه المدارس الغربية بين بقائها في صدارة العالم وبين السيطرة على البعد الشرقي من هذا الحقل (روسيا والصين)، وخاصة فكرة قلب العالم الروسي أو الهارت لاند الأوراسي، فمن يسيطر عليه يسيطر على العالم كما يقول ماكندر أو من يسيطر على حافته كما يقول الجغرافيون الأمريكيون، سبيكمان وماهان.

ولهذا دعا الاستراتيجي الأمريكي، بريجنسكي، إلى تطويق روسيا عبر أوكرانيا وحزام أخضر إسلاموي يمتد بين تركيا وكازاخستان. وقد أظهرت التطورات الأخيرة أن لروسيا الباع الطويل في حسم هذه الحرب وآفاقها.

وبالمثل ما يتعلق بالصين وطريق الحرير والحزام والسيطرة الأكيدة للصين عليه، ولا يبدو أن مشروع الغرب الرأسمالي، الأمريكي – الأوروبي، تحت عنوان طريق التوابل، أو الهند الشرقية قادر على منافسة الطريق الصيني.

الأهم، هو ما يمكن استخلاصه من أوراسيا الروسية، وطريق الحرير والحزام الصيني كمناخات لعالم جديد. ولانشطار نسبي، شرق-غرب، لا شمال-جنوب، والمفارقة هنا أن الغرب الرأسمالي نفسه هو من كرّس ذلك على غرار مشروع الأمريكي هنتنغتون في (صراع الحضارات) وشاعر الإمبريالية البريطانية كيبلنغ صاحب القول الشهير: الشرق شرق والغرب غرب ولم يلتقيا.

2. على صعيد العرب والمنطقة، مقابل دخول دولة سايكس-بيكو العربية، ودولة وعد بلفور الصهيونية، نفق الهبوط التاريخي، ثمة جغرافيا وخرائط وهويات جديدة من أبر ملامحها:

-تقاطع الهارت لاند الروسي الأوراسي مع الهارب لاند الشرق أوسطي، إذ لاحظ ماكندر خلال الحرب الثانية أن للعالم الأوراسي قلبين بعد أن كان قد تحدث عن قلب روسي فقط خلال الحرب العالمية الأولى. وهو ما يعزز فكرة البحار الخمسة التي اقترحها الرئيس السوري، بشار الأسد (قزوين، الأسود، المتوسط، الخليج، والبحر الأحمر). وهي الفكرة التي كانت أحد أسباب الحملة الأطلسية على سوريا باسم الربيع السوري 2011.

ذلك يعني أولاً أن الشرق الأوسط لم يعد يقارب وفق الكيانات القائمة بل على مستوى الإقليم كله، وذلك يعني أنه في ضوء التكالب الأطلسي بقيادة واشنطن أن الاشتباك مع الأطلسي أخذ شكلاً جديداً تحتل فيه فكرة المقاومة ومحورها أهمية بالغة.

وذلك يعني ثانياً، أننا إزاء وبحاجة عمل على مستوى (الهلال) المقاوم الذي يضم سوريا التاريخية والعراق وإيران وكذلك اليمن.

-ارتباطاً مع ما سبق تسقط أطروحة (التحول الديمقراطي) ومركزها في جزيرة الغاز المسال، لصالح أطروحة التحرر الوطني التي تربط القضايا الاجتماعية والديمقراطية بالقضايا الوطنية وفي مقدمتها الاشتباك مع الحلف الصهيوني-الأمريكي وتبعاته.

-فيما يخص القوى غير الحكومية، ومقابل أدوات الأطلسي من القوى الليبرالية وجماعات الإنجوز (NGO) والثورات الملونة، وإلى جانبها الجماعات التكفيرية، وكلاهما جزء من استراتيجية الإزاحة عن التناقض الرئيسي مع الإمبرياليين والصهاينة، ثمة قوى غير حكومية يعول عليها الكثير في الصراع على جغرافية الشرق الأوسط والهارت لاند الثاني، وهي قوى المقاومة المسلحة التي تمتد من شرق الفرات وغربه في العراق وسوريا إلى الخاصرات البحرية الحاسمة: باب المندب حيث أنصار الله (الحوثيون وفق الخطاب الأطلسي) والجنوب اللبناني، حيث حزب الله، وغزة، حيث المقاومة القسامية، والجهاد الإسلامي، والجبهة الشعبية، والبقية.

فلسطين تثور

حركة التضامن الأممي

أحرار العالم يكسرون جدار الصمت

ويوقفون تجارة الهولوكوست

■ د. ليلى غانم
أكاديمية وباحثة سياسية لبنانية/ فرنسا

يحضرني منذ بداية احداث غزة كتاب إدواردو غاليانو «الاوردة المفتوحة لأمريكا اللاتينية» وهي رواية شيه توثيقية تعرض عذابات سكان امريكا الأصليين الذين اعتدنا على تسميتهم الهنود الحمر، والذين ذاقوا في مواجهة ارذال الأرض، ما ذاقه شعبنا الفلسطيني الابي، جُوعاً وَتَشْرِيداً وَمَوْتاً أَحْمَرَا على يد الصهاينة.

لا يمكنك ان تقرأ كتاب غاليانو بهدوء القارئ العادي، تتسلل اليك المعاناة مع كل مقطع، فتتوقف عن القراءة الما او غضبا. ولعل المشهد الأشد وجعا، ليست وحشية الإبادة بقدر ما هي فجيعة القادة، امام «القدر المحتوم»، قدر الاستعمار الذي هبط عليهم كالصاعقة وما بيدهم حيلة، ليحموا شعبهم من البطش الا قربان أجسادهم. فلم يعد لحكمتهم ولمعاني العدل والبطولة أي قيمة في لعبة حرب الإبادة. ويخطئ من يظن ان الرجل الابيض كان متفوق حضاريا على سكان أمريكا الاصليين. ان حضارات الانكا والمايا كانت في ذلك الوقت في قمة ازدهارها العلمي ومع ذلك أتت الغلبة للأشد توحشا. لقد كرس الرسام والنحات الماركسي المبدع دييغو ريفيرا حياته في توثيق حضارة شعبه نحتا، على جدران القصر الحكومي في قلب مكسيكو.

كان الهنود يؤمنون بان روح قادتهم تبقى بعد فراق الجسد فتنير طريقهم وتزيد شأوهم في مواجهة ضراوة ووحشية خصمهم، وتبقى في ان على حبل الصلة مع من سبقهم الى العالم الاخر. يقول المؤرخ الأمريكي هوارد زن الذي أعاد كتابة تاريخ الولايات المتحدة «من الأسفل» أي كما حصل في الواقع وليس كما كتبه المنتصرون، ان اخر زعماء قبائل الازتيك الذي سلم نفسه ليفدي شعبه، تم تقطيعه من المستعمرين البيض الى اشلاء سبعة، جرى تشتيتها في سبع نواحي متباعدة، لكي يكف الهنود على مواصلة القتال. فهل صدقت نبوءة محمود درويش «سنصبح نحن هنود التاريخ».

الحقيقة اننا لا نملك امام المعارك البطولية في غزة الا استحضار الاساطير، والميثولوجيا، ليس بقصد ادعاء الانتصارات وسط هذا الدمار والاشلاء البشرية، ولا لرفع الروح المعنوية، ولكن لرهبة وجلالة الموقف، فما يحصل على أرض فلسطين هو نوع من المعجزة استوقفت كبار الخبراء العسكريين في مدارس سان سير وغيرها. وهنا اغالط بعض المثقفين العرب الحذرين من المغالاة في تعظيم ما حصل مخافة ان نصحى على واقع مغاير وهو ان غزة لا تعدو عن كونها

مدينة فقيرة تقاوم دفاعا عن بقائها.

ان التاريخ في الواقع هو تاريخ إخفاقات وهزائم وثورات مضادة. ولكن الشعوب تأبى ان تقبع تحت ثقل «صخرة سيزيف» وتتطلع الى النور والعدل، فلا بد برأي زن لمدون التاريخ من امثاله، «ان يكون خلاقا وقادرا على التنبؤ بمستقبل مستطاع وسط تلاطم الاحداث، ليضيء، ولو في ومضات تاريخية قصيرة، على مسار البشر وقدرتهم على المقاومة والتلاحم والتضامن من اجل تحقيق النصر».

واراني لا اغالي اذ اقول ان أبطال غزة اشبه بأخيل وهرقل الخارجين للتو من الياذة هوميروس، وهم، لامحالة، سيدخلون التاريخ كأبطال في عيون ملايين المتضامنين الذين خرجوا الى الساحات لكسر جدار الصمت، ودعم صمود غزة. وهذا الصمود والرباط في الأرض، شكل العامل الأساس في اطلاق شرارة هذا المد العارم لحركة التضامن العالمية. قالت لي شابة يافعة كانت تسير بجانبي في احدى المظاهرات: «كنت اظن انني أناضل في سبيل تحرير فلسطين، اليوم أشعر مع أصدقائي ان فلسطين تحررنا.»

لقد انطلقت الشرارة الأولى لما يصح تسميته بثورة التضامن العالمي، بمظاهرات تعاطف مع أطفال غزة، ونسائها، وبهدف لجم جموح ووحشية انتقام إسرائيل لهزيمتها في 7 أكتوبر. بدأ التحرك في أوساط الشباب والطلبة يقودهم فلسطينيو الشتات وهم متواجدون في شتى بقاع الارض منغرسون في احياء الهجرة، ومنخرطون احيانا في مراكز مؤثرة على صناعة القرار في عواصم أوروبا وامريكا.

لقد مارست حكومات الغرب منذ 7 أكتوبر نوع من الماكارثية في مختلف المرافق الثقافية والإعلامية تحت طائلة القانون، وسار في ركبها بعض قوى اليسار، التي أعلنت بذريعة علمانيتها، ان حماس «إرهاب إسلامي»، ولا حل في فلسطين الا بنزع شوكتها. وعموما لم يكن لأي أحد الحق بالإدلاء براي مغاير. وكان على المعترضين على المذابح ادانة حماس أولا. ولكن الدماء التي سالت انهارا في غزة، ومعارك البطولة الملحمية، قلبت المعايير وحررت الجماهير من خوفها وترددها فخرجت الناس عن طوع حكامها، وكان طوفانا عارم لم تشهد له مدن الشرق والغرب مثيلا من قبل. وقد فاق بدفقه حركات المناهضة لحرب فيتنام او الحرب على العراق. وهنا عينة لبعض ما جرى:

خروج عشرات الملايين من البشر للشوارع في أكثر من 45 دولة في القارات الستة مطالبين بوقف اطلاق النار رافعين اعلام فلسطين هاتفين من اجل الحرية لفلسطين ومن اجل اعلاء الحق على الباطل

خروج 6000 مظاهرة رغم التعتيم الاعلامي في 400 مدينة أوروبية،

مظاهرات مليونيه متكررة في لندن، وفي عواصم اسيوية عدة، خلقت رعبا حقيقيا لدى المسؤولين الغربيين

خروج أكبر بتاريخ الولايات المتحدة مظاهرة في واشنطن عاصمة اعتى الإمبرياليات.

الاف حملات التواقيع لشخصيات ثقافية وسياسية لوقف إطلاق النار، اخرها عريضة حملت تواقيع 750 برلمانيا في العالم لوقف إطلاق النار الفوري.

ملايين التواقيع لضرورة محاكمة إسرائيل

رفع دعوة امام المحكمة الجزائية الدولية لمحاكمة إسرائيل بجرم الابادة وجرائم الحرب وجرائم ضد الإنسانية.

وأخيرا ليس اخرا دعوة افريقيا الجنوبية، التي قلبت المعايير لأنها عولمة للمرة الأولى تجريم اسرائيل وقوننة جرائم الكيان الغاصب، وهو من وضعه الغرب فوق القانون مع ان شرعيته لا تستند الا لقرار من الأمم المتحدة.

أحد الأمثلة المفاجئ بدلالته هو موقف السكوتلانديار التي رفضت أوامر الحكومة البريطانية بتعقب المتظاهرين المتضامنين مع اهالينا في غزة، بل على العكس من ذلك طلبت من كل الوافدين من إسرائيل او الفارين من الحرب، ان يدلوا بشهاداتهم للفظائع التي ترتكبها اسرائيل بحق الفلسطينيين، لكي يتم توثيق ذلك في ارشيفها، وقد تم حتى الان بالفعل توثيق 621 شهادة.

الذي يلفت الانتباه نوعيا أيضا هو تحرك قطاعات مهنية ونقابية بعينها مثل ما حصل في فرنسا وهولندا وبلجيكا حيث رفض العمال شحن بضائع واسلحة متوجهة لإسرائيل، كما وقعت تحركات نقابية من اجل فلسطين لأول مرة في عواصم العالم، شاركت بها على وجه الحصر نقابات كبرى مثل unite وunison في إنجلترا وبعض فروع CGT في فرنسا.

فلسطين تحفر في الوجدان الثقافي

اعتقدت طويلا ان الثورة الاهلية في اسبانيا هي من أكثر الاحداث التي حفرت عميقا في الثقافة، نتيجة مشاركة جل التقدميين والمبدعين في أوروبا والعالم بالحدث مثل بيكاسو واورتيز وفلوريس وبول الويار وفونتسيري وجدانوف وقد التحق بعضهم بارض المعركة مثل همنغواي.. ولكن ها هي غزة تحفر عميقا في الوجدان الإنساني وتستحوذ على الباب الشعراء والموسيقيين والمغنين والكتاب والمسرحيين، فتخرج علينا كل يوم مبادرات فنية من شتى انحاء المعمورة، اشعار ونصوص ورسوم واغاني تتدفق منها معاني الكفاح من اجل الحُرية، والحقيقة، والجمال. وها هي غزة تدخل التاريخ ليس من باب السياسة فقط بل من الابداع وهو الأشد لصوقا بالذاكرة الإنسانية.

وليس صدفة ان تكون مدينة غرنيكا في اسبانيا والتي دمرت تماما على يد الفاشية في الحرب الثانية، وخلدها بيكاسو بلوحة شهيرة تحمل اسمها، ان تقرع من اجل غزة صفارات خطر الغارات، لتنبه للعربدة الوحشية في فضاء فلسطين، وان يكون رسامون من العالم قد اعادوا تلوين اللوحة بالوان العلم الفلسطيني. نحن نحتاج في الواقع لموسوعة لتدوين وقائع هذا الطوفان المتدفق، ولكن رحى الحرب ما تزال تدور.

التضامن الطبقي يحل محل التعاطف الانساني

القضية الفلسطينية كانت وما تزال قضية في صميم الصراع الطبقي، يكفي أن ننظر إلى اصطفاف القوى لكي ندرك تمام الإدراك انه اصطفافا من اجل المصالح وأن إسرائيل التي أرادها الغرب رأس حربة له، في عملية وضع اليد على مقدرات وثروات امتنا ومنطقتنا، هي حليف عضوي من لدنه وهو مستعد في سبيل انقاذها، أن يقاتل، وأن يخرق كل القوانين والأعراف.

إن حركة التضامن الاممي التي أرادت في مستهلها أن تكسر جدار الصمت الذي تفرضه حكوماتها عن جريمة إبادة الشعب الفلسطيني، وأن تحملها المسؤولية عن الجريمة، سرعان ما ربطت بين واقعها المرير وصراعها ضد عناصر القهر والاستغلال في بلدانها وبين وحشية التعامل مع شعب غزة. لقد هال الجماهير أن يصل الاستفزاز الإجرامي حد المجاهرة والتعنت المكشوف. فأدركت برؤية ثاقبة الى أي حد يمكن للرأسمال المتوحش في حقبته النيو ليبرالية، ان يتمادى في تجرده من إنسانيته.

بدت مقولة ماركس عن توحش رأسمال أوضح وهو القائل: «انه كلما انتقلت البشرية من نمط انتاج الى نمط انتاج أكثر تقدما كلما تجرد الرأسمالي المستغل عن انسانيته، في عملية الاستغلال والاستعباد». ان تبجح بعض المسؤولين الأوروبيين مثل رئيسة المفوضية الأوروبية، على سبيل الحصر: «انه لايهم عدد القتلى المهم أن نصل لغاياتنا» بدا مقززاً. لقد كشر رأسمال عن انيابه وبانت شراسته.

في كتابه الهام العنف في التاريخ يبين الفيلسوف الماركسي جورج لبيكا ان تاريخ الرأسمالية لم يقم الا على العنف وما الوفرة والازدهار، بل الديمقراطية التي عرفها الغرب الا الوجه الاخر للاستعمار ولعملية

استغلال ونهب خيرات الشعوب الأخرى.

عبرت حركة التضامن العالمية عن روح التضامن الطبقي واعتبرت ان قضية فلسطين بحد ذاتها تفرز ككل مرة قوى الاستكبار والظلم والاستغلال عن القوى الناشدة للانعتاق والاستقلال والعدل والمساواة والحرية.

لقد حصل في الواقع عملية تماهي داخل حركة التضامن العالمي بين ما تعانيه من تهميش وظلم وفرض سياسات الافقار والتقشف وتقليص للحقوق وقمع للحريات على يد نظامها النيو ليبرالي، وبين الظلم والقهر والاستبداد والتمييز العنصري الذي يمارسه الكيان الصهيوني على شعب فلسطين.

لقد تميزت العقود الأخيرة الثلاث في النظام العالمي، داخل دول المركز، بهجوم منتظم على قطاعات العمل وعلى مؤسسات الدولة لتسريع تراكم رأس المال (تنفيذاً لتوصيات بريتن وودز والمؤسسات المالية) وانتصر منطق السوق على دولة القانون عن طريق آليات مالية وقانونية، أهمها انتقال مراكز القرار الى المفوضية الأوروبية والبنوك، وصندوق النقد الدولي.

لقد قضت هذه الاليات وما تزال مستمرة في غيها، على 200 سنة من النضالات الاجتماعية التي حققت بها الحركة العمالية والجماهير العريضة مكتسبات في حقول التعليم والصحة والخدمات وفي تنظيم نفسها كقوة مناهضة للسلطة لها حقوقها ونقاباتها واحزابها مما وفر لها مناخا ديمقراطيا سمح بالتداول على السلطة عبر انتخابات تعتمد المنافسة حول برامج وليس على سطوة المال وحدها. جل هذه المكتسبات ازيلت الان، وتحولت الدولة الى سلطة قمع على غرار انظمة العالم الثالث، وقد شهدنا في فرنسا بلد الثورة الفرنسية وموطن شرعة حقوق الانسان، باي شراسة تقمع الدولة الحريات وتقلص عمل النقابات وتلتف على الدستور، ورأينا البطش الذي واجهت به حركة السترات الصفر وقلع اعين 150 متظاهرا من بينهم، وقمع انتفاضة الضواحي، وفرض قوانين عنصرية، واعتقالات تعسفية بين الطلاب.

ان اتساع رقعة التهميش وحرمان الأغلبية الساحقة من الحقوق، وتحول المواطن الى مجرد مستهلك وزبون هي من اهم خصائص النيو ليبرالية. وقد تحول مطلب استعادة حقوق المواطن مطلبا مفصليا لدى المعارضة، وحركة التضامن العالمية التي تريد وقف الدم المهدور في فلسطين لديها شعور بانها تصون بذلك كرامتها وتصون على وجه العموم كرامة الانسان التي هدرت هي أيضا. هذا ما رددته على كل معظم كلمات الذين تتالوا على المنبر من امام قاعة محكمة العدل الدولية. لقد أعطت افريقيا الجنوبية الإشارة والتحق بها ركب الاحرار.

شكر جان لوك ميلنشون مثلا وهو زعيم حركة اليسار الأقوى في فرنسا التي كادت ان تطيح بماكرون بفارق 600 صوت ليس الا، قال: «شكرا افريقيا الجنوبية لأنك اعدت لنا كرامتنا، اعدت لنا قيمتنا كبشر لا ينبغي ان يسكتوا عن الظلم، فكيف عن الإبادة». وقال: «أهمية هذه المحكمة انها من خلال نصرة غزة، ارجعتنا الى الطريق القويم، فمن لايريد لشريعة الغاب ان تسود ولمنطق القوة ان يحكم الشرائع والعلاقات الدولية، عليه ان يعمل على سيادة القانون».

وها هي محكمة لاهاي تعيد الامل بتحقيق مثل هذه الأمنية للشعوب بضرورة الاحتكام لمرجعة الحقوق، إذا ما أردنا الخروج من الحروب الضارية التي تفرضها الامبريالية على شعوب الأرض.

لقد فهمت القوى الفاعلة داخل حركة التضامن الاممية ان سياسات «وضع اليد» وتسعير الصراع الأمني بين «الإرهاب» و «مكافحي الإرهاب». وهو الذي وفر و يوفر غطاء «أخلاقياً» للسياسات الأمنية بالاعتداء على الحريات والحقوق في دول المركز وشن الحروب في الخارج بدأ من خرق المجتمعات بحروب أهلية دائمة أو عن طريق الحصار الاقتصادي التجويعي أو الانهيار المالي وصولا الى الحروب المباشرة.

لقد حققت هذه الثورة نتائج كثيرة سوف تؤثر عميقا في مسارات القوى السياسية المناوئة للإمبريالية وتبدل قواعد المواجهة مع العدو الصهيوني، وتلك بعضها:

حققت حركة التضامن العالمي مع فلسطين والفضل المحقق في ذلك يعود للشباب المتمرسين، انقلابا حقيقيا في مجال الاعلام الالكتروني البديل اذ استطاع الشباب عبر التحكم بمنصّات التواصل الاجتماعيّ وتحديثها واستنباط طرق لتحريرها من الرقابة، والالتفاف على وسائل كبح انتقال المعلومة، وأساليب أخرى لا مجال لعرضها هنا، من كسر حصار القنوات الرسمية ووسائل الاعلام المكتسبة للحكومات الغربية. ان كسب هذه المعركة هو الذي سمح بنقل الصورة والمعلومة وخرق جدار التعتيم عن الحقائق المفروض على الشعوب. وبات الكل يعلم اليوم من هي القوى المالية المسيطرة على وسائل الاعلام في عواصم الغرب خاصة بعد ان كشفت وثائق وكيليكس عن الشبكات والإعلاميين المرتبطين بسفارات إسرائيل.

كشفت حركة التضامن عن الوجه الحقيقي البشع للكيان الصهيوني، فلم يعد من الممكن اليوم ان تستخدم إسرائيل ما يسميه نورمان فنكلشتاين «صناعة الهولوكوست» وذرف دموع التماسيح على المحرقة وضحاياها. السمكة كفت عن الإمساك بالطعم كما يقول اميل حبيبي.

لقد أدركت حركة التضامن الأممية من الان فصاعدا انه منوط بها الدفاع عن القانون الدولي والقيم الإنسانية في وجه البربرية الحديثة.

لقد كشفت حركة التضامن أيضا عن القطيعة البينة بينها وبين حكامها، وابرزت نفاقهم في الكيل بمكيالين مقارنة بالحرب الدائرة بين روسيا وأوكرانيا. وسوف يكون لذلك تأثيره في الانتخابات القادمة.

إن حركة التضامن مستندة الى صمود اهل غزة، أحبطت مساعي إسرائيل الحثيثة والأموال الطائلة التي رصُدتها في العقود الأخيرة، لطمس قضية فلسطين وإزاحتها من دائرة الاهتمامات في كل المجالات السياسية والثقافية. وها هي فلسطين وقضيتها تنتقل من الهامش البارد إلى الصدارة.

استعادت حركة الجماهير الواسعة روحها الأممية اذ تعتبر ان معركة تحرر فلسطين من ربقة الاستعمار العالمي الذي شكل تكتلا عالميا بكل ترساناته العسكرية والاقتصادية والإعلامية ليذود عن ربيبته البشعة، هي معركتها وان سقوط غزة سيعني سقوطها أيضا في مواجهة عدونا المشترك.

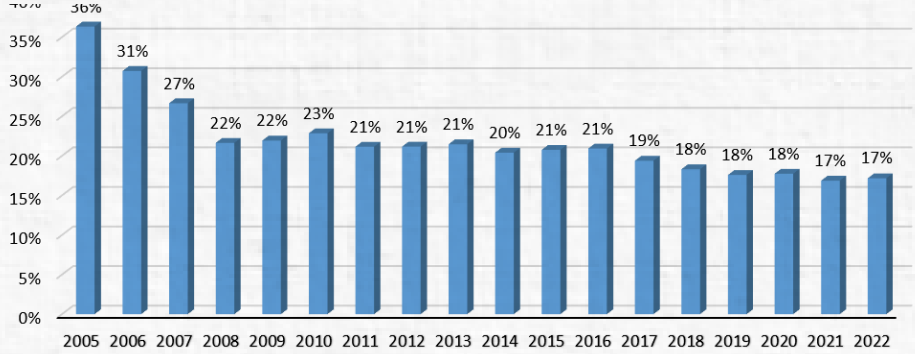

الأبعاد الاقتصادية

للعدوان الإسرائيلي على غزة هاشم

أ. د. مصطفى العبد الله الكفري

أستاذ في كلية الاقتصاد ـ جامعة دمشق

بلغ عدد سكان قطاع غزة مليونين و375 ألفا نسمة نهاية عام 2022، عدد الذكور مليون و204 آلاف نسمة، بنسبة 50.7%، عدد الإناث مليون و170 ألفا نسمة بنسبة 49.3%. مساحة القطاع 360 كيلومتراً مربعاً، 41 كيلومترا الطول، وبين 6 و12 كيلومتر العرض، تحده إسرائيل شمالاً وشرقاً، والبحر الأبيض المتوسط غربا، ومصر من الجنوب الغربي.

(مع توقف اقتصاد غزة عن العمل اعتباراً من الربع الأخير لعام 2023 ولأجل غير معروف، ومع تدمير البنية التحتية الاقتصادية والسكنية المتواصل منذ أسابيع إن لم يكن لأشهر قادمة، يصبح الحديث عن «خسائر» في الجانب الاقتصادي، كما في جولات سابقة، غير واقعي وغير مجد وغير مفيد. أمام مشهد حرب بين قوتين، إحداهما عملاق عسكري يحركه اقتصاد بحجم 150 ضعف الطرف الفلسطيني المنهمك أصلاً، فإن هدف إعادة اقتصاد قطاع غزة الى ما كان عليه قبل 2023 ليس كافٍ. لن يكون ممكناً إعادة تحريك عجلة الاقتصاد السلعي والخدمي والمالي بعد هذه الحرب، إلا بعد تلبية الاحتياجات الإنسانية غير المسبوقة وغير المحسوبة، لإطعام وإيواء ورعاية أكثر من مليوني فلسطيني مشرد ونازح وجريح ومصدوم في قطاع غزة). [1]

يعيق الحصار المفروض على غزة منذ عام 2007 حركة الأشخاص والسلع والوصول إلى الخدمات الصحية والخدمات الأساسية الأخرى. ويعتمد 80٪ من سكان غزة على المساعدات الدولية. العيش في غزة في ظل الحصار يعني العزل في واحدة من أكثر المناطق ازدحاماً في العالم، أي بدون كهرباء نصف الوقت، وبدون وصول كافٍ إلى مياه نظيفة، أو نظام صرف صحي مناسب.

(انخفضت الاستثمارات في عام 2022 إلى 10.7٪ من الناتج المحلي الإجمالي لغزة، أو 1.9٪ فقط من الناتج المحلي الإجمالي الفلسطيني. بين عامي 2006 و2022، تقلص نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي الفعلي في غزة بنسبة 27٪، في حين انخفضت حصة قطاع غزة في الاقتصاد الفلسطيني من 31٪ إلى 17.4٪).

ونتيجة لانهيار الناتج المحلي الإجمالي، خلال عقد ونصف منذ عام 2007، قفز معدل الفقر في قطاع غزة من 40% إلى 56%. وارتفعت فجوة الفقر من 14% إلى 20%، وتضاعفت التكلفة السنوية لانتشال الأفراد من الفقر أربع مرات من 209 مليون دولار إلى 838 مليون دولار (بالأسعار الثابتة لعام 2015).

أكثر من 60٪ من الشباب بين الخامسة وعشرين والخامسة وثلاثين من العمر، عاطلون عن العمل، والدخل القومي الفردي لم يتعدى 1257 دولارا سنويا العام الماضي، بعد أن كان حوالي 2000 دولار سنة 2008، وهذا يعني أن معدل دخل الفرد الشهري الغزاوي هو حوالي 100 دولار، عندما نعلم أن معيار الفقر المدقع هو مدخول أقل من ثلثي دولار ونصف في النهار، وفقا لمعايير البنك الدولي، فإن الأمر يعني أن كل سكان غزة، تقريبا، يعانون من الفقر المدقع.

كافة عمليات التجارة الخارجية من استيراد وتصدير في غزة تمر عبر إسرائيل، مما يؤدي إلى عجز كبير في الميزانية التجارية الفلسطينية مع إسرائيل يبلغ حوالي 28٪ من الدخل القومي، وهو، ربما، أكبر عجز تجاري في العالم نسبيا. (% 90 من المنشآت الاقتصادية في قطاع غزة توقفت عن العمل بسبب التدمير أو الحرب وعدم توفر المقومات اللازمة للعمل).

كان معدل البطالة في القطاع قبل السابع من أكتوبر 45%، ثم تجاوز 70% حالياً بسبب توقف 148 ألف عامل عن العمل، نتيجة العدوان والهجمات وتدمير البنية التحتية وتوقف الإنتاج. ومن المتوقع أن ترتفع نسبة الفقر في قطاع غزة إلى حوالي 90%.

جرى تقدير خسائر البنية التحتية والمنشآت في الشهر الأول من العدوان الإسرائيلي على غزة بما يزيد عن 3 مليارات دولار، كما أن 50% من الوحدات السكنية والمباني في قطاع غزة جرى تدميرها بشكل كامل، أي ما يُقدر بنحو 200 ألف وحدة وهذا الرقم سيزداد بمرور الوقت. [2]

(في الشهر الأول من الحرب، جرى رصد ارتفاع في أسعار السلع الاستهلاكية في قطاع غزة نتيجة نقص الوقود والإمدادات بواقع 12%، ما انعكس على القدرة الشرائية التي انخفضت. وفي الشهر الثاني، استمر الارتفاع بشكل كبير ووصل لما يزيد عن 26%، نتيجة نقص إمدادات السلع الأساسية التي تلبي احتياجات المستهلكين). [3]

منذ يونيو 2007، عانت غزة من الإغلاق البري والبحري والجوي. لذا يحتاج مواطنو غزة إلى تصاريح للتنقل داخل وخارج القطاع عبر نقطتي عبور بريتين تسيطر عليهما إسرائيل. كما أن قيود التنقل على لأشخاص والبضائع، وتدمير الأصول الإنتاجية في عمليات عدوانية عسكرية متكررة، إضافة إلى حظر استيراد التكنولوجيا ومدخلات الإنتاج الرئيسة، مما أدى إلى تدمير اقتصاد قطاع غزة.

1 - حرب غزة تدمر اقتصاد القطاع وترفع نسب البطالة والفقر، دي- العربية.نت، 2ديسمبر ،2023.

2 - حرب غزة تدمر اقتصاد القطاع وترفع نسب البطالة والفقر، مصدر سابق.

3 - المصدر السابق.

الآثار الفادحة لعملية طوفان الأقصى على اقتصاد العدو الإسرائيلي

■ د . أدهم شقير
باحث اقتصادي/ سورية

الهجوم المباغت في 7تشرين الأول لم يشكّل صدمة تكتيكية لإسرائيل فحسب، بل شكّل أيضًا اختبارًا عمليًّا لمنظومتها الأمنية والدفاعية

لقد حققت عملية طوفان الأقصى نجاحات مفاجئة، متحديةً التدابير الأمنية القائمة، وقد تشير إلى بداية انهيار أوسع للمشروع الصهيوني. قد يواجه الاقتصاد الاستعماري الاستيطاني في تل أبيب، الذي يعتمد على إخضاع الفلسطينيين، مستقبلاً محفوفاً بالمخاطر، وقد يمثّل حجر الدومينو التالي الذي سيسقط في هذا السيناريو الذي تتوالى فصوله.

إلى جانب الإذلال اليومي الذي يتعرّض له جيش الاحتلال في غزة والجبهة الشمالية، تكشف الجبهة الاقتصادية عن تدهور كامل لدولة الفصل العنصري المدعومة من الولايات المتحدة.

حيث ما يزال طوفان الاقصى يضرب الكيان الصهيوني في جوانبه كافة.

كيف تلقى الاقتصاد الإسرائيلي صدمة 7 أكتوبر؟

يُعد الاقتصاد الإسرائيلي من الاقتصادات الصلبة بنيويًّا، ويعتبر من الاقتصادات المتقدمة في المنطقة. ويمتلك هذا الاقتصاد قاعدة خدمية، وقاعدة صناعية كبيرة، وقاعدة زراعية على نطاق أضيق، تعتمد جميعها على تكنولوجيا متقدّمة. وعلى الرغم من القوة البنيوية من جهة، والدعم الكبير الذي تلقّته إسرائيل سنحاول سرد الآثار الكارثيه التي لحقت به ضمن السطور القادمة .

استشراف أولي لأثر الصدمة التي وجهتها عملية طوفان الأقصى إلى الاقتصاد الإسرائيلي، لذلك قد تعقبها تقييمات سلبية أكثر حدةً إذا فشلت إسرائيل في احتواء التداعيات الاقتصادية للصراع، واستمرّت حالة التوتر على الجبهة الشمالية، وتصاعدت إلى مواجهات عسكرية أشدّ قوةً وأوسع نطاقًا. أما إذا ازداد توسّع الصراع واتّجه إلى مواجهة إقليمية، وهو احتمال ما زال ضعيفًا بحسب التقديرات الراهنة، فإن النتائج ستكون حتمًا كارثية بالنسبة إلى الاقتصاد الإسرائيلي.

عمال بدون رواتب

كلّما ارتفع عدّاد أيام الحرب، الذي بلغ حتى الآن، الـ 121 يوماً، كلّما دخلت المزيد من الشركات التي تُعلن عن وضع الآلاف من الموظّفين في إجازة غير مدفوعة الأجر، وذلك بسبب التباطؤ الاقتصادي الذي ضرب السوق منذ بدء عملية "طوفان الأقصى وذكرت "مؤسّسة التأمين الوطني"، أنّه تمّ وضع أكثر من 021 ألف موظّف في إجازة قسرية غير مدفوعة الأجر منذ بداية الحرب.

فقدت سوق الأسهم الإسرائيلية نحو 9% من قيمتها الإسمية خلال الأسبوع الأول من عملية طوفان الأقصى

وهو أمرٌ يسمح بالقول إن عملية طوفان

الأقصى هزّت الاقتصاد الإسرائيلي بقدر ما هزّت المؤسّسة الأمنية والعسكرية والسياسية، ووضعت السياسات الاقتصادية لحكومة إسرائيل أمام تحدّيات صعبة؛

فتراجع سعر صرف الشيكل على نحو متسارع من شأنه تشكيل ضغوط تضخمية إضافية إلى الصدمة التي تلقتها سلسلة الإنتاج وما سينجُم عنها من ارتفاع في تكلفة الشحن والتأمين على المستوردات. على الرغم من تدخُّل البنك المركزي الإسرائيلي بشكل استثنائي، وضخ في بداية الحرب 03 مليار دولار في السوق من أجل كبح التراجع السريع في قيمة الشيكل.

من التحدّيات المالية إلى التداعيات الأوسع

الحكومة الإسرائيلية، في مسعى منها لاستعادة هيبة الردع، ترمي بكل ثقلها العسكري في عدوانها المستمر على قطاع غزّة، غير مكترثة بتكلفته المالية، فهي تدرك أن فشلها في ترميم صورتها ستكون له تداعيات أشد خطورة

ووفقًا لوزير المالية الإسرائيلي تقترب التكلفة المالية للعملية العسكرية التي تقوم بها إسرائيل ضد قطاع غزة من 052 مليون دولار يوميًّا، أي نحو 57.1 مليار دولار أسبوعيًّا، ونحو 5.7 مليار دولار شهريًّا؛ أي نحو 5.1% من ناتجها المحلي.

أفادت وزارة العمل الصهيونية أن 000,467 مواطن، أي ما يشكّل حوالي خمس القوى العاملة في تل أبيب، عاطلون عن العمل بسبب عمليات الإجلاء أو إغلاق المدارس وما يستتبعه من رعاية للأطفال، أو الاستدعاء لأداء خدمة الاحتياط ويُتوقع أن تتراجع الصادرات السلعية، ويتفاقم العجز التجاري الإسرائيلي بسبب الاختناقات اللوجستية التي تفرضها المعطيات الميدانية للحرب.

على الصعيد السيبراني والتكنولوجيا

هناك مؤشرات كثيرة على أن الدولة الصهيونية موهومة بشكل خطير بشأن استدامة اقتصادها. تكشف التقارير التي نشرها مركز الأبحاث التابع لمعهد سياسة الدولة. حول الأضرار التي لحقت بقطاع التكنولوجيا في إسرائيل، الذي كان سابقاً مصدر فخر وسعادة، ورائداً بسبب ازدهاره بشكل عام. أتت النتائج قاسية..

حتى في تلك المرحلة المبكرة، توقّع المعهد بناءً على الدراسة التي أجراها، حدوث «أزمة اقتصادية لا يزال حجمها غير معروف». وإجمالاً، أفادت 08 في المئة من شركات التكنولوجيا الإسرائيلية عن أضرار ناجمة عن تدهور «الوضع الأمني» في البلاد، في حين عرف ربعها «ضرراً مضاعفاً، سواء في الموارد البشرية أو في الحصول على رأس المال الاستثماري».

حيث من خلال حالة عدم اليقين والقرار الذي اتخذه العديد من المستثمرين «بالتردد» بسبب الوضع الحالي يضربان المنظومه التي كانت تكافح بالفعل لزيادة رأس المال، ويعود ذلك جزئياً إلى عدم الاستقرار السياسي قبيل الحرب، فضلاً عن الركود الاقتصادي العالمي».

ومن الأسباب الأخرى لفشل قطاع التكنولوجيا الإسرائيلي التي لم يذكرها المعهد

. - انكشاف أنظمة المراقبة الإلكترونية والحرب في تل أبيب بفعل طوفان الأقصى.

وخلص التقرير إلى أن عملية المقاومة الفلسطينية «من المرجح أن تؤدي إلى انخفاض كبير في أرباح قطاع الأمن السيبراني الإسرائيلي»، نظراً لأنها تمثّل ضربة خطيرة وربما نهائية لشعار «دولة الشركات الناشئة التي تعتمد بشكل كبير على الأمن السيبراني. وقد أكّدت الأحداث اللاحقة صحة هذا التوقع.

على صعيد السياحة والخدمات:

السياحة وما يرتبط بها من خدمات، وهي تُعدّ رافدًا مهمًّا من روافد الاقتصاد الإسرائيلي وميزانيته العامّة بناتج إجمالي يبلغ نحو 7.7 مليار دولار، قد تعرّضت لشلل كامل ذلك أن المعطيات تشير إلى إلغاء كلّ الحجوزات تقريبًا في الفنادق والمنشآت السياحية، في حين يجري استخدام نصف طاقتها الاستيعابية حتى الآن في إيواء عائلات جرى إجلاؤها من مناطق ومستعمرات قريبة من الحدود مع غزّة،

قطاع النقل:

لا يختلف الحال كثيرًا بالنسبة إلى قطاع النقل، والنقل الجوي على وجه الخصوص؛ إذ أعلنت مجموعة من خطوط الطيران العالمية تعليق رحلاتها إلى إسرائيل، وأصبح دور النقل الجوي المدني ينحصر في إجلاء الرعايا الأجانب والإسرائيليين الفارّين من الحرب. وعلى إثر ذلك، تراجع سعر سهم شركة طيران «إل عال» بنسبة 91% منذ بدأت عملية طوفان الأقصى.

فالاستدعاء الاستثنائي لكل قوات الاحتياط سيفرغ القطاعات المحركة للاقتصاد الإسرائيلي من مشغّليها، وستتسبّب حالة الخوف التي تكتنف العمالة الأجنبية وهروبها خارج إسرائيل، وتوقف استخدام العمالة الفلسطينية، في شللٍ كبيرٍ في الخدمات المساندة.

التأثيرات الأعمق لم تحدُث بعد

والإشكالية الحقيقية التي ستُواجه إسرائيل بعد توقف الحرب ستتمثل في حالة عدم اليقين التي باتت تحيط بمنظومتها الدفاعية والأساطير التي صنعتها حول قدراتها العسكرية والاستخباراتية.

ومن الناحية الاقتصادية، المتوقّع أن تفضي هذه الحالة العميقة من عدم اليقين إلى تثبيط الاستثمار، والحد من مستويات الاستهلاك، وضرب قطاعَي السياحة والنقل وغيرهما من الخدمات. وستؤثر هذه الحالة كذلك في جاذبية الاقتصاد الإسرائيلي للعمالة الأجنبية؛ ما يعني أنه سيواجه سلسلة من الارتفاعات في الأجور بسبب نقص المعروض من العمالة، خصوصًا إنْ أفضت هذه الحالة إلى هجرةٍ عكسيةٍ إلى خارج إسرائيل.

في الوقت الذي تتركز فيه الأنظار على التداعيات العسكرية والسياسية والأمنية لعملية طوفان الأقصى، التي أطلقتها حركة المقاومة الإسلامية (حماس) ضد مواقع عسكرية ومستوطنات إسرائيلية في محيط قطاع غزّة، يوم 7 تشرين الأول/ أكتوبر 3202، وما تبعها من عدوان إسرائيلي على هذا القطاع، تتعاظم آثار الحرب الاقتصادية، خصوصًا بالنسبة إلى إسرائيل.

عملية طوفان الأقصى لها بعد اقتصادي اقليمي ودولي

وجهة نظر للنقاش:

من الواضح أن عملية «طوفان الأقصى» وما تلاها من الحرب التي تشنها إسرائيل على قطاع غزة لها أبعاد إقليمية ودولية مرتبطة بتحقيق مصالح الدول الفاعلة إقليمياً ودولياً من منظور أمن الطاقة، حيث تسعى إسرائيل بشكل حثيث منذ سنوات لإنجاح مشروع خط أنابيب شرق المتوسط ليُعزّز أمنها ويرفع من أهميتها الجيوسياسية والاقتصادية، إلا أن المشروع مازال يواجه العديد من الصعوبات الفنية والجيوسياسية، وسيناريو نجاح مشروع خط الأنابيب سيكون له انعكاسات سلبية على روسيا التي حاربت ومنعت منذ عام 2991 قيام العديد من مشاريع الأنابيب التي تصل إلى أوروبا وأولها كان خط أنابيب «نابوكو» القادم من أذربيجان وتركمانستان إلى أوروبا عَبْر تركيا، ومن ثَمّ خط أنابيب يصل بين قطر وتركيا عَبْر سورية، كما أوقفت مشروع خط الأنابيب الإيراني عَبْر العراق وسورية إلى شرق المتوسط، وانطلاقاً من عرقلة روسيا لكل هذه المشاريع، لا يُستبعَد سيناريو تدخُّل موسكو في دعم حماس بشكلٍ مَا لعرقلة إنشاء خط أنابيب شرق المتوسط وحتى عرقلة إنشاء الممرّ الهندي الواصل إلى أوروبا عَبْر الشرق الأوسط، والذي تم الإعلان عنه مؤخراً كمُنافِس لمبادرة الطريق والحزام الصينية، مما يعني أنه ليس من المُستبعَد أن نشهد في المستقبل تطوُّر العلاقات بين حماس وروسيا على أساس المصلحة المتبادَلة، فحماس بحاجة لدولة كبرى تدعمها، والروس بحاجة لأدوات لمنع قيام مشاريع أنابيب الطاقة المُتوقَّعة من إسرائيل.

طوفان الأقصى محطة على طريق العودة

دقت أجراس فلسطين، وصدحت أبواقها:

الآن الآن وليس غداً

■ سامي سماحة

كاتب وعميد سابق في الحزب السوري القومي الاجتماعي/ لبنان

قرعت فلسطين أجراس العودة، ركب أبناؤها جياد المعركة، نزلوا الى الميدان رابطوا على الثغور، حلقوا في السماء كالنسور وهبطوا على الأرض كأنهم عاصفة من الريح والمطر، هاجموا من البحر كالموج الهادر، ومن البر كأسود تطارد الفرائس.

كانوا ينتظرون هذه اللحظة منذ قرروا أن تكون لهم الحياة بعز وكرامة، وأن تكون لهم الأرض والبرتقال والليمون وزيتون فلسطين والبحر والسماء، أن يكون لهم الأقصى وكنيسة القيامة وشوارع القدس القديمة وسور أريحا العظيم والبيارات ومرج بن عامر وفلسطين من البحر إلى النهر

لصباح السابع من تشرين الثاني نكهة بطعم نبوخذ نصر، بمعركة حطّين، بيوسف العظمة في ميسلون وعبور طارق بن زياد المضيق والوصول الى الضفة الثانية حاملا معه روح بلادنا بكل ما فيها من علم وفلسفة وأدب وقيم أخلاقية جديدة

نحن نستحضر التاريخ لا لنستعيده بل لنستمد من مواهبه وأحداثه روحنا المميزة ونبني عليها قوتنا التي هي القول الفصل في إثبات حقنا

إذا كان لكل قرن حدث يبقى آلاف السنين فإن طوفان الأقصى حدث القرن الواحد والعشرين الذي سيؤرخ لمعركة بين روحين، روح هذه الأمة مُطلِقة السفن المُحمَّلة بكنوز الفكر الى الدنيا والروح المتربية على صناعة الجريمة والتي أتت لى بلادنا من مشارق الأرض ومغاربها، ولن يتفوق على طوفان الأقصى سوى معركة الفصل بيننا وبين الصهاينة اليهود التي سيكون لنا فيها الكلمة الأخيرة.

لطوفان الأقصى نكهة البرق بتعدد ألوانه الذي لم تشهده بلادنا منذ قرون كثيرة، وهزيم الرعد المُساوي لزلزال العصر. طوفان الأقصى ليس معركة عادية بين جيشين، ولا حدثا مهما في كيان اجتمع العالم على طرد سكانه من أرضه، واستجلب رعاع القوم من بقاع الدنيا ليحملوا صفة مستوطنين فيه. إن طوفان الأقصى حرب، على نتائجها تُرسم خريطة العالم الجديد، إنها حرب بين إرادة الحياة وآلة الحرب بطرفيها، الأنسان

المتوحش وأدوات الموت المستعملة لإبادة الشعوب .

إن الحرب في فلسطين ليست حرب الحق مع الباطل فقط، ولم تعد حرب تحرير قومية فقط، ولم تعد حرب العودة الى فلسطين، لقد أصبحت حربنا في فلسطين بالإضافة الى أنها حرب من أجل قضية الأمة والوطن، حرب القيم الإنسانية، والقيم الأخلاقية مع قوى الغرب والولايات المتحدة الأمريكية وبعض العرب الذين سقطوا من عالم الإنسانية واستسهلوا إبادة الشعوب من أجل تحقيق مصالحهم المادية والنفسية التي هي أقرب الى عالم الذئاب من عالم البشر .

لقد حاول أعداء المقاومة ومعهم دولة العدو فبركة الأخبار التي تقلل من أهمية طوفان الأقصى فاعتبر بعضهم أن العدو كان يعرف بموعد العملية، وأنه سهل للمقاومة تنفيذها، و قام بعمليات القتل وتهديم المنازل، ليُبرر رده المتوحش على العملية، ونسي هؤلاء، أن الفبركات التي فبركتها دولة العدو والتي زعمت فيها ان المقاومة قتلت الأطفال، وركّبت الصور للكذبة كي تخدم الغاية من فبركتها، فشلت جميعها، وسرعان ما انكشفت للرأي العام المحلي والإقليمي والدولي .

مخرز فلسطين أطفأ عيون العدو فراح يضرب خبط عشواء، لا يهمه إن أصاب أو لم يصب،

غايته أن يرى الأبنية على الأرض كبساط منزلي متعدد الألوان، أن يرى الدم يسيل في الشوارع، أن يرى الأجساد تُغطي الطرقات، فهو يتقمص نيرون ويهدم غزة ويراها من فوق من ضهر الدبابة أو من داخل طائرة الفانتوم .

لم يكن يدري هذا المسنود من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا وبعض العرب، أن حبة القمح في الحقل تزن قنطار حين يريدها اللص، وأن من ينتمي الى الأرض لا تغلبه أسلحة العالم .

لم يكن يدري أن هدوء غزة سيكون طوفان الأقصى، فهو لم يسمع بالمثل الشعبي الذي يردده شعبنا في كل مناسبة: مر على النهر الغدّار ولا تمر على النهر السكران، ولأنه غبي لم يتعلم من مقاومة جنين ونابلس وطولكرم والقدس، ولم يفهم معانيها ولا أسرارها لذلك وقع في فخ طوفان الأقصى .

لطوفان الأقصى مميزات متعددة كثيرة نذكر منها :

أولا – لأول مرة يشهد العدو هجوما من داخل الأرض المحتلة لا يحمل مفهوم الانتفاضة ولا الذئاب الشاردة ولا مفهوم العملية العسكرية المحدودة في الزمان والمكان. لقد شهد العدو هجوما من جيش فلسطيني يُجيد حرب الجيوش وحرب العصابات على جيشه ودولته، وتحرير غلاف غزة من الاحتلال لساعات، وهذا تطور في مفهوم القتال عند شعبنا أوصل رسالة تقول إن الاحتلال الى زوال، فقد انتقل الشعب من الجيش المقاوم عبر فنون حرب العصابات الى الجيش المهاجم من داخل الأرض المحتلة، من غزة المحاصرة من الجهات الأربع .

ثانيا – لم تعتد دولة العدو على خوض حرب في فلسطين لا تقررها هي، وخاصة في قطاع غزة هذا القطاع العاصي على الاحتلال، الذي أربك العدو وحلفاءه في العالم والمنطقة، ولم تعتد على حرب مباغتة، فهي منذ حرب النكبة تقرر زمن الحرب أو تعرف زمن الهجوم، حتى حرب تشرين عام 3791 وصلها خبرها قبل اندلاعها، وهذا ما أرعبها وأشعرها أنها لم تعد تملك مفاتيح الحل والربط في المنطقة، وزاد في رعبها استذكارها لحرب تموز التي أجبرتها النخ أمام قامة المقاومة .

ثالثا – أزعجها كيف فاتها أن غزة أصبحت قلعة غير قابلة للهدم، وأن المقاومة أصبحت تملك جهازا أمنيا تفوّق على أجهزتها .

رابعا – استشعرت دولة العدو إمكانية فقدانها وظيفتها في المنطقة بعد طوفان الأقصى فاستفحلت في ارتكاب المجازر على أمل تحقيق النصر الذي يعيد لها الأمان ويطمئنها على استمرار لعبها دور الشرطي في المنطقة التي تؤمن لها الاستمرار بعد أن فشلت في تحقيق مشروع دولتها من النيل الى الفرات .

خامسا – لأول مرة تطرح دولة العدو، ماذا لليوم التالي، وهذا دلالة على أنها لم تعد تمسك بزمام الأمور، وأن أمر اليوم التالي لم يعد في عُهدتها، ولم يعد واضحا لها، وهذا ما أحدث ارتباكا في صفوف قياداتها .

سادسا – أحرجت هذه المعركة دولة العدو وأربكتها، فقوة الهجوم الذي لم تكن تتوقعه أجبرها على اختيار عناوين غير قادرة على تحقيقها، لكنها تُلبي رغبات تريد تحقيقها وتعيد للمستوطنين شعور الأمان في المستوطنات . ولقوة الضربة التي جعلتها تفقد السيطرة على بوصلة الأهداف عجزت عن تفسير هدنة الأيام التي تم فيها تبادل للأسرى، فهذه الهدنة أثبتت عجزها عن تحقيق غايتها في تحرير المستوطنين بالحرب، وبالتالي كيف يمكن لها أن تقضي على المقاومة، وجعلتها أيضا تُطلق لازمة القضاء على المقاومة التي سوّقت لها بين أصدقائها العرب وبموافقة أمريكية أوروبية، وما زالت تتوجع من تأثيرها، ونكبتها آتية لا محال لأنها مضطرة أن تدخل في هدنة طويلة تريدها المقاومة، أما نكستها فهي في خروجها من غزة بخفي حنين .

سابعا – نحن لا نراهن على تغيير مزاج الشعوب في أمريكا وأوروبا، لأننا نعلم أن مشاعر اللحظة لا يمكن أن تكون جزءا من خزّان الذاكرة إلا أذا استمرت عملية الضخ الإعلامي المُحتاج الى ميزانية كبيرة، ومصير الميزانية بيد عرب التطبيع ومعاهدات الخيانة مع العدو .

ولكن ما يحدث من تضامن مع القضية الفلسطينية وإدانة لدولة العدو والولايات المتحدة الأميركية أخافا دولة العدو لأنه سيكون له تأثيره على علاقاتها مع الشعوب التي قد تنتقل الى الدول فيما بعد، ويصبح الخطر أكبر اذا استمرت المعركة وانتقل التضامن من مسيرات في الشوارع الى اعتصامات أمام سفارات العدو والولايات المتحدة الأميركية .

ثامنا -تأكدت دولة العدو أنها أوهن من بيت العنكبوت، واستمرار احتلالها لأرضنا ليس لأنها دولة قوية، فما يحدث اليوم في فلسطين ومشاركو المقاومة ضمن الحفاظ على قواعد الاشتباك وما تتعرض له القواعد العسكرية الأميركية في العراق والشام والسيطرة التامة لليمن على البحر الأحمر، لم يكن سوى بحصة إذا ما تقرر ان تخرق المقاومة في لبنان قواعد الاشتباك وأن تصعد المقاومة في العراق والشام من العمليات العسكرية وتحولها من هجمات صاروخية الى عمليات استشهادية، فإن انهيار دولة العدو يصبح قاب قوسين، ويصبح الخروج الأميركي من المنطقة قريب المنال .

تاسعا – لن يكون قبل الطوفان مثل بعده، لأنه حصل الفرز بين القوى الحقيقية الداعمة للقضية الفلسطينية وتلك التي تساند على منصات الكلام وترسل الى العدو جميع احتياجاته على منصات المساعدات العسكرية والغذائية وغيرهما، وفي طليعة هؤلاء الدولة التركية التي أشبعتنا تضامنا وأشبعت العدو مساعدات وبعض الدول العربية التي تخلت عن سيادتها، ولم تنل جائزة واحدة تحل مشكلة صغيرة من مشاكلها .

عاشرا – أعاد طوفان الأقصى القضية الفلسطينية الى دائرة اهتمام شباب وشابات البلاد وأيقظ بهم الشعور الوطني والقومي الذي كان خبا لفترة من الزمن، وهذا مؤشر عافية يؤكد أننا مهما تعرضنا لغزوات ثقافية دينية طائفية، وغزوات غربية غايتها القضاء على هويتنا القومية والوطنية، يبقى الوطن في عمق عقولنا وقلوبنا، وتبقى أحداث الأمة مخزونا مهما من مخازن ذاكرتنا، وأن ذاكرتنا تطرد كل عوامل التفرقة والتجزئة حين يكون الأمر يتعلق بمصيرنا .

سيتكلل نصرنا الذي دفعنا ثمنه جبلا من الدمار وعشرات الألاف من الشهداء والجرحى ونزوح ما يقارب المليوني مواطن ب :

أولا -عودة النازحين الى قراهم ومنازلهم مباشرة بعد وقف النار كما حصل في حرب تموز في لبنان، لأن هذه العودة رغم صعوبتها هي استكمال للنصر، وهي تأكيد على أن قضيتنا

هي قضية أرض ووطن وأمة .

ثانيا : إجبار العدو والدول التي ساندته وساعدته في المعركة دفع ثمن إعادة إعمار غزة بقرارات تصدر من دول ومؤسسات دولية، وبإشراف وإدارة مؤسسات قومية ووطنية فلسطينية والدول التي وقفت معها في الحرب .

ثالثا – انشاء مؤسسات ومراكز دراسات وأبحاث تستكمل ما أنتجته الحرب من رأي عام متضامن معنا ويُدين دولة العدو، ويكون هذا الاستكمال بإنشاء خطة إعلامية جوهرها إطلاع المواطن في كل إنحاء العالم على طبيعة الفكر المتوحش والجامد والذي يعتمد على أحداث غير موجودة في التاريخ ويبني على أساسها خططه الاجرامية . وضخ ما يلزم من فضائحهم الواردة في كتاب التوراة والتلمود .

رابعا : إنشاء مؤسسة إعلامية غايتها توثيق جرائم العدو منذ ما قبل حرب النكبة حتى طوفان الأقصى ونشر تفاصيلها ونتائجها بكل اللغات في أنحاء العالم، حتى يظهر للعالم أن الهولوكوست التي نفذها هتلر بهم، لاتساوي واحدا من مئة ما فعلته دولتهم المؤقتة في شعبنا وإذا كانت هذه الهولوكوست أنتجت الشعور بالذنب عند الأوروبيين مما دفعهم للتضامن معهم في حربهم المتوحشة علينا، فإنه يجب أن تُنتج مجازرهم تضامنا مع شعبنا يؤدي الى إزالة الاحتلال وعودة أصحاب الأرض الى أرضهم .

خامسا – الشروع في إنشاء مجلس قيادة سياسي عسكري من المقاومة في فلسطين ولبنان والشام والعراق يكون قوة ذا قيمة كبيرة داخل محور المقاومة والممانعة، لأن فلسطين والمنطقة هما مجال عمل المحور وبوابة دخوله الى القضايا الإقليمية والدولية، ويكون بوابة الدخول أيضا الى النهوض الإقتصادي الذي يؤمن إنتاجا يضمن الاستقلالية في حركة دول مجلس القيادة .

يضع المجلس خطة بمراحل لمواجهة الأخطار التي تحدق في جميع كيانات البلاد واعتبار المعركة واحدة في تحرير فلسطين وتحرير المناطق التي تسيطر عليها الولايات المتحدة الأميركية والدولة التركية التي كان لها الدور الأكبر في الحرب على الشام ودعم دولة العدو في هجومها على غزة بعد طوفان الأقصى وكل شبر من الأرض محتل .

ويكون من مهام هذا المجلس إنشاء مجتمع الحرب في الكيانات التي يمثلها هذا المجلس، على غرار ما يحصل في غزة وفلسطين، لأن بذلك تتأكد وحدة المصير وبالتالي وحدة المعركة، ويساهم في تحويل التنوع المُميز للبلاد من التناقض الى التفاعل المنتج إبداعا في كل مجالات الحياة . مجتمع الحرب خيار ضروري ولا يخضع لقياس المفاضلة، لأنه درب من الدروب التي تأخذنا الى الوحدة .

أيضا يجب أن يكون من مهام هذا المجلس توثيق معركة طوفان الأقصى، وحفظها وفرزها والبناء عليها في إطلاق مشروع لكتابة القصة والرواية والشعر تظهر بصفحاتهم الجرائم التي ارتكبها العدو من المجزرة الى قصص الأطفال الشهداء والأطفال الذين فقدوا الأهل والأقارب والأصحاب، إلى استهداف المؤسسات الصحية والمدارس والأماكن الأثرية، الى استهداف الإعلاميين وتصنيف هذا الإنتاج الثقافي على قاعدة المصلحة الوطنية والقومية، وتحديد ما يجب ان يكتب لشعبنا وما يجب أن يكتب للخارج وما يجب ان يكتب للإثنين.

سادسا – علينا أن نحافظ على ما استيقظ في الذاكرة من أحداث تؤكد على وحدة المصالح والمصير والغاية، والمبادرة الى انشاء المؤسسات الوطنية والقومية التي تضمن وحدة الشعب وتزيل الاختلافات بين مكوناته الدينية والإثنية، وتُصحح اتجاه البوصلة، وتؤكد على المخرج الثقافي والسياسي لهذا النزاع الطائفي والإثني الذي نعيشه على امتداد البلاد، والذي أخطر ما فيه أنه يُعطِّل الانتماء الى الوطن لصالح الانتماءات الطائفية والإثنية التي تشتت قوتنا وتمزق بلادنا.

كان لنا اليوم طوفان الأقصى وغدا سيكون لنا طوفان القدس والناصرة وكل فلسطين من البحر الى النهر، وبعد غد سيكون لنا طوفان البلاد من النيل الى الفرات.

لم تصرخ فلسطين واعرباه، لأنها تعلم أن حكام العرب ملوك برتبة حاخامات، وتعلم أيضا أن صُراخها لن يجلب نجدة من العرب تهاجم العدو وتفرض عليه وقف مجازر الإبادة في غزة وفكّ الطوق عن المسجد الأقصى الذي يساوي بالنسبة لهم مكانة الكعبة المشرفة.

لم تصرخ فلسطين واعرباه لأنها تعرف أنه لا يوجد بين جموع الملوك والأمراء معتصم يلبي النداء ويحرر غزة ويدخل القدس ويحرر المسجد الأقصى وكنيسة القيامة والمقدسيين من سلطة الاحتلال.

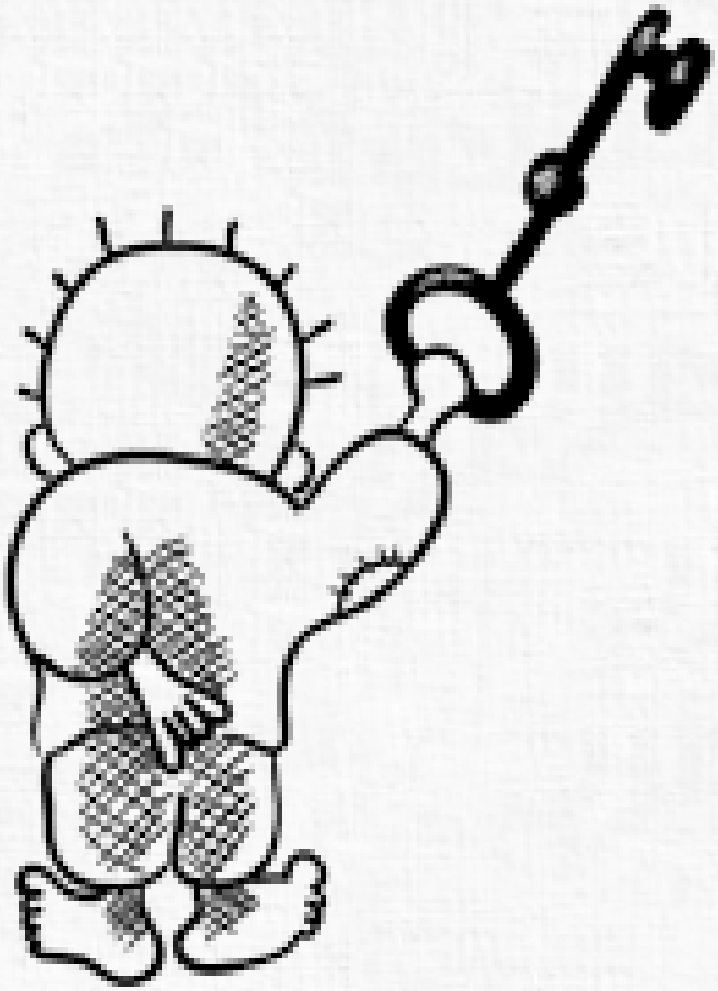

النساء الفلسطينيات.. مصانع الرجال

■ إلهام الحكيم

كاتبة فلسطينية/تركيا

منذ اللحظات الأولى للهجرة اليهودية إلى فلسطين وبناء المستوطنات الصهيونية دخلت المرأة معترك الحياة النضالية إلى جانب الرجل فقاوموا الاحتلال تأكيداً على التصاقهم بالأرض الضاربة بعمق التاريخ، بدأت داعمة وسنداً ثم تحولت إلى مشاركة بالنضال الوطني ضد الانتداب البريطاني والهجرات الاستيطانية الصهيونية من خلال مشاركتها بالمظاهرات التي اندلعت إثر صدور وعد بلفور عام 1917 احتجاجاً عليه والمطالبة بإلغائه، وخطت خطوة نوعية عام 1921 عندما تم الإعلان عن تأسيس أول اتحاد نسائي فلسطيني على يد بعض النساء الطليعيات « ميليا السكاكيني، زليخة الشهابي «، لعب الاتحاد دوراً مهماً بتأطير نضال المرأة وتسيير المظاهرات الكبرى المطالبة بوقف الزحف الصهيوني، ثم توالى تأسيس الجمعيات والمؤسسات النسوية المناهضة للانتداب والاستيطان..وقد شكّل استشهاد « جميلة الأشمر، عايشة أبو حسن، عزّية سلامة « وغيرهن من النساء المشاركات بمظاهرات عام 1929 المناهضة للهجرة والإجراءات القمعية البريطانية، شكّل نقطة تحوّل لتطوير العمل فقامت لجنة النساء العربيات بتنظيم مؤتمر نسوي في مدينة القدس انتهى بتشكيل وفد نسائي من «14 امرأة» لمقابلة المندوب السامي البريطاني والتعبير عن شجب الوعد والمطالبة بإلغائه ووقف الهجرة، وإطلاق سراح المعتقلين ووقف البطش والتعذيب ضد أبناء الشعب الفلسطيني، استمر هذا التطوّر مع إطلالة ثورة عام 1936 وإعلان الإضراب العام الشهير فاكتسب نضالها طابعاً جديداً تمثل بجمع التبرعات المالية والعينية وتوزيعها على أهالي الثوار والشهداء والمعتقلين، ونقل الرسائل والأسلحة للثوار ووقوفها إلى جانبهم في الجبال، وكان استشهاد المناضلة فاطمة غزال في معركة وادي عزّون بين الثوّار والبريطانيين 1936/6/26 دليلاً ساطعاً على عطاء المرأة الفلسطينية ونضالها الذي استمر بأشكال عديدة فقاومت قرار التقسيم 1947 وساهمت مع الرجل ببناء المتاريس والاستحكامات وحفر الخنادق ونقل الأسلحة وتشكيل الفرق والجمعيات ذات الأنشطة الوطنية المختلفة التي ساهمت بمعالجة الجرحى وتزويد الثوار بالماء والطعام، إضافة لمشاركتها بالمعارك مما أدى لاستشهاد العديد منهن « جوليت زكّا ,جميلة أحمد، ذيبة عطية، حلوة زيدان، وحياة البلبيسي «، وقد فرض الواقع نفسه على المؤسسات والهيئات النسوية فتغلّب نضالها الوطني على مسألة تحررها الاجتماعي كونها بإشراف نساء المدن المنحدرات من عائلات ميسورة الحال ولم يكنّ يعانين من الجهل والتخلف الذي تعانيه بقية النساء خاصة في الريف .

- تشريد وتبديد.. تعليم وتأهيل وبناء:

تم اغتصاب المساحة الكبيرة من الأرض الفلسطينية عام 1948 وقام الكيان الصهيوني عليها، ثم استكمل احتلاله لبقية الأرض عام 1967، مما أدى لحصول متغيّرات جذرية نتيجة الاقتلاع والتشريد والتبديد والتوزيع الجغرافي الجديد للشعب الفلسطيني وسياسة الإلحاق العربية، وبالتالي زيادة البطالة والفقر والحرمان والاضطهاد بكل أشكاله فساهم بتفتيت البنية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع الفلسطيني بما فيه المرأة، هذه المتغيرات فرضت على الفلسطينيين التوجه نحو التعليم والعمل ليتمكنوا من إيجاد مصدر للرزق فشهدت تلك المرحلة تزايداً ملحوظاً بعدد النساء اللاتي التحقن بالمدارس في مختلف المراحل و لاحقا بالجامعات والدراسات العليا ثم الالتحاق بسوق العمل مما ساهم بتطور وعيهنّ ونمو شخصيتهنّ وتنمية روح المبادرة والتنافس والالتحاق بالجمعيات النسوية الخيرية والمجتمعية والإنسانية التي شهدت ازدياداً ملحوظا وتنوعاً بالمهام ..

مع تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية 1964 وانطلاق الثورة الفلسطينية المعاصرة 1965 وتشكيل العديد من الفصائل والأحزاب وجدت المرأة نفسها مهيأة لمتابعة المسيرة النضالية بأشكالها المستجدّة فعُقِد المؤتمر النسائي الفلسطيني في القدس برعاية المنظمة وانبثق عنها الاتحاد العام للمرأة

الفلسطينية باعتباره تنظيماً شعبياً نسائياً فلسطينياًمهمتهتنظيم المرأةوتوحيدطاقاتها لخدمة المعركة، فازداد انخراطها بالمقاومة وبالتالي ارتفع عدد المعتقلات عام 1968 إلى 100 معتقلة بتهمة الاتصال بالفدائيين أو الانتماء لتنظيمات مسلحة وإخفاء الأسلحة والتحريض ضد الاحتلال واعتبر هذا مؤشراً لبداية انخراط المرأة في تلك التنظيمات وكانت شادية أبو غزالة أول شهيدة للعمل المسلح يوم 1968/11/28،

- مناضلات.. خنساوات.. أسيرات:

تنامى العمل النضالي النسوي وساهمت النساء بتنظيم المظاهرات والاعتصامات ومختلف الفعاليات السياسية والاجتماعية والخيرية، مما دفع الأحزاب والمنظمات الفلسطينية لتشكيل منظماتها النسوية وتأطير آلاف النساء بالمدن والقرى والمخيمات 1980، وقد طرحت تلك المنظمات البرامج التي تربط النضال الوطني للمرأة مع التحرر الاجتماعي والاستجابة لهموم النساء الاجتماعية والوطنية، ثم انضوت في هيئة واحدة « المجلس النسوي الأعلى « ممثلاً للحركة النسوية في الوطن المحتل وامتداداً طبيعياً للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في الشتات، وقد تركز العمل في صفوف الطالبات والمثقفات لاجتذابهن للعمل السياسي والعسكري، وبرزت صورة المرأة بشكل واسع ككادر عسكري فظهرت مئات الملصقات لفتيات ملثمات ويمتشقن السلاح إلى جانب الفدائي، ونجحت المنظمات باجتذاب الكثير من الطلائعيات في صفوفها وشاركت العديد منهن بعمليات فدائية ضد الاحتلال من نمط « خطف طائرة، عمليات استشهادية، احتجاز رهائن صهاينة « ، كما وصلت المرأة الفلسطينية إلى الأطر القيادية للفصائل « لجنة مركزية، مكتب سياسي، مجلس وطني « وهذا ساهم برفع المستوى الكفاحي للحركة النسوية بإطارها المنظم الكفاحي والسياسي والاجتماعي، مما مكّن المرأة الفلسطينية من الالتحاق بالانتفاضة الأولى عام 1987 منذ الساعات الأولى لاندلاعها فشكلت جزءاً أساسياً من الجماهير المنتفضة ضد الاحتلال وساهمت بمختلف أشكال النضال وفي كل فعاليات الانتفاضة الكبرى التي حددتها نداءات القيادة الوطنية الموحدة ، فشاركت بالمظاهرات والمسيرات والاعتصامات والفرق الضاربة والاشتباك مع العدو والتصدي للاحتلال والمستوطنين،وهجوم الملثمات على الجنود بالسكاكين والمفكات ,وكل أشكال النضال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والصحي والإعلامي لإيصال صوت الانتفاضة للعالم والهيئات الدولية وكشف جرائم الاحتلال، تحولت وحدات ولجان الأطر النسائية إلى ورش عمل يومية لتطوير وتكييف البرامج والخطط المنسجمة مع الدور الجديد الذي أملته الانتفاضة المجيدة فكان دورها مميزاً وبرزت داعية محرّضة وناطقة سياسية باسم الشعب بكل ثقة أمام الكاميرات، دورها الفاعل أعاد صياغة العلاقات الاجتماعية للشعب الفلسطيني بشكل عام وعلاقة الرجل والمرأة على نحو خاص، أصبحت المرأة قادرة على ممارسة نضالها السياسي والجماهيري والنقابي, وعندما كان مئات الشبان يساقون إلى السجون تسعى النساء اللواتي كسبن خبرة النضال السياسي والتنظيمي والجماهيري لملء الفراغ والإمساك بزمام المبادرة، هذه القوة وزخم الإنتفاضة كرّس اسم انتفاضة الحجارة عالمياً لكن وللأسف بدل استثمار نتائجها لصالح شعبنا وقعت المنظمة بفخ «اتفاقيات السلام « الاستسلامية ووهج السلطة والعودة المزعومة والرخاء «استراحة المحارب «مما أدى لقسم الساحة الفلسطينية بين « مقاومة وسلطة «، إلى أن انطلقت الانتفاضة الثانية عام 2000والانقسام بين الضفة وغزة عام 2007 مما غيّر الكثير من المفاهيم وظهور آليات مقاومة وقواعد اشتباك جديدة « عمليات استشهادية، تفجيرات، تصدي للاقتحامات والاعتداءات الصهيونية والاستيطان، بروز دور المرابطين والمرابطات في المسجد الأقصى، ثم الهبّات المتتالية في الضفة الغربية ضد الاحتلال بكل وسائل المقاومة « ..

كان دور المرأة يتسم بالتقدم والانكفاء حسب المد الثوري أو الانحسار وهذه المراحل تتطلب إفراد مساحة خاصة للحديث عنها!..

- طوفان الأقصى:

عند التدقيق بما سبق نجد أن شعبنا الفلسطيني خاصة المرأة كانت تتأقلم وتتكيف وتهيئ نفسها للتعامل مع الحدث بما يتلاءم مع المستجدات وقد لعبت دورا فاعلاً وإيجابيا للتعامل مع الحصار الظالم على غزة قبل 17 سنة فلجأت لابتداع الأساليب المقاومة للحصار والعدوان الهمجي المتكرر على القطاع، كانت تنهض من تحت الركام وتعيد بناء أسرتها واقتصادها المنزلي بما يتوفر لديها، بنَت أجيالاً مقاومة رافضة للسلام المزعوم وكانت سنداً قوياً للمقاومة بكل أشكالها مما ولّد لدى العدو حقداً مضاعفاً عليها تمثل باستهدافها مع أطفالها بآلة القتل والتدمير منذ 2023/10/7، قصفها في بيتها الذي رفضت مغادرته فعمد لتدميره فوق رأسها مع عائلتها ، وعندما اضطرت للمغادرة نحو مراكز الإيواء حماية لأطفالها لاحقها وفجّر تلك المراكز المتمثلة بالمدارس والمراكز الصحية التابعة للأونروا، حتى المشافي وأماكن العبادة والهيئات الدولية لم تسلم من بطشه، عبّر بوضوح من خلال كل وسائل الإعلام عن حقده على المرأة الفلسطينية الولّادة التي تنجب وتربي أبناءها على حب فلسطين والتمسك بالأرض والدفاع عنها، وقال زعماء العدو أن القضاء على المقاومة يكون بتجفيف المنبع المتمثل برحم المرأة وقتل الأجنة في الأرحام والقضاء على الأطفال كي لا يكبروا ويتحولوا إلى مقاتلين !..

شاهد العالم المرأة الفلسطينية على أرض المعركة مرتدية ثوبها الأبيض وتسعف الجرحى والمصابين رغم استشهاد الزوج أو الابن أو الوالدين، تابعناها مراسلة حربية لمختلف وسائل الإعلام العربية والغربية إلى جانب الإعلاميين الفلسطينيين رغم الغياب الكامل للإعلاميين الغربيين، ومثلها فعلت المرأة المؤثرة على السوشيال ميديا لكشف الحقيقة وفضح الجرائم الصهيونية,لم تتوانى المرأة ولم تقصر في كل المجالات رغم الواقع المزري والمعاناة التي تعيشها وسط الدمار وبُعدها عن أبنائها وعائلتها، شاهدناها تفتح بيتها للنازحين فتطبخ وتخبز لإطعامهم، معلمة للأطفال في مراكز الإيواء، رسامة على وجوه الأطفال، مرشدة نفسية وتربوية لإعادة تأهيل المصابين بالصدمة، رأيناها أماً لأطفال استشهدت أو أصيبت أمهاتهم، قوية كالطود الشامخ تشد الهمم والعزائم لأناس فقدوا كل ما يملكون واستشهد أهلهم وتقول لهم :» اصبروا فالشهداء سيشفعون لنا، وسوف نعيد الإعمار وتبقى غزة شوكة في حلوق الأعداء ومقبرة للغزاة «..نصبت خيمة على أنقاض منزلها بانتظار انتهاء الحرب وإعادة الإعمار.. كما عرفنا دورها راعية لأمور الأسرى اليهود وحارسة عليهم..

تزايد عدد الخنساوات الصابرات وهنّ يكررن جملة « الحمد لله « هذه الجملة التي تحولت إلى ترينذ عالمي دلالة على «عمالقة الصبر» اللاتي لم يستسلمن أو تنكسر شوكتهن بل زادت عزيمتهن وإصرارهن على التمسك بالأرض ورفض مغادرة القطاع نزولاً عند الضغط الصهيوني نحو التهجير رغم اضطرار البعض للنزوح الداخلي إثر القصف الهمجي والدمار الوحشي الذي طال البنية التحتية للمدن والأحياء والمخيمات، والتأكيد أن نكبة عام 1948 لن تتكرر رغم كل الممارسات الصهيونية النازية من قتل وتدمير طال البشر والحجر والشجر ..

هذه هي المرأة الفلسطينية الغزّية، و لا تقِلّ عنها شقيقتها في الضفة الغربية والقدس حيث تستقبل أبناءها الشهداء بالزغاريد وهي تردد:»لسنا أقل من أهلنا في غزة، الحرية ثمنها غالي وتحرير الأرض يحتاج للمقاومة والنضال» ثم تنضم لمجموعة أمهات الأسرى والشهداء الداعمات لأسر الشهداء والأسرى وتشد أزر المقاومة وصولاً للنصر والتحرير وبناء الدولة الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس.

طوفان الأقصى

بين الواقع والطموح

د. سليم بركات

باحث وأستاذ جامعي من سورية

تتفق معاجم اللغة العربية على أنّ الطوفان هو ما كان كثيراً وعظيماً، وعملية طوفان الأقصى، تأتي معانيها في هذا الاتجاه، وتنبع أهميتها من ارتباطها بالمعاني الروحية السامية والمقدسة للمسجد الأقصى المبارك أولى القبلتين وثاني الحرمين ومعراج النبي(ص) عملية أو معركة مختلفة عن كل المعارك السابقة مع الكيان الصهيوني، انطلقت من غزة وهي تحمل أكثر من دلالة وأكثر مما يتوقعه هذا الكيان رداً على جرائمه المتواصلة بحق الشعب العربي الفلسطيني، وكذلك تنكره للقوانين الدولية في ظل الدعم الأمريكي والغربي والصمت الدولي، إلى أن جاءت هذه المعركة لتضع حداً لكل ما جرى من قبلها من جرائم وعربده من قبل هذا الاحتلال من غير محاسبة. كيف لا وقضية المسجد الأقصى قضية جامعة لكل ما هو ديني وإنساني.

في هذا الإطار جاءت هذه العملية لتغير كافة المعادلات القائمة على صعيد المنطقة، وإن كانت هذه المعادلات غير واضحة المعالم حتى يومنا هذا، أكان ذلك فيما يخصّ مستقبل الشعب العربي الفلسطيني، أم كان ذلك فيما يخصّ تواجد الكيان الصهيوني، أم كان ذلك فيما يخصّ المعادلات السياسية المصلحية على مستوى المنطقة العربية والإقليمية والدولية، ونحن لا نجانب الصواب إذا قلنا أن عملية طوفان الأقصى قد تتدحرج في الخرائط الدولية من الصين إلى الهند إلى حيفا إذا ما نجح المشروع الصهيو أمريكي، والذي يعول على فتح قناة بن غوريون التي تصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر، والتي تعني موت قناة السويس، كما تعني مبادرة الحزام والطريق التي تتضرر منه الصين، في هذا الاتجاه تتجلى الأهمية النوعية لعملية طوفان الأقصى، التي أذاقت الكيان الصهيوني مرارة الحرب في عقر داره، الأمر الذي رتب أثماناً باهظة لم يتوقعها هذا الكيان منذ أن دنست أقدامه أرض فلسطين، كيف لا وهذه العملية قد انتقلت بالقضية الفلسطينية من مستوى المفاوضات إلى مستوى المقاومة في كلّ مكان يتواجد فيه الشعب العربي الفلسطيني أكان ذلك في داخل فلسطين، أم كان ذلك في خارجها، كيف لا والواقع الميداني الذي فرضته عملية طوفان الأقصى سيفرض نفسه في أية تسوية كانت سياسية أم عسكرية، أم اقتصادية، لأنّ قوامها سيكون من خلال تحسين موقع المقاومة التي أدت إليه هذه العملية.، وربما كان في طليعة ذلك هو إطلاق رصاصة الرحمة على اتفاق أوسلو وما لف لفه من اتفاقيات استسلامية. كل هذا يفرض تساؤلات سيجيب عليها ما آلت وما ستؤول إليه عملية طوفان الأقصى، وربما امتد ذلك ليشمل عمليات التطبيع العربي الجارية مع الكيان الصهيوني، للوصول إلى حلول سياسية عادلة للقضية الفلسطينية تضعها على نار حامية بمعطيات فعالة لا تجاهل فيها ولا مراوغة، كما حصل في اتفاقيات ما قبل أوسلو وما بعدها وحتى اليوم.

صحيح أن قلب الطاولة من خلال عملية طوفان الأقصى في وجه الكيان الصهيوني كان رداً منطقياً بالنسبة لمن يقول بتولي الشعب العربي الفلسطيني أمور قضيته بيده، وهو يشكك بقدرة المقاومة على ذلك، ولكن من الصحيح أيضاً أن هذه العملية قد أذاقت هذا الكيان ما ذاقه الشعب العربي الفلسطيني الأبي منذ تأسيس هذا الكيان وحتى يومنا هذا، لا لسبب إلا لسبب واحد وهو أنّ الأمور قد اختلفت بانتصار المقاومة الذي يحاول البعض أن يتلاعب به، هذا الانتصار الذي لن تهديه المقاومة الفلسطينية لأحد، نصر أنهك الكيان الصهيوني حتى لم يغد بمقدوره أن يفعل شيئاً تجاه محور الممانعة والمقاومة الذي فجر طوفان الأقصى بداية من غزة لتشمل فلسطين بأكملها، معلناً إنهاء الاحتلال الأخير على الكرة الأرضية، وداعياً الشعب العربي وجميع الشعوب للتخلص من هذا الاحتلال العنصري البغيض لتحرير فلسطين، واحقاق الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني، وكيف لا يكون ذلك وقد سجلت عملية طوفان الأقصى التي نفذتها المقاومة الفلسطينية في مواجهة جيش وصف نفسه بأنه لا يقهر وأنه من أعتى جيوش العالم بحسب ما ترددت تداعياته على نطاق واسع، وظهرت آثاره الخبيثة على صعيد الأرواح التي تزهق والدمار الذي يحدث ليس على مستوى غزة فقط وإنما على مستوى فلسطين والأراضي المجاورة لها.

ما من شك أن الهجوم الهائل والمتنوع الذي نفذته المقاومة الفلسطينية في عملية طوفان الأقصى، قد استغرق فترة زمنية طويلة لما فيه من دقة في التخطيط الذي يتطلب قدراً عالياً من التفاني والسرية التي هزت الأسس الأمنية الإسرائيلية، هجوم ساعد في نجاحه الأزمة السياسية المستمرة التي يعيشها الكيان الصهيوني منذ الأشهر الأخيرة التي سبقت هذه العملية، والتي سببتها الإصلاحات القضائية التي وضعتها حكومة نتنياهو وأدت بدورها إلى تظاهرات متواصلة في كافة أنحاء الكيان الصهيوني، مستحوذة على اهتمام بالغ من كافة مكونات المجتمع الإسرائيلي بما في ذلك الجيش، الذي رفض الكثير من جنوده الاحتياط أو الالتحاق بالخدمة على الرغم من كافة التهديدات والتحذيرات للكيان الصهيوني، ونحن لا نجانب الصواب إذا قلنا إن العامل الأساسي الذي أوصل الكيان الصهيوني إلى هذه اللحظة الحاسمة هو الظلم الصهيوني المستمر للشعب العربي الفلسطيني، وحالة اليأس التي بلغها بعد أن داست إسرائيل على كل بصيص أمل لإنهاء احتلالها القائم منذ 75 عاماً حتى يومنا هذا. وبعد أن تخلت حكومات الكيان الصهيوني المتعاقبة عن مسرحية التفاوض حول إنشاء دولة فلسطينية ولم تكتف بذلك، بل أعلنت صراحة عزمها حكم الشعب العربي الفلسطيني إلى ما لانهاية مع استمرار حرمانه من حريته وحقوقه المشروعة، حرمان لم يقتصر على قطاع غزة حيث يعيش أكثر من مليوني فلسطيني تحت الحصار بأكبر سجن مفتوح على مستوى العالم، وإنما شمل الضفة الغربية وكافة أنحاء فلسطين حيث تجسيد النظام العنصري وتدهور الأوضاع المعيشية وارتفاع منسوب العنف المستخدم ضد الفلسطينيين والمترافق مع مصادرة الأراضي وعزل القدس والطرد الممنهج لسكانها في إطار خطة تهويدها.

واقع مؤلم لا يعيش الشعب العربي الفلسطيني فيه إلا المزيد من الأسى والخسارة، والمجتمع الدولي صامت دون أي إجراء للحد من معاناته وحتى هذه المرحلة التي تحولت فيها غزة إلى حدث متكرر يستقطب اهتمام العالم، لم يصدر من المنظمات الدولية وفي طليعتها مجلس الأمن ولا عن الغرب الامبريالي أي ردّ فعل غير تأييد جيش الكيان الصهيوني، بحجة الدفاع عن نفسه في وجه من يخضع لاحتلاله، ودليل ذلك تكرار الولايات المتحدة ومن لف لفها لمعزوفتها المعهودة بتأييد الكيان الصهيوني وإدانة المقاومة الفلسطينية من دون ذكر لاستحالة العيش في قطاع غزة، والحصار الدائم لسكانها، وحرمانهم من حقوقهم المشروعة والشرعية ضاربين عرض الحائط حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره الذي يكمن في صميم هذه القضية.

من هذا المنطلق كان المفعول الأكبر لعملية طوفان الأقصى الذي أطاح بالاعتقاد السائد لدى إسرائيل ومن لفّ لفّها، أنه بالإمكان احتجاز الشعب العربي الفلسطيني إلى ما لانهاية في أوضاع لا تطاق وتجاهل أبدي، كيف لا والاستراتيجية الواضحة والوحيدة التي مازال يتبعها الكيان الصهيوني تقوم على مواصلة عمليات الاستيطان وضم المزيد من الأراضي الفلسطينية والقضاء على التطلعات السياسية الفلسطينية ومن ناصرها من خلال تطبيق سياسة الاحتواء، والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا الخضم هو هل يمكن سجن شعب بكامله خلف الجدران والحواجز؟ وهل ينفع هذا السجن في تلبية احتياجاته؟ من المؤكد أنه سيزيد من مظالمه وأوجاعه وأوضاعه سوءاً، وسيفاقم من حالة عدم استقراره، نتيجة العنف الذي تجلى بطرق جديدة لم تشهد مثله الإنسانية من قبل، ولا نبالغ إذا قلنا ليست عملية طوفان الأقصى الأخيرة إلا رداً على ذلك، ولا شك أن عواقبها ستكون وخيمة على الكيان الصهيوني وهذا ما يجمع عليه المحللون السياسيون الإسرائيليون، وحتى المؤسسة الصهيونية الأمنية التي أخفقت في التقديرات الاستخباراتية، وفي سيناريوهات التعامل مع حركة المقاومة الفلسطينية في عملية طوفان الأقصى، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على عدم جهوزية الجيش الإسرائيلي للحرب خلافاً لما يروج له على المستوى العسكري، وكذلك عدم جهوزية الجبهة الداخلية الصهيونية للدفاع عن سكانها المدنيين، وضمان سلامتهم.

بقي أن نقول إن حالة الشعب العربي الفلسطيني فيما قبل طوفان الأقصى كانت بلا أفق سياسي، حصار كامل في غزة، وتحييد كامل لأي دور للسياسة الفلسطينية، ولهذا جاءت هذه العملية لتمدّ الأفق السياسي على مصراعيه من خلال انتصار المقاومة، الأمر الذي يعيد الحرب إلى تعريفها الطبيعي باعتبارها أحد أدوات السياسة. وهذا يتطلب مناصرة هذه العملية من خلال الدعم العربي والدولي والإنساني، لفتح أفق جديدة يتغيّر من خلاله الواقع الفلسطيني باتجاه الحرية والاستقلال. كيف لا وقد أصابت عملية طوفان الأقصى أسطورة إسرائيل الأمنية والعسكرية في مقتل، وفضحت هشاشة التحصينات والجدران، التي أنشأتها لحماية نفسها وعزلها عن الآخر الفلسطيني المحاصر، وثمة فرضية أساسية لا تزال تتبناها إسرائيل على الرغم من فشلها وهي أنه بالإمكان الاستمرار في احتلال الأرض الفلسطينية من دون دفع الثمن، وإجبار الشعب العربي الفلسطيني على القبول بهذا الواقع، مستخدمة الحالة الهمجية والغرائزية المتخلفة التي تسود إسرائيل منذ قيامها وحتى يومنا هذا، فرضية تثبت أنّ الشعب العربي الفلسطيني سيبقى يقاوم في غزة وفي غيرها من الأراضي العربية الفلسطينية، وفي جميع أماكن تواجده حتى ينال حريته، ويحرر أرضه مستعيداً حقوقه.

التضامن الأممي مع الشعب الفلسطيني

ركيزة أساسية لكسر جبهة العدو

معاد الجحري

عضو اللجنة المركزية لحزب النهج الديمقراطي العمالي. المغرب

يعتبر طوفان الأقصى تحولا مفصليا على أكثر من صعيد وقد نجح في إعادة الاعتبار للقضية الفلسطينية وجعلها تحتل مكانة الصدارة على المستوى الدولي.

يحاول هذا المقال إلقاء نظرة مركزة على أشكال التضامن الشعبي عبر العالم وبعض إنجازاتها المحققة وتأثيراتها المحتملة على مجريات حرب الإبادة الجماعية للعدو الصهيوني على قطاع غزة بشكل خاص والعدوان الإجرامي على الضفة الغربية وفي قلبها القدس.

يكتسي تضامن شعوب المعمورة مع كفاح الشعب الفلسطيني أهمية بالغة لعزل العدو وكسر جبهته ويشكل عنصرا أساسيا من بين العناصر الأخرى لمقومات حرب التحرير الشعبية التي تقوم بالإضافة إلى ذلك على وحدة الشعب بكل فئاته ومكوناته وتصميمه على النضال حتى النصر واصطفافه وراء المقاومة التي أبدعت طرقا ووسائل خاصة وبسيطة لكن فعالة انطلاقا من شروطها الملموسة. ويسري هذا على جميع حركات التحرر من الاستعمار. وهذه المقومات هي سر صمود ونجاح المقاومة الفلسطينية المسلحة المسنودة بالمقاومة المسلحة في جنوب لبنان وفي العراق واليمن.

قبل السابع من أكتوبر وخلال الأيام الأولى التي تلته، كان التضييق في العديد من البلدان الأوروبية هو سيد الموقف. ففي ألمانيا ساد التضييق على النشطاء ومنع التظاهرات المؤيدة لكفاح الشعب الفلسطيني وتجريم لحركة المقاطعة BDS وكل هذا بدعوى معاداة السامية استنادا إلى تعريف فضفاض ومغرض لها وهو التعريف الذي تعتمده IHRA . حتى الحزب اليساري Die Linke عبر عن تضامنه مع الكيان الصهيوني وحقه في الدفاع عن نفسه بعد اندلاع العدوان على غزة. ونحن لا ننسى قرار ولاية برلين بمنع الكوفية الفلسطينية في المدارس الحكومية ولا ننسى الاعتداء الجسدي الذي تعرض له تلميذ من طرف أستاذه بسبب حمله للراية الفلسطينية داخل ساحة مدرسة بهذه الولاية.

نفس الوضع في بريطانيا تقريبا. بل قام حزب العمال بالتخلص من زعيمه جيريمي كوربين بدعوى مواقفه المعادية للسامية. أما الرئيس الفرنسي فقد ذهب بعيدا، إذ اعتبر أن الذين يعادون السامية والصهيونية هم أعداء الجمهورية. ومنعت السلطات الفرنسية، المناضلة القيادية المعروفة، عضوة المكتب السياسي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، مريم أبو دقة، من إلقاء محاضرات وتنظيم لقاءات والتعريف بقضية ومعاناة شعبها، وقامت هذه السلطات باعتقالها وقررت ترحيلها.

وخلافا لما كان يجري في مختلف بلدان العالم من تظاهرات، قررت فرنسا، إضافة إلى ألمانيا، منع وتفريق بالقوة التظاهرات المؤيدة للشعب الفلسطيني وذلك بدعوى تهديد النظام العام، مع أن الأمر يتعلق بمظاهرات سلمية. أكثر من ذلك هدد وزير العدل الفرنسي بالسجن من 5 إلى 7 سنوات كل من يبدي تعاطفا معينا مع المقاومة الفلسطينية. وتم تحرير محاضر تقضي بغرامات مالية لمتظاهرين وصحافيين كانوا يقومون بتغطية تلك المظاهرات كما تم اعتقال الكاتب العام للكنفدرالية العامة للشغل J.P Delescault مسؤول هذه المركزية النقابية بشمال فرنسا بسبب بيان لها تدعم فيه الشعب الفلسطيني ومقاومته.

هذه الإجراءات القمعية هي طبعا منافية للدستور الفرنسي وللإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان والمواطن والذي ينص في فصله الثاني على الحق في مقاومة الاضطهاد. كما تتعارض مع قرار المحكمة الأوروبية التي اعتبرت أن المقاطعة التي تقوم بها حركة BDS إنما تدخل في حرية الرأي والتعبير عن موقف سياسي. وتعد دليلا قاطعا على مستوى التصهين والسلطوية الذي وصلته الدولة الفرنسية في عهد إيمانويل ماكرون، رئيس البرجوازية الكبيرة الاحتكارية. ويسري هذا على ألمانيا التي تعاني من عقدة الذنب

نتيجة الممارسات النازية في حق اليهود وهي الممارسات التي تكررها العصابات الصهيونية السادية في فلسطين، مركز الأرض.

غير أن القوى التقدمية والمنظمات المدنية الحية الداعمة للقضية الفلسطينية صممت وتحدت تهديدات وأوامر السلطات وحطمت جدار الترهيب وخرجت رغم أنف هذه السلطات في تظاهرات حاشدة بالعديد من المدن كما في مختلف بقاع العالم وخاصة في بلدان المراكز الرأسمالية الإمبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

يشهد هذا البلد الشاسع، أمريكا، أقوى المظاهرات على الإطلاق، يشارك فيها الأمريكيون من مختلف الأعراق والألوان، وصلت حد إغلاق المطار في كل من واشنطن ونيويورك ومحطة القطار في إحدى أكبر مظاهرات اليهود الأمريكيين الذين تظاهروا أيضا بمبنى الكونغرس. لا يتعلق الأمر ببعض اليهود وإنما بأغلبية اليهود وهم يدعمون فلسطين ويتبرؤون من الكيان الصهيوني بكل قوة ووضوح مؤكدين على موقف اليهودية الأصيل الذي يرفض كيانا خاصا باليهود وعلى الأخوة بينهم وبين المسلمين باعتبارهما شركاء في المعاناة. ويعتبرون أن قيام «إسرائيل» هو عصيان لله وأنه لن يكون هناك سلام ما دام هذا الكيان موجودا. وأكدوا أن الناس الذين يعيشون تحت الاحتلال والقهر والحصار والتمييز العنصري عليهم أن يقاتلوا من أجل حقوقهم. وفي مناطق أخرى أحرقوا علم «إسرائيل» ورفعوا لافتات كتب عليها «اليهود ليسوا صهاينة».

وفي ألمانيا احتل المتظاهرون جزءا من جامعة في برلين ما أدى إلى توقيف الدراسة بها ليوم كامل. وفي فرنسا فجر أحد النواب من اليسار الفرنسي (فرنسا الأبية) فضيحة مدوية تتمثل بوجود 4 آلاف مقاتل ضمن جيش الاحتلال يحملون الجنسية الفرنسية داعيا إلى تقديمهم للعدالة باعتبارهم مجرمي حرب.

وعموما تميزت هذه المظاهرات بإبداع أشكال تعبيرية تثير الإعجاب وتستحق كل التنويه والتقدير كالاعتصام بمجسمات أطفال في أكفان ملطخة بالدماء ومسيرات بالشاحنات والسيارات والدراجات الهوائية والنارية الى غير ذلك من الأشكال التي لا يتسع المجال لحصرها.

ومن أروع الإبداعات على الاطلاق خروج تظاهرات عارمة في منتصف ليلة 31 يناير في مختلف بلدان القارات الخمس للتضامن مع الشعب الفلسطيني بدل الاحتفال بليلة رأس السنة. ومن غريب الصدف أن ذلك تزامن مع إمطار سماء الكيان الصهيوني بصواريخ المقاومة التي دكت العديد من المدن وعلى رأسها تل أبيب.

وعمت منطقتنا من المحيط الى الخليج مسيرات شعبية ووقفات احتجاجية هامة وطبعا متفاوتة من حيث الحجم والاستمرارية حسب الإمكانيات والآليات المتوفرة. ففي البلدان التي تم فيها بناء إطارات تنسيقية واسعة تضم القوى الحية اليسارية والديمقراطية والإسلامية المقاومة للتطبيع خرجت الجماهير بالملايين وهي حالة المغرب حيث توجد الجبهة المغربية لدعم فلسطين ومناهضة التطبيع التي أمطرت الساحة بمبادرات ميدانية هائلة.

غير أن رفع شعار «خيبر خيبر يا يهود، جيش محمد سيعود» وشعار «الله أكبر عاصفة لليهود ناسفة» الذي تصر على رفعه بعض المكونات الإسلامية هو إساءة للقضية ويعد واحدا من عوامل تفكيك تلك الإطارات الوحدوية.

ونشطت وانتعشت بشكل ملفت للنظر حركة المقاطعة BDS في مختلف البلدان بما في ذلك في منطقتنا خاصة في لبنان والأردن والبحرين والكويت ومصر وتونس والمغرب.

وسجلت هذه الحركة انتصارا ثمينا على شركة «بوما» التي أعلنت رسميا انسحابها من رعاية المنتخب الصهيوني وذلك بفعل ضربات حركة المقاطعة العالمية. كما سجلت في المغرب تراجعا هاما لماكدونالد وهزيمة لستاربوكس وبداية مواجهة جماهيرية مع متاجر كارفور.

وينبغي مضاعفة الجهود مع التركيز على مقاطعة الجهات الأكثر دعما للعدو مثل سلاسل المطاعم العالمية المعروفة (ماكدونالد، بابا جونز، دومينوز بيتزا، بيتزا هيت، برجر كينج)، الثمور، كارفور، أكسا، أهافا، HP4، صودا ستريم وغيرها) انظر موقع (BDS

غير أن أكبر نجاح حققته حملات تضامن الشعوب بتكامل مع صمود المقاومة المسلحة بكل مكوناتها وروافدها وصمود الشعب الفلسطيني وخاصة سكان غزة وتشبثهم بأرضهم هو إسقاط خطاب التهجير الجماعي لسكان غزة إلى سيناء وسكان الضفة الغربية إلى الأردن الذي روج له علنا وبقوة الكيان الصهيوني وحلفائه وخاصة الامبريالية الأمريكية وهذا على الرغم من أن أعمال الإبادة الجماعية الواسعة والمستمرة تصب عمليا في هذا المسعى.

وبفعل الضغط الشعبي اتخذت بعض البلدان الأوروبية مواقف إيجابية مخالفة للاتحاد الأوروبي. فقد أدانت بلجيكا ما أسمته العقوبات الجماعية للشعب الفلسطيني وأكدت على دور المحكمة الجنائية الدولية كما تقدم برلمانها الاتحادي بمسودة قانون لحظر التجارة مع المستوطنات.

ودعت إسبانيا إلى إدخال المساعدات الإنسانية بشكل منتظم وإلى هدنة دائمة والاعتراف بالدولة الفلسطينية وفتح مفاوضات على أساس حل الدولتين. واتخذ البرتغال مواقف مماثلة لإسبانيا. وأربك هذا الحراك العالمي ومعه المقاومة المسلحة خطاب الامبريالية الغربية وخاصة الإمبريالية الأمريكية التي أصبحت تردد خليطا من المواقف المتناقضة. ولكن لا شيء نهائي، فقد أصدر الكونغرس الأمريكي، في ذروة الحرب، قرارا يساوي بين معاداة السامية ومناهضة الصهيونية»

وأقدمت جنوب إفريقيا على خطوة شجاعة بمقاضاة الكيان الصهيوني أمام محكمة العدل الدولية بتهمة الإبادة الجماعية للفلسطينيين.

ولكن هناك ضعف متابعة في إفريقيا الغربية وذلك بسبب ضعف الروابط مع الفصائل الفلسطينية وغياب ترجمة مواقفها وتصوراتها إلى اللغة الفرنسية وهي ثغرات ينبغي تداركها بسرعة.

إجمالا فإن القوى اليسارية التقدمية والمجتمع المدني المناضل لعبت ولازالت أدوار طلائعية في تحريك هذا التضامن على الصعيد العالمي. وقد أدركت هذه القوى منذ البداية طبيعة المعركة التي يخوضها الشعب الفلسطيني باعتبارها معركة تحرر وطني ولم تسقط في فخ شيطنة حركة حماس وأن الخلاف مع المشروع المجتمعي للإسلام السياسي الذي يقود المعركة المسلحة قصة أخرى مع العلم أن خوض الكفاح المشترك جنبا إلى جنب بين قوى إسلامية وتقدمية قد يساهم في تقريب مسافات الخلاف وبناء قواسم العيش المشترك الآن وغدا. بقي أن أشير إلى الدور الخاص المنوط بشعوب منطقتنا العربية/المغاربية وقواها التقدمية فهي لا تتضامن وفقط وإنما تناضل ضد عدو مشترك لها وللشعب الفلسطيني. وإذا كنا لم نتوفق بعد في الوقف النهائي للعدوان وإسقاط التطبيع فذلك يعود في نظري من جهة لمستوى النفوذ الصهيوني على المستوى العربي والدولي بشكل عام ومن جهة أخرى لاشتداد أزمة الرأسمالية الإمبريالية بل بداية انهيار الإمبراطورية الأمريكية في ظل صراع ضاري مع القطب الصاعد بقيادة الصين وما يترتب عن كل هذا من حرصها الشديد على الحفاظ على ريادة الكيان اللقيط للمنطقة باعتباره قاعدتها الأمامية بها. أؤكد في نهاية هذا المقال على تقييم حصيلة العمل ومضاعفة الجهود وتكثيفها، وبالنسبة للقوى التي ليست لها قدرة كبيرة على التعبئة والحشد في مسيرات كبرى يمكنها العمل محليا في عمق الشعب بما في ذلك المقاطعة الاقتصادية للعدو على طريق تفجير التناقضات في صفوف جبهته المكونة طبعا من الكيان الصهيوني والإمبريالية الغربية بقيادة أمريكا والأنظمة العربية العميلة وخاصة المطبعة منها.

جبهة الإعلام والصورة..

فعل ومقاومة في طوفان الأقصى

غازي انعيم
فنان وناقد تشكيلي/ الأردن

يعتبر توظيف الصورة الثابتة والمشهد المتحرك أحد فنون إدارة المعارك، حيث يستطيع أطراف الحرب سواء المباشرون أو غير المباشرين استخدام الصورة أو المشهد من خلال توظيف التقنيات الحديثة التي لم تكن موجودة في السابق مثل الإنترنت وشبكات التواصل والمنصات الاجتماعية المختلفة والهواتف النقالة وقد استفاد جمهور المقاومة وكذلك أحرار العالم من كل تلك التقنيات.. واستخدموا ما كان يبث وينشر من خلال شبكات التواصل الاجتماعي، كما استخدموا الصورة إلى جانب الملصقات واللافتات القماشية التي رفعوها في المسيرات التضامنية المؤيدة لفلسطين والمنددة بالحرب الفاشية على غزة ومن يقودها. وقد ساهمت الصور والمشاهد التي كانت تبثها المقاومة وما ينقله مراسلو الصحافة والمحطات الفضائية في التحكم بسلوك وعواطف المتلقي التي كانت تبرر سلوكه ونوازعه.

وهنا لا بد من الإشادة بالدور الذي قامت به الصحافة التي ساهمت في نقل وبث الصور الثابتة والمتحركة من خلال عشرات الصحفيين الذين كانوا يحملون الكاميرات والميكروفونات لتغطية حرب الإبادة على غزة التي شارك فيها إلى جانب العدو الصهيوني الفاشي (أمريكا، وفرنسا، وبريطانيا، والمانيا، وايطاليا..). وشوهد الصحفيون عبر الفضائيات وهم يقفون وصدورهم مغطاة بواق للرصاص، وعلى رؤوسهم خوذ كتب عليها صحافة (PRESS وT V)، حيث كانت تتحرك كاميراتهم براً وبحراً وجواً لنقل الحقيقة كما هي وبلا تجميل إلى العالم الحر الذي وقف بعض قادته متفرجين على مشاهد الموت والبعض الآخر شاركوا في حرب الإبادة التي يشنها العدو الصهيوني الفاشي على غزة حيث لم يسلم منه لا البشر ولا الحجر ولا الشجر.. حتى أن الصحفيين تولوا قراءة عدد الجرحى والشهداء الذين كانوا يصلون إلى المستشفيات التي أخرجها العدو عن أداء خدمتها. ولم يتوقف الأمر عند ذلك بل قام بتدميرها ومنع دخول الأدوية إليها وفرض الحصار عليها وقام باعتقال المرضى والأطباء ثم جردهم من ملابسهم ضارباً بعرض الحائط مناشدات المؤسسات الدولية الإنسانية والتي تم تدمير مقراتها في غزة.

كان المصورون والمراسلون يرصدون بكاميراتهم صواريخ الطائرات وقذائف الدبابات والبوارج الحربية الصهيونية، وهي تتساقط على رؤوس الأبرياء مخلفة الدمار والحرائق.. كما كانوا يهرعون بكاميراتهم مع سيارات الإسعاف لتوثيق الحدث وما خلفته تلك الضربات من شهداء وجرحى ودمار.. حيث كانت سيارات الإسعاف تجد صعوبة في الوصول إلى المواقع المستهدفة بسبب تجريف الشوارع ووجود الدبابات والقناصة والطائرات المسيرة التي كانت تستهدف سيارات الإسعاف والصحفيين وكل من يتحرك على الأرض.

حتى أن الصحفيون أصبحوا خبراء في دلالات الدخان الذي كان ينتج عن الضربات،

فمثلاً؛ كان يعني الدخان الأبيض المتصاعد، أن هنالك منزلاً أو منشأة قد أصيبت بدمار؛ أو أن العدو يقوم بإخلاء جرحاه أو يغطي على انسحاب قواته التي وقعت في كمائن المقاومة، أما سحابة الدخان الأسود الذي تعلو السماء من فوق المنازل فهذا يعني انفجار صهاريج أو تدمير محطات وقود.. أو سيارات.. إنها الحرب، الحرب كما يشاهدها رواد السينما: أعمدة من الدخان تتصاعد نحو السماء دون رائحة ودون ألم.

استهداف الصحافة.. حجب عين الحقيقة

وفي السياق الإعلامي كان من ضمن سياسة العدو التطهيرية أيضاً استهداف الإعلاميين والصحفيين بصفتهم يمثلون عين الحقيقة، حيث عملت الصورة بفعل الصمود والمقاومة على إعادة القضية الفلسطينية بقوة إلى الواجهة.. وكان العدو لا يريد نقل هذه الحقيقة التي ساهمت في تشويه صورته العدوانية الفاشية أمام شعوب العالم سيما أن الصورة التي كانت تسوَّق عن هذا العدو قبل 7 أكتوبر أنها (تمثل الديمقراطية) في المنطقة، لذلك لجأ العدو إلى اسكات صوت الحقيقة الذي يفضح ممارساته ويعري مزاعمه أمام العالم كما يفضح الانحياز الغربي غير المسبوق في صف السردية الصهيونية، وهو ما حاربه الصحفيون في قطاع غزة منذ اليوم الأول للحرب حيث عملوا على كشف جرائم الإبادة العرقية لذلك عمد العدو وبدرجة غير مسبوقة على ترويع الصحفيين سعيا وراء طمس الحقيقة وما يحدث على الأرض، ومنع وسائل الإعلام من نشر الحقيقة، ولم تقتصر على قتل الصحفيين بل امتدت إلى تدمير بيوتهم واستهدافهم وقتل أبنائهم وعائلاتهم، كما حصل مع مصور وكالة الأناضول (علي جاد الله) الذي فقد أسرته ووالده وإخوته، كما فقد مصور الأناضول (محمد العالول) أبنائه واخوته، كما ارتقى مصور وكالة الاناضول (منتصر الصواف) وكذلك فقد مراسل الجزيرة (وائل الدحدوح) عائلته وحفيده كما تعرض بعد ذلك للاستهداف الذي أدى إلى ارتقاء مصور الجزيرة (سامر أبو دقة)، كما فقد مراسل الجزيرة (مؤمن الشرافي) والدته وعدد من أشقائه وأبنائهم، كما استشهد مراسل التلفزيون الفلسطيني (محمد أبو حطب)، وكذلك الصحفيتان آلاء طاهر الحسنات ومراسلة قناة (الغد) آيات خضورة، ومدير (رابطة بيت الصحافة الفلسطيني) بلال جاد الله، والقائمة تطول وقد وصل عدد الشهداء الذين استهدفوا في غزة من الصحفيين أكثر من 95 صحفياً بالإضافة إلى بعض شهداء من الصحفيين في لبنان منهم عصام عبد الله مصور (وكالة رويترز للأنباء)، والاعلامية في قناة (الميادين) فرح عمر والمصور ربيع المعماري. وعلى صعيد متصل هناك عشرات الصحفيين الذين يقبعون في سجون الاحتلال. بالإضافة إلى ذلك استهدف العدو الصهيوني المؤسسات الاعلامية، حيث قام بتدمير المكاتب الصحفية والإعلامية للإذاعات والمحطات الفضائية. علاوة على ذلك قام بحظر بث قناة (الميادين) من فلسطين.

جبهة منصات التواصل الاجتماعي

لقد اشعلت الحرب على غزة حرب أخرى ليست على الأرض، بل في الفضاء الالكتروني، حيث تحولت منصات التواصل الاجتماعي رغم ما فرضته خوارزميات مارك زوكيربيرج على كل ما يخص الحرب على غزة والقضية الفلسطينية وأظهرت انحيازه الأعمى للعدو، وقد تحولت منصات التواصل الاجتماعي إلى ساحة حرب، حيث استطاع المدونين في الطرف الفلسطيني والعربي والاسلامي والمؤيدين للقضية الفلسطينية في العالم من فرض الرواية الفلسطينية على المتلقي، واعتمدوا في ذلك على نشر اللوحة الفنية والملصق والكاريكاتير والكلمة والأغنية ومقاطع الفيديو التي توثق جرائم العدو بالإضافة إلى نشر فيديوهات تاريخية تبين دموية العصابات الصهيونية في فلسطين وكذلك فيديوهات تمثل نضال الشعب الفلسطيني ضد تلك العصابات.. فكان كل ما نشر سلاحاً أساسياً في المعركة شاهد العالم من خلاله الحقيقة كل الحقيقة. وبهذا الخصوص ذكرت صحيفة « واشنطن بوست « الأميركية أن « مقاطع الفيديو التي جرى تحميلها على منصات التواصل، من قبل إسرائيليين أو فلسطينيين، ساهمت في تشكيل فهم العالم للعنف في إسرائيل وغزة، حتى وإن خيم عليها سيل من (المنشورات المضللة)».

وفي هذا السياق أنفق الكيان الصهيوني عشرات الملايين من الدولارات على مشغلي منصات التواصل لتبييض صورتها أمام العالم، ولعبت على دغدغة مشاعر الغرب بمحتوى متنوع يربط المقاومة الفلسطينية بالإرهاب ويطالب بإطلاق سراح الأسرى مع التركيز على صورة النساء والأطفال، حيث نشرت وزارة خارجية الكيان الصهيوني نحو 100 فيديو عبر (يوتيوب) ووصل حجم الإنفاق على نشر المحتوى نحو 8 ملايين دولار في حملات رصدتها تقارير إعلامية.

ومن جهة ثانية، كشف موقع « بوليتيكو « الأوروبي عن « إغراق إسرائيل مواقع التواصل بمنشورات لتشكيل رؤية العالم بشأن الحرب الدائرة في غزة « . وذكر الموقع أنه « منذ بدء الحرب، نظمت الحكومة الإسرائيلية حملة واسعة النطاق على وسائل التواصل الاجتماعي في الدول الغربية الرئيسة لحشد الدعم لردها ضد حركة (حماس) عبر عشرات الاعلانات التي تحتوي على صور ومقاطع فيديو عاطفية وعنيفة «. وقد استفادت منصة « X « المملوكة لرجل الأعمال الأميركي « إيلون ماسك « من زخم توجه العديد من المستخدمين إلى فضائها الرقمي لعدم وجود القيود المفروضة نفسها في المنصات الأخرى مثل (إنستغرام) و(فيسبوك) حيث لعب مستخدمي المنصات الرقمية على وتر الحبل لخداع الخوارزميات عن طريق كتابة المحتوى بكلمات متقطعة ورموز. لقد كان لمنصات التواصل الاجتماعي اهمية في نقل الأحداث ومتابعتها في ظل توجه الإعلام الغربي المنحاز للرواية الصهيونية وتجاهل معاناة الفلسطينيين سيما أن مراسلي المحطات الغربية كانوا في فلسطين المحتلة وفي مناطق التواجد العسكري الصهيوني ولم يكن في غزة مراسلين لتلك المحطات وهذا يؤكد وبشكل واضح وفاضح انحياز التغطية.

لقد استطاعت الصورة الرقمية أن تفعل فعلها.. ولم يعد المصور حرفياً، بل هو أيضاً فنان، وآلة التصوير لم تعد مجرد تقنيات بل استطاعت من خلال عين المصور أن تملأ فيها الحياة والمشاعر والأفكار والمواقف المناهضة للاحتلال والعدوان والقتل والتدمير. حتى أنها لفتت الانتباه لقدرتها وإمكاناتها لتكون أيضاً فناً وعالماً قائماً بذاته. فطوبى لكل من يحمل كاميرا في أرض المعركة والمجد والخلود لكل من سقط دفاعاً عن نقل صورة الحقيقة.. عن الواجب.. عن حق الشعوب بالنضال والتحرر والحياة.. من أجل إيصال الحقيقة كل الحقيقة كما هي ودون رتوش.

أخيراً كان لصمود الغزيين حاضنة المقاومة، وكذلك ضربات المقاومة الموجعة للعدو، التي تقاتل من أجل الحرية والاستقلال دور مهم في تثوير الشارع، كما ساهم اعلام المقاوم في رفع معنويات الشارع الفلسطيني والعربي وكذلك أحرار العالم، الذين صوروا الكيان الصهيوني بصورة الكيان المارق في النظام الدولي الذي بات يكيل بمكيالين. فهو يذرف الدموع على قتلى اوكرانيا، ويديرون ظهورهم للمجازر في فلسطين دعماً للكيان الصهيوني المؤقت، وكانت الصور والفيديوهات التي كانت تبثها المقاومة، تؤشر على عافية المقاومة وقدرتها على التخطيط وإدارة المعركة بكل حنكة واقتدار من أجل تحقيق الانتصار على عدو هزم في أول يوم من 7 اكتوبر.. على صعيد المعركة والإعلام والصورة.

طوفان الأقصى والتحديات المصيرية

د. عابد الزريعي

مدير مركز دراسات ارض فلسطين للتنمية والانتماء/تونس

تشكل معركة طوفان الأقصى حلقة مميزة في سلسلة معارك حركة التحرر الوطني الفلسطينية. ويتمثل المقياس الموضوعي لقياس إنجازات هذه المعركة أو تلك من معارك التحرك الوطني، في ثلاثة أسس، يتعلق أولها بمدى تعزيز تلك المعركة لشرعية المقاومة، وثانيها بمدى تفعيلها للتناقضات في صفوف العدو، وثالثها بمدى تفعيلها للتعارضات بينه وحلفاءه. إن السرد الموضوعي للنتائج المتحققة، على ضوء هذا المقياس، يؤكد أن طوفان الأقصى قد شكل نقلة نوعية في مسار نضال الشعب الفلسطيني، تتحدد ملامحها من خلال ربطها بمعركة سيف القدس التي اختتمت مرحلة الدفاع الاستراتيجي للحركة الوطنية الفلسطينية، تلك المرحلة التي تواصلت على مدى خمسة وسبعين عاما بكل ما فيها من انتصارات وانكسارات وأفراح ودموع وتحدي وصمود، لتأتي معركة الطوفان وتدشن بداية مرحلة التوازن الاستراتيجي في الصراع مع العدو الصهيوني. وهذا ما يفسر كثافة التوقف الفكري والتحليلي من قبل عدد كبير من مراكز البحث الصهيونية أمام معركة سيف القدس، والانقضاض العسكري في محاولة لإجهاض النتائج الاستراتيجية لطوفان الأقصى قبل أن تترسخ، وتبدأ في إنتاج مفاعيلها. أما على المستوى السياسي فقد جرت عديد المحاولات وقدمت المشاريع والأطروحات، في العلن والسر، من أجل تحويل مسار الطوفان إلى اتجاه عكسي، نتناول في هذه المقال تلك المشاريع ــ التحديات، والمهام اللازمة لمواجهتها ودحرها في عنوانين:

أولا: التحديات السياسية

على الرغم من تعدد صيغ هذه المشاريع، سواء اتخذت طابع الطرح الرسمي، أو كانت مجرد اقتراحات وتصورات عابرة، إلا أنه يمكن إدراجها في أربعة عناوين هي:

أولا: التفتيت والتشتيت ــ الديمغرافي، ويتمثل أولا في تهجير الفلسطينيين من قطاع غزة ــ بشكل كلي ــ إلى شبه جزيرة سيناء المصرية، وإيجاد حياة طبيعية لهم في دول أخرى، وذلك بالتعاون مع المجتمع الدولي ودول عربية مجاورة. وتتلخص آليات التنفيذ في الإبادة الجماعية وتدمير الملاذ الإنساني لإجبار الناس على الهجرة تحت الضغط العسكري، وتوسيع السيطرة الأمنية الاسرائيلية على غزة بعد الحرب. وتقديم الاغراءات لبعض الأطراف الإقليمية للانخراط في المشروع، ومنها التلويح لمصر بإلغاء ديونها وفتح الباب أمامها للاستفادة من غاز غزة، وللسعودية، باستغلال سكان غزة كعمالة. ومحاولة الحصول على دعم دولي:» على أساس أنه حل صحيح وعادل وأخلاقي وإنساني». ويتلخص الهدف من ذلك في التخلص من بيئة سكانية كثيفة ومستعدة للمقاومة. وتغيير تركيبة سكان غزة بشكل دائم. وإعادة مستوطني المناطق الحدودية و(كتلة) غوش قطيف». وبناء مجمعات سكنية- مما سيعطي زخما للاستيطان في النقب. وثانيا بشكل جزئي يتمثل في إفراغ شمال قطاع غزة من السكان، وطرح فكرة ترحيل المقاومين. ومن الجلي أن هذا المشروع يفتقر لأي غطاء دولي أو إقليمي. فقد عارضت امريكا تهجير الفلسطينيين، أو إعادة توطينهم خارج غزة بوصفها أرض فلسطينية». وكذلك رفضته المقررة الخاصة للأمم المتحدة المعنية بحقوق الإنسان. كما رفضته كل من مصر والسعودية. ونفت كل من (الكونغو ــ رواندا ــ تشاد) انخراطها في مباحثات بهذا الشأن، وذلك ردا على ما روجت له اسرائيل بأنها تجري مباحثات مع هذه الدول لاستقبال أبناء قطاع غزة.

ثانياً: التوكيل الإداري، وهي جملة المشاريع التي تتحدث عن إدارة قطاع غزة بعد انتهاء العدوان، والقائمة على فرضية هزيمة المقاومة عسكريا. وتتلخص هذه المشاريع أولا في التوكيل العشائري، وذلك بتقسيم القطاع إلى مناطق إدارية، تديرها العشائر لفترة مؤقتة. وثانيا في تشكيل إدارة انتقالية من التكنوقراط في قطاع غزة لمدة عامين تكون مدعومة من الأمم المتحدة وقوات عربية. وثالثا في التوكيل الشخصي، ذلك أن الإمارات تؤيد تولي دحلان إدارة قطاع غزة ما بعد الحرب. ورابعا في توكيل السلطة الفلسطينية، وهي الصيغة التي تطرحها أمريكا وتناقشها مع قوى غربية، بعد اجراء تغييرات في بنيتها لتكون قادرة على تولي المسؤولية، بينما يرفض نتنياهو أي دور للسلطة في قطاع غزة، إلا بعد إجراء تغييرا جوهريا يتبدى في إثبات وجودها في الضفة. وقد عبر رئيس وزراء السلطة عن موقفها من هذه الأطروحات بالقول: «إن السلطة الفلسطينية لن تعود إلى حكم قطاع غزة على ظهر الدبابات». وخامسا التوكيل الدولي والإقليمي بصيغ متعددة منها نشر قوة متعددة

الجنسيات تضم قوات أميركية. أو وضع غزة تحت إشراف الأمم المتحدة بشكل مؤقت. أو تشكيل تحالف دولي بالتعاون مع الأمم المتحدة يتولّى تأمين غزة. او توكيل مختلط محلي واقليمي ودولي يضم أربعة أطراف: قوة متعددة الجنسيات (بقيادة الولايات المتحدة ودول غرب أوروبا والدول العربية المعتدلة، ومصر واسرائيل، وهيئة إدارة مدنية فلسطينية، (وتتكون من لجان محلية وأحزاب غير معادية لإسرائيل.) إلى أن تتمكن السلطة الفلسطينية من الاضطلاع بهذا الدور. وفي تقاطع مع تلك التصورات كشف وزير الخارجية الأميركي عن اتفاق 4 دول عربية «قطر، الإمارات، السعودية، الأردن» بالإضافة إلى تركيا، على البدء في التخطيط لإعادة إعمار غزة وإدارتها بمجرد انتهاء الحرب.

ثالثاً: السيطرة الإسرائيلية، وتتمثل في إقامة منطقة أمنية على محيط غزة، يسمح لإسرائيل بالهيمنة الأمنية وحرية العمل العسكري بدون قيود. وعلى هذه الأرضية حاولت إقناع مصر بالتعاون معها من أجل السيطرة على محور صلاح الدين «فيلاديلفيا» ومعبر رفح. وفي هذا السياق برزت تباينات في الموقف الاسرائيلي بين وزير المالية الذي يقول: «لتحقيق الأمن، علينا السيطرة على القطاع. وللسيطرة على المدى الطويل، نحن بحاجة إلى وجود مدني». بينما يقول وزير الدفاع «لن يكون هناك وجود مدني إسرائيلي في قطاع غزة بعد تحقيق أهداف الحرب».

رابعا: إنهاء الاونروا، ويتبدى في المحاولة الاسرائيلية لإخراج وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) من قطاع غزة. حيث اتهمتا بإدامة الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، من خلال توسيع وضع اللاجئ ليشمل أحفاد الفلسطينيين الذين هجرتهم عام 1948. كما اتهمتها بتمجيد الإرهاب في مساقاتها الدراسية، وأن خريجي مدارس الأونروا شاركوا في الهجمات ضد «المدنيين الإسرائيليين فضلا عن وجود محتوى معاد للسامية والجهاد في الكتب المدرسية». وتتمثل آليات الوصول لهذه الغاية في اتهام الاونروا بالتعاون مع حركة حماس. وتقليص عمليات الأونروا في القطاع، ثم نقل كل مهام الأونروا إلى الهيئة التي ستحكم غزة بعد انتهاء الحرب». ومن الجلي أن الحافز الكامن خلف ذلك هو محاولة طمس قضية اللاجئين الفلسطينيين التي تشكل الوكالة أحد رموزها، وبالنتيجة استهداف حق العودة للشعب الفلسطيني.

ثانيا: تقاطع المشاريع وتحديد المهام:

المسألة الأساسية التي يجب الانتباه إليها في قراءة المشاريع المطروحة هي أنها جميعا تتعلق باليوم الثاني للحرب. وجميعها تتقاطع عند هدف واحد، وهو إجهاض انتصار المقاومة وتحويلة إلى هزيمة سياسية ساحقة، وذلك بغض النظر عن التباينات في المواقف والمسافة التي يتخذها كل طرف من هذا المشروع أو ذاك. وتتحدد الأهداف التي يراد من خلال تحقيقها إجهاض نتائج طوفان الأقصى في ثلاثة:

1 ــ انهاء ظاهرة المقاومة المسلحة في قطاع غزة. بتفكيك بنيتها، وتحويل القطاع الى بيئة متناقضة معها وطاردة لها، إلى حد أن نتنياهو يطالب ب « استئصال التطرف في المدارس والجوامع وتحويل المجتمع المدني الفلسطيني وتوظيفه في دعم مكافحة الإرهاب».

2 ــ التهجير (الطوعي) طويل المدى لأكبر عدد ممكن من أبناء قطاع غزة، كصيغة مختلفة عن التهجير (القسري) بما تستدرجه من ردود أفعال. وكان من اللافت تصريح لأبو الغيط الأمين العام الأسبق لجامعة الدول العربية قال فيه: «التهجير معركة طويلة وتحتاج إلى تضامن عربي لإحباط المخططات التي تحاك ضد الشعب الفلسطيني والدول العربية».

3 ــ دفع القضية الفلسطينية في مسارب سياسية مجهولة تقود إلى تصفيتها عبر مدخل «العمل على تحقيق السلام والأمن والاستقرار على المدى الطويل في المنطقة ككل».

إن التقدم في محاولة تحويل الانتصار العسكري للمقاومة إلى هزيمة سياسية، تستند إلى تحويل ما خلفه العدوان من دمار على المستوى الإنساني إلى ثغرة دفرسوار جديدة. وذلك بإشهار ملف إعادة الإعمار كأداة ضغط. بما يعنيه ذلك من منع البنية السكانية من إعادة التموضع، واستمرار (هجرتها الداخلية) مع محاولة الاشتغال على خلق التعارضات بينها وبين المقاومة من ناحية، وتكثيف استعدادها للهجرة (الطوعية) من ناحية ثانية. كما تستند ثانيا إلى العمل على جر أطراف إقليمية للانخراط أكثر في العمل من أجل تحقيق ذلك الهدف عن طريق تقديم الاغراءات لمصر (الاقتصاد وسد النهضة) وفي هذا السياق استشعر بعض النواب المصريين الخطر من إقرار مجلس النواب المصري تعديلا قانونيا يتيح للمستثمرين الأجانب تملك الأراضي الصحراوية، وقالوا إن القانون يشكل تهديدا للأمن القومي. خاصة أن ما يزيد على 90 بالمئة من مساحة مصر هي أراض صحراوية، والمناطق الحدودية (ومنها سيناء). وكذلك سعي اسرائيل المحموم والمستمر للسيطرة على ممر صلاح الدين. وفي هذا السياق تتبدى العلاقة بين ملف إعادة الإعمار، وتشديد الحصار على قطاع غزة، حيث يصبح التكيف مع الشروط المواكبة للملف ممرا اجباريا لمعالجة الدمار الذي خلفه العدوان، وفي حال رفض المقاومة لذلك، وتوفير مصادر تمويل بديلة ــ وهي ممكنة ــ فإن الحصار وإغلاق المعابر سيمنع عليها الاستفادة من هذه المصادر، وبالنتيجة تجد نفسها في مواجهة مع حاضنتها الشعبية، ولن تعدم القوى المعادية الوسيلة لحقن بعض أطرافها ودفعها في وجه المقاومة. وفي مواجهة هذه التحديات هناك مجموعة من المهام الضرورية والملحة وهي:

1ــ الوحدة الوطنية: وحدة القوى الوطنية المقاومة بوصفها القاعدة الصلبة التي تضمن الالتفاف الجماهيري من حولها على قاعدة وضوح الموقف السياسي المنسجم مع الحقوق الوطنية الفلسطينية.

2 ــ الصمود العسكري: الاستمرار في المقاومة بذات النسق المتنامي من ناحية، واقتصاد جزء من القوى (احتياط) تكون جاهزة ومستعدة للتعامل مع مفاجئات ما بعد وقف إطلاق النار.

3 ــ الصمود الإداري: تعزيز الجهاز الإداري لمرحلة ما بعد الحرب ودعمه بلجان شعبية تطوعية لتقديم الخدمات وضبط أية انفلات.

4 ــ التنسيق مع حركات التضامن الدولية من أجل ضمان ديمومة حراكها، وتوحيد شعارها في هذه المرحلة تحت عنوان « وقف العدوان ــ وقف إطلاق النار».

5 ــ التنسيق بين حركات التضامن العربي وتوحيد شعارها وهدفها تحت عنوان « فتح معبر رفح». الذي بات يمثل عقبا أخيل المقاومة، والقيام بمختلف الأنشطة التي تؤمن تحقيق هذا الهدف، ذلك أن استمرار فتح المعبر، يعني ضمان توفير لوازم صمود ما بعد الحرب، خاصة تلك المتعلقة بإعادة الإعمار، وعبر مصادر ــ ممكنة ــ خارج إطار الاشتراطات التي سيتم وضعها بهدف تحقيق الاهداف المناقضة لمصالح الشعب الفلسطيني.

إن زحمة المشاريع المطروحة تؤكد في جانب منها على حجم الانجاز الذي تحقق من خلال طوفان الأقصى، لذلك جاءت محاولات الإجهاض متعددة وكثيرة، الأمر الذي يجعل من الصمود على الأرض حجر الزاوية في دحر كل هذه المشاريع.

صمود قطاع غزة

وانكسار المسلمات «الإسرائيلية»

عودة لنهج الإغتيالات

علي بدوان

كاتب سياسي فلسطيني/ سورية

القفزة النوعية

رَسَّخَ صمود قطاع غزة، علامةٍ فارقةٍ في الوعي الفلسطينيّ، وفي الذاكرة الجمعية الوطنية الفلسطينية، التي تختزن بين تلافيفها مآثر خالدة في تاريخ كفاحي تراكمي، قبل النكبة، وبعد النكبة من خلال مسارات الحركة الوطنية والثورة المعاصرة.

فأثبت الفلسطيني، مرة جديدة وبشكلٍ صارخ، وبإستجماع الخبرات المُكتسبة لديه خلال سنوات الكفاح الفلسطيني المضنية منذ فجر الإنطلاقة المعاصرة للثورة الفلسطينية في الأول من كانون الثاني/يناير 1965 وماسبقها من ارهاصات هيأت لإندلاع ثورة الشعب العربي الفلسطيني، أنه قادر على الفعل والمبادرة، والإبداع في مواجهة أعتى مراكز الشر في العالم، في مواجهة «إسرائيل» التي تمتلك جيشاً يقال عنه بانه الجيش الرابع في العالم.

لقد اشتق الفلسطينيون، واجترحوا أساليب المقاومة بكل أنماطها، ومنها الفدائية المسلحة، التي تأخذ بعين الإعتبار مواجهة آلة عسكرية كلية الدمار تقف ورائها الولايات المتحدة، فأبطلوا مفعول «القبّة الحديدية»، ومفاهيم سَبَقَ وأن شكّلت بالنسبة لدولة الإحتلال : «فلسفة الحسم بالقوة العسكرية». فأبدع مناضلي مختلف القوى والفصائل الفلسطينية في صياغة الخطط والتكتيكات، واستخدموا المُسيّرات (الدرونات) البسيطة والمقنبلة، و أوقعوا الخسائر الفادحة وغير المتوقعة في صفوف جيش الإحتلال.

فقد انهارت قوات جيش الإحتلال، ونخبه على طول غلاف غزة، والمستعمرات الواقعة على امتداده، وكَسَرَت المقاومة حالة المُكابرة «الإسرائيلية» التي ترفض من منطلق «الفوقيّة العرقيّة اليهوديّة» تقبّل حقيقة انهيار فرقة غزّة لجيش الإحتلال أمامَ كتائب القسام وشهداء الأقصى وسرايا القدس وابو علي مصطفى والوية الناصر صلاح الين ... وخلال ساعات معدودة فقط، وانهارت معها معنويّات «المجتمع الإسرائيلي» بشكلٍ دراماتيكيّ غير مسبوق.

ومع الالآم المُثخنة بالجراح، والدمار الشامل، واستهداف الدور ومساكن المدنيين، وإبادة عائلاتٍ بأكملها بما في ذلك الأطفال والنساء وكبار السن، تفوّق الشعب الفلسطيني في هذه الحرب تفوقاً أخلاقيًا يشهد له فيه، من خلاله معاملته لأسرى الإحتلال، والحفاظ عليهم، واطلاق المدنيين وخاصة النساء، وتجنب أي مس بأحدٍ منهم، وهو ماتناقلته الفضائيات ووسائل الإعلام والتواصل، التي تجاوزت حملات التشويه الإعلامية التي بدأتها جهات الإحتلال ومن معها في الولايات المتحدة وبعض الغرب من فبركات تحدثت عن اشياء وهمية لا اساس لها كقتل الأطفال وتقطيع الرؤوس، بغرض تشويه صورة الفلسطينيين وتقديمه كـ»وحوش» وكـ «ساديين»، وهو مابدى في اللحظات الأولى عبر مراسلة شبكة (سي ان ان) الأمريكية العملاقة من حيث الإنتشار والتأثير في الرأي العام العالمي، لكن وأمام الحقيقة الراسخة عادت القناة لتعتذر عن التشوية الذي نقلته مراسلتها في فلسطين المحتلة.

لقد أرسلت محنة الصمود والثبات في قطاع غزة، ورغم جراحها الأليمة رسائل بكل الإتجاهات :

أولها للإحتلال ذاته، كي يَعرف أن كلفة بقائه في فلسطين عالية وغالية جدًا ولا يستطيع تحملها، فزمن قتل الفلسطينيين وبكل خسة ودون حساب أو رقيب انتهى وإلى الأبد.

وثانيها أن الشعب الفلسطيني يمتلك المخزون الهائل من الإرادة والتصميم للإستمرار في المشروع الوطني التحرري العادل.

وثالثها أن قوة الإحتلال لن تبقى قائمة أبد الدهر، ولن تبقى دولة طافرة موجودة بسيفها واغداق امبراطورية الشر عليها، التي تزودها بمقومات البقاء، فكل شيء ينهار في النهاية ولا يبقى إلاّ اصحاب الحق، اصحاب الأرض والوطن.

ورابعها أن جانب هام من مفهوم دور المُستعمرات المحيطة بالقطاع وغيرها في فلسطين أن تكون عازلاً «يغلّف» قطاع غزة والقدس ومدن الضفة الغربية قد تضعضع، وهو في طور الإنحسار التدريجي وإن طال وقته.

وخامسها أنه هناك تآكل تدريجي لمفهوم ما يُسمى «قوة الردع»، وللعقيدة الأمنيّة «الإسرائيلية» القائمة على ما ذهب اليه جنرالات جيش الإحتلال : قوة الردع. والإنذار الاستراتيجي، والحرب الخاطفة السريعة. وجميعها تتآكل تدريجياً، ولنأخذ على سبيل المثال الفشل في الإنذار الإستراتيجي من قبل الاستخبارات العسكريّة التي وقعت في كمين الخدعة الكبرى في ما وقع في قطاع غزة.

الفاشية في أعلى تجلياتها

في هذا المسار من الحرب المجنونة ضد المدنيين والمواطنين الفلسطينيين، اتسعَت الهمجية «الإسرائيلية» الصهيونية، وأعادت تجديد الروح الفاشية ونزعات التطرف داخل بنية كيان الإحتلال ومجتمعه الذي بات يميل أكثر فأكثر باتجاهات اليمين المتطرف، حتى بان للعالم كله، وللمرة الألف، بأن «إسرائيل» دولة عنصرية فاشية، يتحكّم في مسار سياساتها وممارساتها غلاة القتلة والمجرمين من نسل عصابات (الهاجناه والبالماخ وشتيرن) التي اقامت كيان الدولة العبرية الصهيونية بقوة النار والبارود والقتل، وبدعمٍ كامل من سلطات الإنتداب البريطاني على فلسطين.

المثال الطازج والصارخ (وليس الوحيد)، لفاشية دولة الإحتلال، وضربها القانون الدولي بعرض الحائط، كان مساء يوم السابع عشر من تشرين أول/كتوبر 2023، أي قبل أيامٍ خلت، عندما تم استهداف وقصف المستشفى المعمداني في مدينة غزة، بسلاح الجو وطائرت (اف 35)، التي ألقت القنبلة الفتاكة من نوع (KM84)، مما أدى لإستشهاد عدة مئات من الجرحى والمصابين من النساء والأطفال والكهول الذين كانوا يتلقون العلاج نتيجة الإصابات التي وقعت عند قصف دورهم السكنية في المشفى.

إنها الفاشية «الإسرائيلية الصهيونية» المُتجددة، التي تعيد انتاج تاريخ الفاشية إياها من مجازر النكبة إلى صبرا وشاتيلا ...، الفاشية «الإسرائيلية» التي أوغلت بلعبة الموت والدمر، واستسهلت قتل واستهداف المدنيين الفلسطينيين، وتحديداً من خلال سلاح الجو الفتاك والطائرات الحربية الأمريكية الصنع ذات التقنيات العالية، تقنيات القتل والتدمير، والقاء القنابل الفتاكة على المدنيين حصراً.

جريمة قصف المشفى المعمداني في قطاع غزة، هي الفاشية في اعلى درجاتها، جريمة يُندى لها الجبين في تاريخ الإنسانية الحديث والمعاصر، وستبقى وصمة عار على من دعم، أو صمت عنها، أو تواطؤ، وروج الرواية «الإسرائيلية الصهيونية» بشأنها، وعن نتائجها الكارثية. وهي بكل الحالات لن تُثني الشعب الفلسطيني، ولن تدفعه لرفع الراية البيضاء.

وقد وصل الجنون الصهيوني، والتلفيق، والتزوير، وخداع الرأي العام العالمي، في الخطاب الإعلامي، بشأن استهداف المشفى المعمداني، إلى فرضيّةٍ مفادها أن أنفاق فصائل المقاومة الفلسطينية محفورة تحت مستشفيات القطاع، وبالتالي فإن «هدم وتدمير المشافي هو ضرورةٌ إنسانيّة...!!».

إنه «خطاب الأخلاق المقلوبة» لتبرير الحروب الإباديّة في استغلالٍ دنيء، غير أخلاقيّ بالطبع، لدماء الضحايا. و»القشعريرة من الفظائع»، والتي أضاف الإحتلال إليها «شيطنة الفلسطينيين» وجميع قواه السياسية وغير السياسية، وتشبيه فصائل المقاومة المسلحة بـ «داعش» عند بعض العرب.

فالحرب الفاشية الهمجية على القطاع، وُضعت لها من قبل كيان الإحتلال وداعميه، وخاصة الولايات المتحدة، قاعدة غير أخلاقية منذ البداية، عبّرت عنها مصطلحات «مسؤولين إسرائيليين» مثل الرئيس يتسحاق هرتسوغ الذي جزم بعدم وجود أبرياء في غزة «وإلا لثاروا على حركة حماس»، كما وصف وزير «الأمن الإسرائيلي» يوآف غالانت سكان القطاع بـ»الحيوانات البشرية» من دون أن يدينهما أي مسؤول غربي. وحدت الأمور بحاخام من أحزاب «الصهيونية الدينية» للدعوة الى «تسوية غزة بالأرض وتحويل خرائبها إلى متنزهات»، مضيفاً «لنطرد الفلسطينيين ونستوطن مكانهم»، «لنكوي وعيهم بأنهار من الدماء». وعليه، ينجلي الدمار في غزة كجزء واستمرار لحرب الإبادة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني بهدف إخفائه عن الخارطة الجيوسياسية كشرط لتوسيع وتثبيت المشروع الكولونيالي الصهيوني في فلسطين.

إن كيان، تحكمه مجموعة «من الغلاة الأكثر تطرّفًا في تاريخ إسرائيل»، من المهووسين من عتاة وغلاة الحقد الموجه للإنسانية، وقد قام على فلسفة الإبادة الجماعيّة للآخرين (وهنا الآخرين تعني الشعب الفلسطيني والعرب ككل)، وتحييد المشاعر، ووضع خطط ناجعة تضمن تحقيق الإبادة، باعتبارها من أولوياته.

لذلك حاول نتنياهو وأمام ردود الفعل التضامنية في العالم مع الشعب الفلسطيني، والتي ضجّت بها كبرى المدن في مختلف الدول بما فيها الولايات المتحدة، إلى تخفيف اندفاع ممثلي أحزاب «الصهيونيّة الدينيّة»، وعدم اشراكها أي منها في مجلس الحرب المصغّر (الكابينيت)، واستدعاء رؤساء سابقين لهيئة الأركان «الإسرائيليّة» من أجل إدارة الحرب.

واشنطن تدير الحرب... و«إسرائيل تحت الوصاية»

لقد انشغلت الإدارة الأمريكية منذ بدء العدوان على القطاع وعموم مناطق مخيمات وبلدات الضفة الغربية، في العمل من أجل ابتلاع نتائج اجتياح المستعمرات في الغلاف المحيط بالقطاع ومقتل العشرات من (فرقة غزة) التابعة لجيش الإحتلال، وتحميل مسؤولية التسخين للفلسطينيين، ووصمتهم بعباراتٍ قاسية متجاهلة أسباب الإنفجار المتوّلد عن الإحتقان الفلسطيني من قبل المواطنين قبل القوى السياسية وحتى العسكرية، جراء سياسات الإحتلال، وعلة وجود الإحتلال ذاته، وحصاره المدقع لقطاع غزة منذ سنواتٍ طويلة، ومايجري في القدس ومحيطها على يد قطعان الهمجية الصهيونية من عصابات المستوطنين وممارساتها، ومهاجمتها للقرى والبلدات في ارياف مدن الضفة الغربية واقتلاع اشجار الزيتون وغيرها.

فوصل وزير الخارجية الأمريكي بلينكن فوراً للمنطقة بعد يومين من بدء العدوان، وأطلق تصريحه الفج والأعمى حين قال: «جئت بصفتي يهودي اولاً قبل أن أكون وزيراً لخارجية الولايات المتحدة». ونشط على الفور مُقدماً مشروعه لترحيل وتهجير مواطني القطاع الى سيناء وغيرها، في حملة تطهيرٍ عرقي «ترانسفير» بحق المواطنين الفلسطينيين اصحاب الأرض والوطن، وبشكل يتعارض بل وينسف القانون الدولي، وقد جوبه موقفه ــ ولحسن الحظ ــ برفضٍ عربي كامل من قبل الدول المعنية بالمشروع وخاصة مصر. وهو ما تبدى أكثر من خلال زيارة الرئيس الأمريكي ذاته جو بايدن وحضور اجتماع (كابينيت حكومة الطوارىء العسكرية) والمعنية باتخاذ القرارات الحساسة وذات البعد الأمني والعسكري والسياسي.

لقد تبع على الفور جولة بلينكن، وصول حاملة الطائرات الأمريكية «يو إس إس جيرالد فورد» مع سفنٍ داعمة لها إلى شرق البحر المتوسط، وهيَ أحدث حاملة طائرات في الولايات المتحدة والأكبر في العالم، ويوجد على متنها ما يزيد على 5000 بحار. ويمكن للحاملة، التي تضم مفاعلاً نووياً، استيعاب أكثر من 75 طائرة عسكرية مقاتلة، ومنها «إف 18 سوبر هورنت» و«إي 2 هوك آي» اللتان يمكن استخدامهما كنظام إنذار مبكر. كما تحمل ترسانة صواريخ من بينها الصاروخ «إيفولفد سي سبارو»، وهو صاروخ أرض جو متوسط المدى يستخدم للتصدي للطائرات ومنها المُسيّرة. ويتم استخدام صاروخ آخر ذي هيكل دوار على متن فورد، لاستهداف الصواريخ المضادة للسفن جنبا إلى جنب مع نظام الأسلحة «إم كيه-15 فالانكس كلوز-إن» الذي يستخدم لإطلاق الرصاص الخارق للدروع. والحاملة فورد مزودة كذلك بأنظمة رادار متطورة يمكنها المساعدة في التحكم في الحركة الجوية والملاحة. ومن بين السفن الداعمة للحاملة فورد، طراد الصواريخ الموجهة «نورماندي» من فئة «تيكونديروغا» ومدمرات الصواريخ الموجهة «توماس هودنر» و«راماج» و«كارني» و«روزفلت» وهي من فئة «آرلي بيرك». وجميع هذه السفن مزودة بقدرات حربية أرض جو وأرض أرض ومضادة للغواصات.

وتبعها حاملة الطائرات «آيزنهاور»، التي تعمل بالطاقة النووية، والتي تم تشغيلها عام 1977، أولى عملياتها في أثناء غزو العراق للكويت. وعلى متن الحاملة 5000 بحار ويمكنها حمل ما يصل إلى تسعة من أسراب الطائرات ومنها المقاتلات والهليكوبتر والاستطلاع.

إن تلك الحشود الأمريكية، قد تكون في الجانب الهام منها، حالة استعراضية، لإرعاب وترهيب المنطقة، وتأكيد تبني «إسرائيل» والدفاع عنها حتى النهاية، فـ «اسرائيل تحت الوصايا الأمريكية». لذلك نرى أن وزير الخارجية الأمريكي قد حضر الإجتماع الحاسم لمجلس الوزراء المُصغّر (الكابنيت) في «إسرائيل»، كما حضر الإجتماع رئيسة السفارة الأمريكية ستيفاني هاليت، وشارك في أوقاتٍ لاحقة باجتماعين اثنين للكابينيت.

مابعد غزة ... فلسطينياً مائة بالمائة

ومع استمرار العدوان، وولوج البشرية العام الميلادي الجديد 2024، بدأت مصادر القرار في الإدارة الأمريكية بالحديث بشأن ما أصبح يُطلق عليه «ما بعد غزة»، في وقتٍ أدلى الكثير من الساسة الغربيين بمواقف تتعلق بمآلات الوضع مابعد الحرب على القطاع، وكان منهم طوني بلير رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، الذي رشحه البعض لتولي ادارة القطاع بقرارٍ دولي تسعى الولايات المتحدة لإستصدارهِ، وغيره من المشاريع التي يتم تداولها في غرف وكواليس الدبلوماسية السرية، بغياب صاحب العلاقة والمعني الأول وهو الشعب العربي الفلسطيني صاحب الأرض والوطن...!

فكيف ستكون مرحلة مابعد غزة....؟

وهل الشعب الفلسطيني، شعب قاصر، يحتاج لمن يُقرر عنه ما بعد غزة...؟

إن مابعد غزة تعني فلسطينياً أن أبناء الوطن هم من يقرروا الأمر، وليسوا بحاجة لوصاية من أي طرف. كما يعني فلسطينياً أنَّ غزة وكامل قطاعها، جزء لايت جزأ من الأرض الفلسطينية، وأن مواطني القطاع جزء أصيل من الشعب الفلسطيني. فما بعد غزة سيكون فلسطينياً بالتمام والكمال.

في هذا السياق، وقبل أيام قليلة من نهاية العام 2023 الفائت، بدأت ملامح الفترة التالية في الحرب على قطاع غزة، تشي بالقادم، فقد أوضحت تسريبات لمعلومات مُحدّدة من مصادر «إسرائيلية» عن البدء بالمرحلة الثالثة من العدوان على القطاع، في مناخٍ متوتر وضع المنطقة أمام احتمالاتٍ واسعةٍ، فالمنطقة أصبحت حُبلى بالتطورات العسكرية والسياسية في ظل ما يعانيه الشعب الفلسطيني في قطاع غزة وعموم فلسطين، واستمرار العدوان من جهة والمقاومة العنيدة له من جهة ثانية.

إن بداية المرحلة الثالثة من العدوان، تطل اليوم وفق تكتيكات جديدة عنوانها:

الخروج والنزول التدريجي عن شجرة الحرب العسكرية الواسعة، والتركيز على أهداف مُنتخبة في غزة، وحتى خارجها، بما فيها أعمال اغتيالات. وبالفعل بدأت «اسرائيل» خطواتها بسحب لواء غولاني وغيره من القطع العسكرية وآلة الدمار «الاسرائيلية» تدريجيا. وكل ذلك جاء بعد تهاوي وتحطّم توقعات الحرب العدوانية، وسقفها الذي رُسِمَ لها في لحظات العدوان الأولى، بفضل صمود شعبنا، وجوعه، وتحمله ما تنوء به الجبال، في وجه وحوش البرابرة في دولة الاحتلال ومن ساندها في عدوانها غير المسبوق من حيث فاشيته ودمويته.

وجاء استهداف الشهيد صالح العاروري، وعدد من إخوته من القساميين، الشهداء : سمير فندي، عزام الأقرع، أحمد حمّود، محمود شاهين، محمد الريّس، محمد بشاشة، في معادلة التكتيك إياه... فاستشهد صالح العاروري، ومعه ثلة من اخوته ورفاق دربه.

وبالنتيجة، هل بدأت مرحلة مابعد غزة، وترتيباتها، والإنتقال للمرحلة الثالثة من الحرب على الشعب الفلسطيني بالعودة لسياسة الإغتيالات، وتصفية القيادات، كما اعتادت دولة الإحتلال منذ قيامها على أرض فلسطين...؟

إنها فلسطين
أولى القضايا وآخرها

د. سليم الخراط

الأمين العام لحزب التضامن الوطني الديمقراطي/ سورية

قراءات ومتابعات موسعة هادفة لإحداث معركة طوفان الأقصى وغزة الحدث المزلزل في وجه العدوان المحتل فهي معركة طوفان الأقصى والمقاومة في فلسطين التي تفرض عودة بوصلتها بفرضها عودة ملفها عالمياً من جديد، فهي قضية لن تنتهي إلا بالانتصار لشعب فلسطين وتحقيقه مبادىء الانتصار التي لن يتخلى عنها تحت شعار مستمر هو « لا صلح .. لا تفاوض .. فلسطين من النهر الى البحر .. فلسطين عاصمتها القدس .. حق العودة كاملا لشعب فلسطين ..» .

فلسطين تستعيد المبادرة اليوم بقوة عودة العمل المقاوم النوعي من خلال سياسة وحدة الساحات والفصائل مجسدة وحدة الشعب الفلسطيني، فما حدث في فلسطين حدث استثنائي جدا وتوابعه وآثاره في قادم الأيام ستكون كبيرة، بل نقطة فاصلة قد تكون بداية لحقبة جديدة في الصراع العربي الإسرائيلي، الأمر الذي قد يؤدي في النهاية لفرض حل لمساومة دولية لابد منها لفرض حل الدولتين ستمثل استراحة المحارب ليس اكثر .

طوفان الاقصى في غزة يشعلُ الشّرارة، وهي ليست لحظةً عابرةً، بل هي كتابة للتّاريخ من جديد، هي لحظةُ تماهي النّار مع الارادة الفلسطينية العظيمة، المشهدُ العظيم لدخول حركة المقاومين من شرفاء حماس بفصيلها المسلّح كتائب القسام للأراضي المحتلّة، واستعادة مواقع قريبة من غزّة، واليوم بات لزاماً ومنطقاً القول: إنّ ما حدث في طوفان الأقصى من غزة البركان ومن دعم وصمود للقدس والضفة.. سيغيّر مجرى الأحداث والتّاريخ في هذه المنطقة والعالم لجهة مشاهد الحدث التي هزّت كل العالم ،

فماذا عن اللّعنة الازلية لليهود العائدة من جديد وهي لعنةُ العقد الثّامن التي تقلقُ العقل الإسرائيليّ وقد بدأت مع طوفان الأقصى في مشهد ملحميٍّ بطوليٍّ، بغضّ النظر عمن يتّفقُ معه في بعده الدّيني ..!!، فالسابع من تشرين من هذا العام هو وصمةُ عارٍ في تاريخ الكيان الصهيوني، وهذا ما سينموٌ يومًا بعد يوم، حتّى وصل البعض من المفكّرين العرب للقول: «لو مسحت إسرائيل غزّة عن بكرة أبيها، لن يستطيع أحد محو هذا النّهار من ذاكرة المستوطنين للأبد».

هذا هو مشهد الجيش الذي لا يُقهر وقد قُهر تمامًا، ونذكر بما حصل في مطار بن غوريون من إلغاء رحلات، وتوقّعات لهجرة معاكسة ولو وصلت الأمور إلى حلٍّ فالقلق باتَ جديًّا عند أي مستوطن يملك جوازات سفر عديدة، سيفضّلها على الصّواريخ المتساقطةً بالعشرات، ضمن امكانيّات حماس والفصائل الفلسطينية في غزّة، فكيف اذا اتّسعت الرُّقعة ..!!؟

إنها حقيقة «لعنة العقد الثّامن»، وهو القلق المحدق من شّمال الكيان الصهيوني، فروح إسرائيل التي تكمن في الشّمال وفق بن « غوريون « لم تعد موجودة لطالما أن سيّدة تنجب في الجنوب فسيبقى هناك للأبد مشروعَ مواجهةٍ يتّسم بالصّلابة والدّيمومة، فهل تجرُأ حماقةٌ نتيناهو على ارتكاب شيءٍ في شمال الكيان ..!!؟، الواضح نراه جميعاً مجسدا القلق المستمر للكيان الصهيوني في خطأ أحمق قد يرتكبه في المواجهات إن كان هناك مواجهات قادمة ..!!، حيث يستبعد أن يقدمَ نتيناهو على ارتكاب الحماقة التّاريخية التي قد تكون مساهمةً في نهاية الكيان الصهيوني، رغم ترجيح البعض في حينه ..!!، الا أنّ ذلك لن يغيّر من حدوث ردٍّ وردٍّ اخر في اليوم التّالي، إنها لعنةٌ كبيرةٌ غيّرت المسارات، لعلّ أبرزها التّفكك الدّاخلي والقوة المقابلة التي ستأخذ بالقوّةِ ما سُلبَ يومًا منها بالقوة .

معركة طوفان الأقصى الذي بدأ عنوان لحرب مفتوحة مع اولى الرشقات الصاروخية المفاجأة قلت يومها أن هناك من القادم ما هو أعظم وكان الهجوم رسالة في نتائجه للجميع كيانا وعرب التطبيع الذين لم يفهموا أنهم يسيرون لحتفهم وهم يتجاهلون فلسطين أول القضايا والعناوين وهي أولاً ولن يرتاحوا وكل اعوانهم ومشغليهم...

لتكن حرباً شامله حيث تبقى تكاليف الحرب أقل بكثير من سلام مخز، وانتظروا وسنرى مالم نراه منذ تشرين التحرير حيث كانت معركة الطوفان شعلة في ذكراه الخمسون، وقد بدأ العملاء العرب على واقع حجم خسائر الكيان يسارعون وينادون بوقف التصعيد، لكن عن اي تصعيد يتحدثون ..!!؟

هل أصبحت الكرامة وسيادتها والحرص عليها والدفاع عنها تصعيداً..!!؟

ما هو سر الإصرار العالمي والعربي الجديد خاصة المتمثل بالمطبعين على دعم المحتل الصهيوني رغم كل ما يرتكبه من جرائم بشعة وقتل وتدمير في حق شعب فلسطين..!!؟

لماذا لايدان الصهيوني في قتله العربي الفلسطيني في مجلس الأمن والذي لطالما أيد وبالإجماع صاحب الحق بالدفاع عن أرضه وشعبه لرد الظلم والعدوان، ولماذا لا يدان

باي قرار دولي جامع للأمم بحق هذا الكيان الصهيوني المحتل الغاصب المجرم ..!!؟ .

لقد دخلت عملية طوفان الأقصى التي أطلقتها كتائب القسام ضد الاحتلال الإسرائيلي وقد شاركت بها فصائل المقاومة كلها لتجسد وحدة الساحات في يومها الثاني والتي قتل وجرح فيها الكثير من الإسرائيليين وجرح وأسر المئات ولا يزال يواصل الاحتلال الإسرائيلي حتى هذه اللحظة شن غارات على غزة، ما أسفر عن سقوط الكم الكبير من الضحايا المدنيين شهداء وتدمير المنازل والمستشفيات والبنى التحتية .. .

لقد أعاد طوفان الاقصى إلى حرب 6 تشرين التحريرية، حرب العبور والاقتحام على جبهات سورية ومصر ومعهم بعض الأخوة العرب ممن شاركوا بوحدات رمزية..، بوركتم أيها المقاومون الفلسطينيون في كل الفصائل والمواقع، مبارك لكل شرفاء مقاومة حماس إلى المقاومين في الجهاد الإسلامي وفي فتح العاصفة وفي الجبهة الشعبية القيادة العامة والجبهة الديمقراطية والصاعقة وشرفاء فتح الانتفاضة وحتى شرفاء فتح العاصفة المتمردين على سياسات السلطة وكل من شاركوا بالطوفان اليوم..، فنحن ننتظر ما نتمناه وهو صدور بيان موحد للفصائل الفلسطينية، ما يعني أن دولة فلسطين غدت آمنة قابلة للحياة الكريمة بوحدة شعبها ووحدة فصائلها وبندقيتها.. .

لذا وفي مواجهة هذا الطوفان وآثاره التدميرية التي انعكست على جيش الكيان الصهيوني المحتل فقد ذهبت الغرفة الامنية الاسرائيلية لإتخاذ قرار توجيه نداء هنيبعل..» نداء هنيبعل لدى الاسرائيلي هو توجيه الامر بقصف العدو مع الاسرى لديه ..!!؟؟».

أما من حيث المبدأ وحجم الحدث علينا أن نتعرف على مجموعة مستوطنات غلاف غزة، ومواقع الاحتلال داخل أراضينا الفلسطينية المحتلة وهي مجموعة من المستوطنات مؤلفة من: مستوطنة كيسوفيم وسديروت وكريات ملاخي وكريات غات وأسدود وعسقلان وزيكيم ونحال عوز وديمونا وكفارة عزة وياد مردخاي وكفار ميمون وكرم أبو سالم حتى مستوطنة نتيف هعيتسرا .

علما أن المساحة المُسَيطر عليها من قبل المقاومة لا تتجاوز 0001 كلم مربع ومعها 7 مُستوطنات تحت سيطرة المقاومة وثكنة عسكرية و3 مراكز شرطة..!!، وهذه الأرقام مصدرها الجيش الإسرائيلي ونجمة داوود الحمراء (الصليب الأحمر) ما يعني إن الأرقام قابلة للزيادة بأي لحظة، يضاف لذلك ببداية معركة الطوفان مقتل كل من : الحاخام يفغيني جالسكي و الحاخام رشيف شالوم تسافان ، بالضربة الافتتاحية الاولى لكتائب القسام في غلاف غزة .. .

ما أكد مؤشرات معركة طوفان الأقصى ونتائجها الأولية التالية :

١- تثبيت نظرية أن إسرائيل أوهن من بيت العنكبوت.

٢- إنتقال المقاومة فعليا من الدفاع إلى الهجوم

٣- البدء بالخطوة العملية الأولى على طريق إزالة إسرائيل من الوجود.

٤- تحقيق نصر نوعي وتاريخي غير مسبوق في اللحظات الأولى من المعركة.

٥- أهمية أن يكون الفلسطينيون، وهم أصحاب الأرض وأبناء القضية، أول من رمى وخاض في المعركة الفعلية لتحرير فلسطين.

٦- تأكيد مصداقية محور المقاومة الذي كان يعد دائما بالنصر المبين، وتبكيت منطق الذين كانوا يشككون دوما بقدراتها ويسخرون من شعاراتها.

٧- تهفيت مسار التطبيع وضرب منطق السلام ومسارات التسوية بين بعض العرب والإسرائيليين.

٨- إعادة تعويم القضية الفلسطينية بوصفها القضية المركزية في المنطقة والإقليم .

٩- تأكيد شجاعة قيادات المقاومة الفلسطينية في إعتماد عنصر المباغتة وقدرتها على إتخاذ القرارات الصعبة والمصيرية ودقتها في تبني الخيارات، وعدم تخوفها من التداعيات والنتائج.

١٠- بلوغ ذروة النصر على مدى 57 عاما من الصراع مع إسرائيل (قتلى إسرائيليين تجاوزوا آلاف واسرى بالمئات في غضون ساعات و...) .

١١- جعل خيار إنضمام فصائل المقاومة خارج فلسطين إلى المعركة إحتمالا قائما، وتأكيد وحدة الساحات وجهوزية أطراف المحور كافة للخوض فعليا في معركة طوفان الأقصى في حال الضرورة.

١٢- إعادة إحياء القضية الفلسطينية كقضية مركزية في وجدان العرب والمسلمين من المحيط إلى الخليج.

١٣- ظهور التآكل المعنوي في إسرائيل على كافة المستويات، يقابله إرتقاء معنوي غير مسبوق لدى الشعب الفلسطيني وحلفائه الداعمين.

١٤- إنكشاف التخبط الإسرائيلي عسكريا على صعيد البر والجو والبحر، مقابل إدارة إحترافية للمعركة من قبل فصائل المقاومة، وبروز التطور النوعي لدى المقاومة الفلسطينية على مستوى التسلح والقدرات القتالية .

١٥- إنكشاف ضعف العنصر الإستخباراتي لدى إسرائيل، وقدرة المقاومة الفلسطينية إستخباراتيا على تحصين ذاتها من الإختراق والتسرب المعلوماتي .

١٦- إحتدام الخلافات بين الأحزاب والقيادات الإسرائيلية، على خلفية تقاذف الإتهامات والتنصل من المسؤولية .

١٧- تحييد التلاعب الإعلامي عبر توثيق إنجازات المقاومة الفلسطينية بالصوت والصورة وعبر البث المباشر، وإبطال مزاعم العدو وأكاذيبه وإدعاءاته .

١٨- لأول مرة منذ إحتلال فلسطين، سيتم تحرير الأسرى كلهم، وستكون السجون الإسرائيلية خالية من أي أسير فلسطيني.

١٩- التعامل مع تحرير المستوطنات الذي يحصل لأول مرة في تاريخ الصراع مع إسرائيل، كمؤشر على قدرة الفلسطينيين على تحرير كامل فلسطين .

٢٠- تظهير «إسرائيل» كدولة غير آمنة وليست صالحة للعيش، وبالتالي الدفع باتجاه هجرة معاكسة في أوساط المستوطنين .

١٢- دفع إسرائيل إلى التفكير مليا قبل الذهاب مجددا نحو بناء مستوطنات جديدة، في ظل إنعدام الأمن للمستوطنين، وفي ظل إمكانية تحول هذه المستوطنات إلى أهداف تحريرية عند المقاومين الفلسطينيين.

٢٢- وضع إسرائيل في مأزق مصيري حيث لن تستطيع الذهاب في المعركة حتى النهاية، كما لن تستطيع تقبل وتحمل الواقع الجديد الذي ستفرضه المعركة بنتائجها.

٣٢- إحراج الأميركيين حلفاء تل أبيب، حيث لن يستطيعوا قلب موازين القوى لمصلحة إسرائيل، كما لن يستطيعوا البقاء في حالة تفرج على ما تتعرض له من هزيمة وانكسار.

٤٢- انعكاس نتائج طوفان الأقصى إيجابياً على سائر أطراف المحور دولاً وفصائل مقاومة، في مختلف الأزمات التي يواجهونها والقضايا التي يخوضونها.

٥٢- تراجع مشاريع الأطراف التي تتحرك في بعض دول الإقليم في على هامش المشروع الأميركي- الإسرائيلي.

الأهم في ما تقدم أن الله تعالى صدق وعده بقوله: «وكان حقا علينا نصر المؤمنين».

فمع اولى الرشقات الصاروخية المفاجأة قلت هناك ما هو أعظم .. ، فقد كان الهجوم رسالة في كل نتائجه للجميع كيانا وعرب مطبعين مع الكيان بأن فلسطين هي حاضرة أولا ولن ترتاحوا وكل اعوانكم ومن يدعموكم.. .

«طوفان الأقصى» يقوّض مشروع

الشرق الأوسط الجديد ـ القديم

محمد صوان

كاتب سياسي فلسطيني/تركيا

رغم الوزن الدولي الكبير للولايات المتحدة الأمريكية، ودورها في التأثير على التفاعلات العالمية، هذا الدور المحاط بمراكز بحثية متابعة ومهتمة بالقضايا الدولية الساخنة والباردة، غير أنها غالباً ما تقع فريسة الدعاية الصهيونية المشبّعة بالأساطير حيناً والرغائبية أحياناً والزائفة حيناً آخر!..

فالتبشير الأمريكي بـ«الشرق الأوسط الجديد» كان ولايزال أحد أشكال خضوع العقل السياسي الأمريكي لتأثير البروبغندا الصهيونية، التي ثبت على الدوام أنها ليست سوى أوهام عملت النخب اليمينية المتطرفة في دولة الاحتلال على ترويجها لاعتقادها بأن صناعة مثل هذا التحوّل – إن تحقق – سيكون مجهوداً في سياق أمريكي يهدف إلى هندسة العالم ضمن أنساق يسهل التحكم بها وإدارتها وجعلها تعمل في إطار الاستراتيجية الأمريكية، وتحت هذا العنوان تستطيع دولة الاحتلال استجلاب كل أشكال الدعم في حربها على الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة وفرض هيمنتها في المنطقة!..

الحرب على غزة والضفة الفلسطينية خير مثال على قدرة اليمين الصهيوني المتطرف في التلاعب بالعقلية الأمنية والسياسية الأمريكية، وربما تكون هذه الحرب المشتعلة على غزة قد انطوت على متغيّر جديد تمثّل في مبادرة المقاومة الفلسطينية – عملية طوفان الأقصى – مهاجمة دولة الاحتلال وتكبيدها خسائر فادحة، وبالتالي فرصة ادّعاء تعرضها « لمخاطر وجودية «.. الأمر الذي دفع الغرب، وفي المقدمة الولايات المتحدة الأمريكية إلى تحييد العقلانية والحسابات الأمنية والاستراتيجية، ومنح الكيان الغاصب فرصة إعادة تشكيل المشهد في غزة والضفة، وفي المجمل كل فلسطين، ليس بهدف إعادته إلى ما قبل عملية طوفان الأقصى في 7 تشرين الأول 3202، بل صناعة مشهد مختلف كلياً عمّا كان عليه طوال العقود الماضية، بما يتضمنه من تدمير لغزة، وإزالتها من الوجود، وخنق الضفة الغربية وتهجير سكانها الأصليين، وهذا جوهر مشروع « الشرق الأوسط الجديد « الذي بشّر به ثلاثي اليمين الصهيوني الفاشي / نتنياهو – سموتريتش – بن غفير / طوال هذه المرحلة، واستعداد واشنطن دعم هكذا مشروع وتحويله إلى واقع، وحصرت فعاليتها في قبول دور لها تمثّل باستنفار قواتها في المنطقة، وتحريك أساطيلها وتجميع أصولها العسكرية، للضغط على دول المنطقة، حتى لا يجري التشويش على الكيان الصهيوني المنهك في إنجاز مشروعهم المشترك .. وقدّمت الإدارة الأمريكية كل ما يلزم من الدعم اللوجستي والعسكري والاستخباراتي والعملياتي لتنفيذ الهدف، عبر جسور جوية وبحرية وكل أنواع الأسلحة، حتى التي كانت غير مخصصة سوى للجيوش الأمريكية في أوقات الطوارئ، ومارست الضغط على الدول العربية والإسلامية، عبر جولات مبعوثيها التي لم يكن لها سوى هدف تسكين الموقف الرسمي العربي، وإظهارها كمن يبحث عن مخارج للحرب الدائرة، وبالتالي التأثير بالرأي العام العالمي الثائر، ومنع صدور قرارات عن مجلس الأمن تدين الكيان الغاصب، أو تطالبه بوقف إطلاق النار، ولم تكن دولة الاحتلال لتتأثر بذلك، لكن الإدارة الأمريكية أرادت توفير المناخ الملائم لها إلى أبعد الحدود !..

لا تزال واشنطن تدير الحرب بوصفها جناحاً استراتيجياً وعسكرياً للكيان الغاصب، متخلية عن مركزها العالمي ودورها في النظام الدولي، وهي تفعل ذلك كله على أمل تمكين دولة الاحتلال بالفعل صناعة « الشرق الأوسط الجديد « المشروع القديم الجديد وفرضه على المنطقة، وهذا يلامس رغبة أمريكية لم تتحقق، أو كانت ستكلف واشنطن أثماناً مقابلة لا تريد دفعها، وسبق أن خاضت واشنطن مفاوضات مكثفة ومرهقة مع دول المنطقة، بهدف ترتيب الأوضاع في الشرق الأوسط في موازاة صعود الصين وعودة روسيا إلى المنطقة، لكن المساعي الأمريكية قوبلت من غالبية دول المنطقة بمطالب موازية !..

•التباينات الصهيوأمريكية إلى أين ؟!..

يخشى الرئيس الأمريكي أن تتضرر بلاده أخلاقياً بسبب تأييدها المطلق لدولة الاحتلال في حربها المجنونة على الشعب الفلسطيني – وهو ما حصل بالفعل – فالغضب المتزايد في حواضر المجتمع الغربي والأمريكي، وتحديداً في صفوف النخبة من الشباب والمثقفين والصحفيين والفنانين والسينمائيين جعل المشهد أشبه بما حدث في عهد الرئيس كينيدي خلال الحرب على فيتنام، فالنطق بكلمة فلسطين تهمة قد تؤدي بصاحبها إلى

الطرد من العمل، والتجريد من الحقوق .. لقد عاد الخوف إلى أمريكا والغرب، وتصاعدت حدّة العداء ضد الولايات المتحدة التي وجدت نفسها وحيدة تقف ضد قرار أممي يقضي بوقف إطلاق النار، أو حتى هدنة إنسانية!..

لقد ذهب الرئيس بايدن إلى أبعد من ذلك، عندما كشف عن تباينات صارخة مع حكومة الائتلاف الصهيوني الفاشي، لا تتعلق فقط بتغيير مسارات الحرب في غياب النتائج المتفق عليها، ولكن في الرؤية الاستراتيجية أيضاً، حيث يرفض الثلاثي الفاشي « نتنياهو، سموتريتش، بن غفير « الحديث عن « حل الدولتين « أو عن دولة شكلية منزوعة السلاح، وهم يعتقدون أن هذا الحل قد تجاوزه الزمن، فالأرض الفلسطينية أصبحت « أرض إسرائيل الكبرى « من البحر إلى النهر، وردوا مجتمعين على بايدن بقولهم :» لن نوافق على دولة رعب فلسطينية، لا في الضفة ولا في غزة، لن نوافق على التنازل عن المسؤولية الأمنية، ولن نوافق على المساس بالاستيطان«!

أما عن كيفية التخلص من الشعب الفلسطيني فهي مسألة تناقش مع بقية الدول الغربية الحليفة، إلى جانب مصر والأردن ودول الخليج .. وحشر « 08% « من أهل غزة في جنوب القطاع مقدمة للدفع بهم نحو سيناء، خطوة نحو تنفيذ المخطط الجهنمي، ومن يرفض سيواجه بكل الوسائل الممكنة – حتى العسكرية منها – مثلما حصل مع قصف جميع المشافي، حتى التركية والأردنية الميدانية!.

لا يحتمل الكيان الصهيوني المحتل أزمة من هذا الحجم مع الولايات المتحدة، أهم حليف له، وساندته ولا تزال إلى آخر قطرة دم نزفت وتنزف من أطفال وشباب الشعب الفلسطيني .. لقد حاول الرئيس بايدن التمييز بين حكومة اليمين المتطرف واليهود عندما وصف نفسه بكونه « صهيونياً « وأكّد على أن « مصير اليهود مقلق « واعتبر أن مصلحة « إسرائيل « تقتضي إسقاط حكومة نتنياهو، وترى إدارته أن مواصلة الحرب بأجندة زمنية مفتوحة دون تحقيق تقدم ملموس في إضعاف حركة حماس خاصة والمقاومة عامة، إلى جانب مجاراة تحالف اليمين المتطرف الساعي نحو إلغاء الوجود الفلسطيني، هو بمثابة الانتحار السياسي، والدفع بالرئيس بايدن نحو الخروج من الباب الخلفي في الانتخابات الأمريكية المقبلة.

لقد كشفت دولة الاحتلال عن وجهها المتوحش فرئيس الشاباك رونين بار خاطب الأمين العام للأمم المتحدة غوتيريش، ومؤيديه قائلاً : « الذين يطمحون ليروا عالماً أكثر أماناً يجب أن يمتنعوا عن التدخل في شؤوننا أو إيقافنا « .. يريدون التغوّل في القتل والتدمير والكذب وخداع الجميع، دون توقف بحجة الاقتراب من الهدف، فرغم خسائرهم القادمة في ساحات القتال، إلا أنهم يحاولون إقناع أنفسهم بجعل هذه الحرب فرصتهم التاريخية لاستكمال السيطرة الكاملة على فلسطين التاريخية، ونجاح مشروع «الشرق الأوسط الجديد – القديم».

لقد سبق أن أفصح نتنياهو عن خطته لتحقيق ذلك، في فيديو مسرّب تحدث فيه خلال جلسة غير رسمية «للحكومة المصغّرة« عن ضرورة «توجيه ضربات عنيفة للفلسطينيين بطريقة موجعة لا تطاق، وأن يمتد هذا الهجوم على نطاق واسع ضد السلطة في رام الله، ما يجعلهم يخافون ويعتقدون بأن كل شيء على وشك الانهيار«! ويعتقد نتنياهو وحلفاؤه من اليمين المتطرف بأن الهلع الشديد سيدفع بالفلسطينيين إلى مغادرة بلدهم مثلما حصل عام 8491، لهذا السبب يتمتع الجيش بصلاحيات واسعة في هذه الحرب، وهو ما أقر به جنرال الاحتياط رئيس مقر قيادة الجنوب سابقاً، هزئيل كنافو، عندما قال :» إن الجيش يفجّر كل البيوت، لم يوسع الهدف في حرب سابقة كما يوسعه الآن، ولم يعطِ تصاريح بإطلاق النار العشوائي كما يعطي الآن«!.

هل سيتمكن المجتمع الدولي وفي المقدمة الولايات المتحدة من كبح جماح هذا التيار الدموي العنصري ؟! ستجيب الأيام المقبلة عن ذلك، وإن عجزت واشنطن عن ذلك، فقد يحققه الشعب الفلسطيني ومقاومته الباسلة بصمودها الأسطوري ومضاعفة الخسائر في صفوف العدو، والكلمة الأخيرة تبقى للميدان!..

•طوفان الأقصى مقدمة لمشروع وطني وقومي جديد:

إن انهيار المشروع الصهيوأمريكي الشرق أوسطي، يعني انهيار النظام الرسمي العربي المهرول نحو التطبيع، الأمر الذي يملي على الشعب الفلسطيني إدراك أنه اليوم وحده في مواجهة أعتى قوة وحشية في المنطقة، فإسرائيل العنصرية بجميع تلاوين طيفها الصهيوني، تعتقد أن هذا الانحطاط الرسمي العربي هو فرصتها لفرض الحل النهائي للقضية الفلسطينية، أي إبادة الشعب الفلسطيني وجودياً وسياسياً، وإخضاعه للتمييز العنصري وإفقاره، كي يرتضي بالعبودية .. فالحل النهائي يعني الضم الكامل للضفة، وإبقاء غزة في الحصار والجوع وأكبر سجن في الهواء الطلق!.

قدمت لنا غزة وعملية طوفان الأقصى مشروع أفق يجمع بين المقاومة المسلحة والمقاومة الشعبية الشاملة، وهو أفق يحتاج للتحول إلى برنامج عمل سياسي وكفاحي شامل، يتم تبنيه في الضفة وغزة وأراضي عام 84 المحتلة، تمهيداً لتحويله إلى إطار جامع لمخيمات اللجوء والشتات في المهجر .

المطلوب اليوم هو بناء جبهوي موحّد ينطلق من أرض النضال ويؤسس لمعركة طويلة النفس عنوانها : البقاء في الأرض والتجذر فيها والدفاع عنها ويحمل هذا البناء الجبهوي ثلاث مهمات راهنة:

•وقف العدوان والإبادة الجماعية على شعبنا في غزة والضفة والقدس، عبر ضغط المقاومة بكل الأشكال.

• دحر الاحتلال وانسحابه بلا قيدولا شرط من جميع الأراضي المحتلة، وتفكيك جميع المستوطنات.

• إسقاط نظام الأبارتهايد، وإقامة الدولة الديمقراطية الواحدة على كامل فلسطين التاريخية.

لا تعارض بين هذه المهمات الثلاث، بل هي متكاملة .. فإسقاط نظام الفصل العنصري – الأبارتهايد – هي مهمة كل الشعب الفلسطيني وينبغي أن تبقى في صدارة المشهد، أما إنهاء الاحتلال ودحره فهو حق تأسيسي حتى لو تم تبني مهمة بناء الدولة الديمقراطية الواحدة !.

كما أن الكفاح المسلح لا يعني إهمال النضال الجماهيري، بل يعني أن الأولوية هي للعمل المسلح الذي يمكن أن يملي دينامية نضالية جديدة، وسط هذه الصحراء السياسية العربية التي تطوّق فلسطين!.

عندما رثى السفاح نتنياهو قتلاه من الجنود في محيط «غلاف غزة» فهو يرثي «الحلم الصهيوني» الذي لم يرى سوى كابوس.. فهذا النرجسي المهووس الذي يستوي عنده الكذب مع الحقيقة، قد كشف بكل وضوح المأزق الأخلاقي الصهيوني أمام « سياج غزة « وفلسطين والعالم !. فداخل هذا السياج يصنع الصهاينة واحدة من أكثر مجازرهم وحشية .. هنا في غزة، جنين، طول كرم، نابلس، رام الله وفي بقية المدن الفلسطينية، يعلن قطعان المستوطنين أن مهمتهم الأساسية هي قتل الفلسطينيين وإطفاء النور في عيونهم!..

لكن الشعب الفلسطيني لم يتوقف منذ ما يزيد على قرن من الزمن عن طرق جدران الاستيطان والفصل العنصري المسلحة بالهمجية والكراهية .. وسيواصل هذا الطرق إلى أن تزال هذه الجدران وتفتح فلسطين ذراعيها لأبنائها العائدين إليها وقد جبلوا بماء الأرض وترابها، وصنعوا من تضحياتهم وطناً حراً يتسع لكل أبنائه دون قهر أو تمييز أو اضطهاد!..

طوفان الأقصى مفاعيل استراتيجية

■ ناجي صفا
كاتب سياسي عربي

يصعب على المتابع تعداد المفاعيل التفصيلية والاستراتيجية التي انتجتها معركة طوفان الاقصى.

لقد خلخلت هذه المعركة الأسس المادية والسياسية والعسكرية لهذا الكيان، وخلخلت البنى السياسية والاقتصادية، والأهم أنها خلخلت البنى العسكرية للكيان الصهيوني. وأصبح المعيار ما قبل وما بعد طوفان الأقصى، والسابع من شهر تشرين الاول أكتوبر.

صحيح أن العام ٢٠٢٣ كان عاماً ثقيلاً على الشعب الفلسطيني بسبب المذابح والدمار الذي لحق به، إلا أنه يمكننا القول إنه كان عاما مبشرا بالأمل نتيجة صمود الشعب الفلسطيني ومقاومته.

ثمة عنوان جديد ينبغي التركيز عليه واعتماده في مقارباتنا وقراءاتنا نحن الكتاب والمفكرين وهو أن العدو بات مهزوماً منذ السابع من أكتوبر، مهزوم مادياً على الأرض، ومهزوم معنوياً ونفسياً، وستحفر هذه الهزيمة ومعركة طوفان الأقصى عميقا في الوعي الجمعي الصهيوني، كما في عقل ووجدان المواطن، وأيضاً في عقل ووجدان النخب الثقافية والسياسية والعسكرية، وأن البقرة المقدسة هشمت وباتت آيلة للسقوط.

لقد بات قسماً كبيراً من الصهاينة مقتنعا بأن المشروع الصهيوني في فلسطين قد فشل، وأنه معرض للسقوط ، وبات مقتنعا ايضا بأن لا حل إلا بالمغادرة من أرض فلسطين، وثبت بحسب وجهة نظر هؤلاء أن الشعب الفلسطيني لن يتنازل عن أرضه ووطنه بالغا ما بلغت التضحيات ومهما غلا الثمن، وأن نظرية الكبار يموتون والصغار ينسون قد سقطت إلى غير رجعة ، وثبت أيضاً أن الصغار الذين راهنوا على ضعف ذاكرتهم لم ينسوا، وأنهم أكثر راديكالية من الكبار الذين اكتووا بنار النكبة.

ثمة تحولات كبرى داخل فلسطين والمنطقة والعالم أيضا أرستها معركة طوفان الأقصى، وسيكون لها تداعيات وارتدادات على مستقبل القضية الفلسطينية، بعد أن أحدثت صدمة عميقة جدا ستغير وجه التاريخ، كما ستغير وجه المنطقة، فلن يكون التأثير على مستوى الكيان فحسب، وإنما على مستوى العالم أجمع الذي يشكل وعيا وإدراكا جديدين لقضية الشعب الفلسطيني، وسيحدث ذلك تحولا استراتيجيا لم يكن متوقعا على مستوى الرأي العام العالمي، فالسردية الإسرائيلية التي كرست على مدى ٧٥ عاما سقطت ، وباتت أصوات الشعوب التي ملأت الشوارع تتحدث عن فلسطين من البحر إلى النهر. وهذا بحد ذاته انجازا كبيرا، في حين ما زال بعض الفلسطينيين للأسف ينادون بشعار الدولتين، وهو شعار مفرغ من مضمونه وتشي الأحداث باستحالة تحقيقه.

ليس الوقت المناسب للدخول ومناقشة فكرة الدولتين التي عفت عليها تطورات السابع من اوكتوبر، الفكرة الأهم في هذه العجالة هي فكرة تحرير فلسطين من النهر إلى البحر، هي الموضوع الاستراتيجي الذي ينبغي بحثه والتركيز عليه، وفكرة الدولتين التي يحاول الأميركي تسويقها هي لحماية الكيان أولا، و للخروج من المأزق الذي تبدى فيه استحالة شطب القضية الفلسطينية، لن نتنازل عن أرضنا للعدو، ولن نقبل بقسم من فلسطين ونعطي العدو ٧٨% من وطننا، المضحك المبكي في مشروع الدولتين هو أنه يبدو وكأنهم يتبرعون لنا بقسم من أرضنا، ويحتفظون بالقسم الأكبر منها لصالح دولتهم اللقيطة التي صنعها الغرب لتكون أداة في مشروع تفرقنا وعدم وحدتنا وتكريس تخلفنا والاستيلاء على ثرواتنا وعلى موقعنا الاستراتيجي.

إن معركة طوفان الأقصى ستشكل بلا شك حالة تأسيسية لمرحلة التحرير التي انتظرناها خمس وسبعين عاما، وستكون الحاكمة لحركة الصراع الفلسطيني - الإسرائيلي في المستقبل، الخطورة في تقدير هذه المعركة على أنها مجرد معركة بين الحروب، والخطورة أيضا في إغفال الأهداف الاستراتيجية لهذه المعركة، وفي عدم تظهير تلك الأهداف الاستراتيجية باعتبارها صراعا استراتيجيا لتحرير وطن، وأنه جهد من حركة التحرر الوطني الفلسطيني باتجاه الهدف الاستراتيجي، لذلك كنت أؤكد دائما في جميع مقارباتي بضرورة توضيح تلك الأهداف الاستراتيجية، واعتبارها معركة على طريق تحرير فلسطين، وليس مجرد معركة بين الحروب.

من المهم جدا أن لا يغيب عن بالنا الاهداف الاستراتيجية لنضالنا، وهي تحرير فلسطين لا إنتاج تسويات مؤقتة، فالقتال في هذه اللحظات اعطى مضمونا تحرريا للوطن، وقد لا تكون الظروف في ما يلي على ضوء مايسرب من تسويات، فربما تتغير المعادلات لغير صالحنا.

أمام المقاومة الفرصة التاريخية التي لم تتوفر في ظروف سابقة عبر تاريخها خمسا وسبعون عاما ونحن ننتظر توفر الظروف التي أرساها محور المقاومة، الأهمية في هذا المحور أنه يمتد من ايران إلى لبنان، وأن عملية الإسناد الرائعة التي يحققها المحور انطلاقا من لبنان والعراق وسوريا واليمن عملية لا ينبغي التفريط بها في سوق المساومات الدولية، وينبغي البناء عليه كحالة تأسيسية لما سيلي مستقبلاً.

اليوم ليس كالأمس، فربما لا نستطيع القضاء على العدو بالضربة القاضية، نظرا لاعتبارات موضوعية من بينها الدعم والاحتضان الدولي للكيان، لكن لا بد من الاستفادة من الواقع الجديد الناشئ وظهور محور المقاومة كعامل داعم ومساعد، أنها عملية تراكم انجازات وانتصارات ستشكل بلا ادنى شك حالة تأسيسية لتحول استراتيجي سنشهده ويؤدي الى تحرير فلسطين، فالتراكم الكمي يؤدي إلى تحول نوعي، وتحقيق انتصارات ولو بالنقاط شرط لإنجاز الانتصار الكامل، ينبغي التركيز على الهدف الاستراتيجي. ندق المسمار في الحائط ونربطه بخيط ونبقى ممسكين بهذا الخيط المربوط بالهدف، هكذا يقول علم النفس السياسي.

فنحن في حالة صراع مع فكرة العدو الصهيوني قبل أن تكون مع وجوده، ومهمتنا اسقاط نظرية هرتزل «فلسطين أرض بلا شعب، لشعب بلا أرض»، لذلك ينبغي التمسك بالأرض مهما غلت التضحيات، هذا ما شهدته وتشهده غزة الآن، وإلى حد ما الضفة الغربية أيضا، رغم أن العدو قد نجح في تهجير ٤٥٠ عائلة فلسطينية في الضفة الغربية تهجيرا موضعيا داخل الضفة، لكن ذلك ربما يشكل حالة تأسيسية لمرحلة تهجير أخرى قادمة باتجاه الأردن.

معركة طوفان الأقصى شكلت النموذج الفذ والأول من نوعه في حركة الصراع مع العدو، بمدى اتساعها لتبلغ البحر الاحمر من جهة، ومدى مفاعليها التي خلخلت الكيان، وأثبتت انه كيان يمكن إسقاطه.

على الشعب الفلسطيني ألا يتوقف، حتى لو انتجت تسوية محددة تعطي العدو فرصة التقاط الأنفاس، ينبغي أن نستمر في مراكمة عناصر معركتنا، سياسيا وثقافيا وعسكريا، بحيث نؤسس لنضوج ظروف التحرير الكامل، وهو الهدف الاستراتيجي الذي ينبغي ان لا يفارق تفكيرنا للحظة واحدة.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
Popular Front for the Liberation of Palestine

أكتوبر المجـ

«طوفان الأقصى» يؤكّد ثوابت التاريخ:

فلسطين للفلسطينيين...

■ د. إبراهيم خلايلي

مختص بتاريخ الشرق القديم وآثاره/ سورية

مقدمة

أثبتت ملحمة «طوفان الأقصى» -وما سبقها من ملاحم الشعب الفلسطيني- أن هذا الشعب الذي يُبدي هذا النوع من المقاومة والصمود في أرضه، إنما هو شعب له جذور عميقة في تلك الأرض، ومستمر في العيش فيها منذ أقدم العصور، ولعلها معادلة النصر الآتي التي يفتقر إليها المحتل الصهيوني، والذي لا تعريف له أو وجود عبر التاريخ الفلسطيني الكنعاني إلا كخرافة حاك سطورها كُتّاب التوراة، وذلك بناءً على مزاعم الانحدار من نسل أبي الأنبياء إبراهيم، ومع ذلك فالتوراة تحذّر إبراهيم على لسان رب اليهود «يهوه» قائلةً: «اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرضٍ ليست لهم»[1] أما «بنو إسرائيل» -حسب التوراة- فلم يولد أحدٌ منهم في فلسطين[2].

فلسطين الكنعانية جزء من دول المشرق العربي القديم

وفلسطين -حيث المعارك المستعرة الآن ضد الكيان الصهيوني الغاصب، وخاصةً في مدينة «غزّة»- هي جزء من دول المشرق العربي القديم عموماً، تتكوّن من سلسلة من المدن الكنعانية، والتي تعدّ من أقدم مدن العالم، ورد ذكرها في معظم سجلّات وحوليات ملوك الشرق القديم منذ قرابة خمسة آلاف عام، وذلك بقوائم الملوك الكنعانيين الذين تعاقبوا على حكمها قروناً قبل الغزو اليوناني، ثم الروماني-البيزنطي[3]، وبعده الفتح العربي الاسلامي، وصولاً إلى العصر الحديث، عصر الاحتلال البغيض والمقاومة البطولية.

إذاً، ففلسطين جزء من حضارة المشرق العربي القديم، كان لها فيه حضور بارز، بل كانت منبعاً للتقاليد والأصول الحضارية، حسب المعطيات التاريخية والأثرية والكتابية، وقد أُشيرَ إليها في كتاب التوراة كجزء رئيسي من «أرض كنعان» (بلاد الشام القديمة).

وحيث لا تنحصر الاثباتات على فلسطين وأرض كنعان في كتاب «التوراة» فحسب، إلا أننا نحتاج إلى الكثير من أدلّته لمواجهة من يجتزئ منه النصوص والمعلومات ويحرّفها، لغايات ايديولوجية وسياسية.

اعتراف كتاب التوراة بكنعانية فلسطين

لقد أقرّ سِفر «صفنيا» من كتاب التوراة بكنعانية «الفلسطينيين» وأن أرض كنعان هي أرض الفلسطينيين: (كنعن أرص فلشتيم כנען ארץ פלשתים)[4]، وهذا الاقرار يصعب العثور على ذكرٍ له أو تعليق عليه من قبل الصهاينة، فهم يجتزئون من سطور التوراة ما يظنون أنه يدعم ادعاءاتهم بملكية أرض فلسطين، دونما اعترافٍ بانعدام الأدلة الأثرية على الأرض، أو إقرارٍ بالتناقضات في النص التوراتي، والشروحات والتفاصيل وما ورد بين السطور، فضلاً عن المعلومات المباشرة الصريحة، والتي تؤكد خرافة ما سمي بـ مملكتيْ «إسرائيل» و«يهودا»، وعدم صحة كل ما رُبط بهما من ادعاءات تخص الجوانب التاريخية والدينية والحضارية، بدءاً من مزاعم الحقبة المفترضة لما سُمي بـ «الآباء» -أي إبراهيم وإسحق ويعقوب- وانتهاءً بسدنة خيمة «يهوه» في أحدث ذكر لها في أسفار التوراة المتأخرة...

فلسطين للفلسطينيين

الفلسطينيون الحاليون والتاريخيون، هم أصحاب الأرض الفلسطينية، لأن الشعب الفلسطيني -المعرّف في الدراسات الغربية كأحد «شعوب البحر» باسم الشعب «الفلستي»- هو شعب كنعاني، اضطرّ بعضه للانتقال إلى جزر المتوسط الشرقي -كاليونان- في وقت ما، ثم العودة في أواخر الألف الثاني ق.م، إلى أرضه في مدن الداخل الكنعانية، وسواحله الأصلية في مدن يافا وعكا وغزة وعسقلان وأسدود وجت وعقرون، حاملاً ثقافة جديدة من جزر المتوسط، أما اسم «فلسطين» فهو مشتق من «الفلستيين» نظراً لشهرتهم، وقد أُطلق على إحدى بقاع أرض كنعان -أي كل فلسطين- من قبل الرومان سنة 70 ميلادية.

ومنذ ذلك التاريخ استمرت فلسطين تحمل اسمها هذا، وظهرت في خرائط العالم عام 1947 باسم فلسطين، قبل أن يظهر اسم «إسرائيل» كعصابة احتلال عام 1948.

استهداف تاريخ فلسطين وملحمة طوفان الأقصى

لم يتوقف استهداف تاريخ فلسطين منذ نشوء الحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وحتى تاريخه، وقد ازداد ذلك حدةً في السنوات الأخيرة، حيث تعرض هذا التاريخ إلى التشويه الممنهج من قبل المؤسسات التوراتية والصهيونية، ومن قبل تيارات ثقافية مغرضة ومأجورة، منها ما هو عربي، وذلك من خلال تصوير التاريخ الفلسطيني على شكل مجموعة من الروايات القصصية، ولا أدل على ذلك من طرح مصطلح «السردية» على هذا التاريخ، ذلك المصطلح الأدبي الحديث والذي يجعل من تاريخ فلسطين الحقيقي مجرّد ضرب من ضروب الأدب، مع ما يرافق ذلك من خيال وطروحات غير منطقية تنسف الواقع التاريخي والأثري واللغوي، مثل إقرار بعض العرب -في عمل درامي- لخرافة «الوعد الإلهي» ومنح اليهود حقاً من الدرجة الأولى بفلسطين، بالإضافة إلى محاولات شطب الهوية «الكنعانية» لفلسطين، وهنا لابد من التصدي للإساءة إلى «الكنعانية»[5]، وإبراز الجهود الحقيقية لكتابة تاريخ فلسطين على أيدي المختصين، أنّى تواجدوا، والسير بتلك الجهود قُدُماً ودعمها وتعميم الموضوع على الجهات والمؤسسات الفلسطينية والعربية المعنية، الرسمية منها وغير الرسمية، وبشكلٍ صارم، وذلك حمايةً لتاريخ فلسطين وتكريسٍ وضع أسس علمية صحيحة وناجعة لكتابته، لا سيما وأن العالم اليوم -والغربي خاصةً بعد معركة «سيف القدس»، وخلال ملحمة طوفان الأقصى- يشهد انقلاباً على موضوع المبررات الخرقاء للاحتلال الصهيوني لفلسطين، والمتمثلة في الادعاءات الزائفة بملكية الأرض والتاريخ، استناداً إلى تفسير خاطئ مقصود للروايات التوراتية، مع تغييب الوثائق الأثرية واللغوية الحقيقية في المنطقة، وتكثيف الأضواء بشدة على خرافة ما سمي بـ «الوعد الإلهي»[6]، وبدعة ما يسمى بـ «الديانة الابراهيمية» التي تدحضها مجموعة من الحقائق[7].

أما طرح هذه البِدَع، ولا سيما من قبل السفير الأميركي في فلسطين المحتلة «ديفيد فريدمان»، عام 2020، فجاء بعد قرار إدارة «ترامب» السابقة عام 2017 باعتبار القدس المحتلة عاصمة أبدية للكيان الصهيوني، وبعد المصادقة على فرض السيادة الاسرائيلية على الجولان المحتل عام 2019، وبعد سلسلة من إجراءات التهويد طالت مدينة القدس المحتلة، ضمن إطار ما سمي بـ «صفقة القرن»... وكل هذه الاجراءات والطروحات المعززة بخطوات عملية على الأرض -المحتلة أصلاً، بالنظر إلى أن الاحتلال هو أخطر إجراء- جاءت بعد سلسلة من المشاريع التهويدية، تحت عنوان توثيق مراحل التاريخ، والتي أسهمت فيها جهات دولية... ولكن هذا التوثيق الصهيوني انطوى على إزاحة مراحل حقيقية من تاريخنا وزجّ مراحل وهمية من تاريخ إسرائيلي مزعوم لا أدلة له على الأرض، فظهرت المشاريع الصهيونية كخلفية تاريخية مزيفة لطرح «فريدمان» -وبعض العرب- لبِدَع الديانة الابراهيمية» و«الوعد الإلهي»...

خاتمة

لا شيء تقدّمه مواقع المشرق العربي القديم بخصوص البِدَع والطروحات الصهيونية السابقة سوى نقضها، وخاصة المواقع الفلسطينية التي عبثت السلطات الصهيونية بمعطياتها وأجرت تغييرات على هويتها الأصلية، لتحويلها إلى أماكن مقدسة يهودية، فيما تواصل -الآن- آلة الدمار والابادة الصهيونية تدمير المعالم التاريخية والأثرية لمدينة غزة تزامناً مع حرب الإبادة لسكانها، وفي إطار استكمال مخطط اقتلاع الفلسطينيين من أرضهم وتهجيرهم وتشريدهم في دول العالم تحت عنوان «شعب بلا هوية»، الأمر الذي يواجهه «طوفان الأقصى» بضراوة، وكخطوة لم يسبق لها مثيل منذ احتلال فلسطين عام 1948.

هوامش:

1 تكوين 15: 13

2 سفر التكوين

3- Luckenbill. Daniel, David: Ancient Records of Assyria and Babylonia, 2 Vols. Chicago, 1926 – 1927. 2:690

Markoe.Glenn, Phoenicians,– London, 2000, pp.170–171

Fantar ,Mhamed: Le Dieu -- Dagan, extrait des cahiers de Tunisie, Tome xxl -1973, N81-82,pp.7-31,p.15

4 صفنيا2: 5

5 أنظر موقع «فينيق»– لقاء صحافي بعنوان «الكنعانية ليست هوية زائفة»...

6 انظر مقالتنا «فلسطين وخرافة «الوعد الإلهي» في ضوء شواهد التوراة والإنجيل»، «زهرة المدائن»، 116– 117، 2019

7 انظر مقالتنا المنشورة في مجلة «زهرة المدائن»، 2021، بعنوان «ردود على بدعة «الديانة الابراهيمية» في ضوء الوثائق التاريخية والأثرية» (جزءان)...

مرتكزات الصمود
في مواجهة بروتوكول الإبادة الصهيونية

د. وائل الزريعي
مركز دراسات أرض فلسطين للتنمية و الانتماء/تونس

ولدت الحركة الصهيونية من رحم الإمبريالية الغربية ورضعت من الأيديولوجية الداروينية للاستعمار الأوروبي، التي ترتكز على أرضيه البقاء للأقوى والأصلح من المنظور الغربي و النظر للشعوب الأصلية كشعوب همجيه أدنى من الإنسان الأبيض، وهي شعوب وصفها أحد منظري الاستعمار (جون فيري) بكونها جماعات المتوحشين والبرابرة، التي لا يمكن تطبيق ما جاء في إعلان حقوق الإنسان عليها، وهو نفس الخطاب الذي تستخدمه آلة الحرب الصهيونية خلال العدوان الحالي على قطاع غزة، واصفة الشعب الفلسطيني بالحيوانات البشرية التي يجب القضاء عليها كما جاء على لسان العديد من الساسة الصهاينة. لقد ولدت الصهيونية في سياق المد الاستعماري وارتكزت على النظريات الاستعمارية مستعينة بالتلمود والتوراة كأحد المرتكزات الأساسية في رسم صورة الشعب المختار من الرب فهو المختار داروينيا وتوراتيا، شكلت هذه المرتكزات أيدولوجية الإبادة الصهيونية التي نتج عنها الكيان الصهيوني الذي اصطدم في تمدده بوجود الشعب الفلسطيني الثابت على أرضه، فكان لابد من تفعيل بروتوكول الإبادة الذي حفظه الصهاينة عن ظهر قلب من مخابر الاستعمار الأوروبي. طبقت الحركة الصهيونية بروتوكول الإبادة على الشعب الفلسطيني بداية من الترويع ثم الاقتلاع للتخلص من صاحب الأرض الذي مثل وجوده تحدي لإقامة دولة الاحتلال، فتطبيقا لسياسة الاقتلاع ارتكبت عصاباته ما يفوق 75 مجزرة في الفترة ما بين عام 1937 وعام 1948، مجازر ضحيتها اكثر من 5000 شهيد فلسطيني ووفق الشهادات الأخيرة لبعض مجرمي الحرب الصهاينة هناك العديد من المقابر الجماعية، التي لم يتم الكشف عنها. هذه الجرائم تمت وسط تواطئ وصمت غربي بهدف إخلاء أكبر مساحة ممكنة لقيام دولة الاحتلال حيث أدت المجازر إلى تهجير 80% من الفلسطينيين وترحيل 750 ألف فلسطيني خارج وطنهم.

عند النظر للمجازر المرتكبة سنجد أنها كانت إبادة ممنهجة لتغيير الواقع على الأرض، بهدف رسم حدود دولة الاحتلال والتخلص من أكبر عدد من السكان الأصليين، كما فعل معلمهم الامبريالي في إفريقيا وأمريكا، لذلك كل الوسائل مسموحه بمباركة (ياهو رب الجنود) وقال موسى يا رب لماذا خلقت شعبا سوى شعبك المختار فقال لتركبه ظهورهم وتمتصوا دمائهم وتحرقوا اخضرهم وتلوثوا طاهرهم وتهدموا عامرهم سفر الميكابيين الثاني.

الديموغرافية الفلسطينية صداع الكيان الصهيوني

مثلت الديموغرافية الفلسطينية مشكل أساسي للمشروع الصهيوني، لذلك كان استقدام المهاجرين محاولة لإمداد دولة الاحتلال بالمزيد من السكان لخلق أغلبية يهودية، أما بالنسبة للوجود الفلسطيني فقد عمل المشروع الصهيوني على التخلص من التجمعات السكانية الفلسطينية كلما سنحت له الفرصة، فكانت محاولات تهويد الجليل والنقب وسن القوانين المختلفة لمنع عودة الفلسطينيين إلى قراهم المهجرة ورغم أوهام السلام التي بناها اتفاق أوسلو، فالمفارقة هي أن توسع الاستيطان بلغ ذروته في ظل هذا الاتفاق فتشير الاحصائيات للمكتب الوطني للدفاع عن الارض ومقاومه الاستيطان إلى أن عدد المستوطنات في الأراضي الفلسطينية مع نهاية عام 2023 قد بلغ 158 مستوطنة يسكنها نحو 700 إلى 750 الف مستوطن إلى جانب 15 إلى 20 ألف مستوطن في أكثر من 200 بؤرة استيطانية دون اعتبار لما تم توقيعه من اتفاقيات. حيث أصبحت المستوطنات تسيطر على 40% من أراضي الضفة الغربية، متحكمة بشبكات الطرقات ومسيطرة على الموارد الطبيعية الأساسية، من مياه وأراضي

لتحول التجمعات السكانية الفلسطينية في الضفة والقدس والأغوار إلى جيتوهات يحاصرها جنود الاحتلال والمستوطنين.

معركة سيف القدس منعرجا استراتيجيا في المواجهة

لقد أتت معركة سيف القدس لتمثل منعرجا استراتيجيا في مواجهة بروتوكول الإبادة، حيث أصبح الاحتلال المعتاد على الضربات الاستباقية وخوض المعارك في أرض الغير تحت رحمه سلاح المقاومة ليشكل ذلك صدمه وجودية دافعا العديد من مراكز الابحاث داخل الكيان للتفكير في خطورة ما حدث ووضع السيناريوهات مستقبلية لمواجهة تطور قدرات المقاومة. دفعت معركة سيف القدس بعض المنظرين الأساسيين للكيان للحديث عن سيناريو الزوال ولعنة العقد الثامن، لكن أيضا التفكير في استعادة الردع وسيناريوهات خوض الحرب على عدة جبهات. فرغم الأزمة السياسية الداخلية التي يمر بها الكيان إلا أن طبول الحرب كانت تدق، فوسط استغوال جنود الاحتلال وقطعان المستوطنين في الضفة والقدس والأغوار كانت عين الاحتلال على غزة لما راكمته المقاومة من قدرات أصبحت تمثل تهديدا استراتيجيا خصوصا بعد معركة سيف القدس.

جاء الطوفان

جاء الطوفان في السابع من اكتوبر ليجرف أحلام ومخططات دمج الكيان في المنطقة والتي كان يجري ترسيمها، من خلال اتفاقيات التطبيع التي وقعت والتي كانت في طور التوقيع. الآن بعد عدة أشهر من ملحمة طوفان الأقصى سنجد أن الاحتلال يطبق بروتوكول الإبادة بحذافيره، فيتم قصف قطاع غزة بشكل عشوائي لترويع السكان ورفع الكلفة البشرية، والتي قد تتجاوز 30 ألف شهيدا بإضافة من تعذر استخراج جثتهم من تحت الأنقاض من الشهداء. بلغت المجازر على الأرض ما يفوق 1900، حيث اسقطت طائرات الاحتلال على قطاع غزة أكثر من 45 ألف صاروخ و قنبلة عملاقة وتعمد الاحتلال تدمير مربعات سكنية بالكامل باستخدام صواريخ وقنابل غير موجهة، مما يؤكد تعمد قتل وتشريد سكان قطاع غزة، هذا السعار ربما ينظر له كفعل انتقامي لكنه في الحقيقة هو تطبيق لما يعرف جغرافيا بالإخلاء العدائي، والذي يقوم على طرد السكان من المدن عبر تخريب البنية التحتية المركزية عن طريق القصف الجوي، لخلق جميع الظروف التي تتسبب في التهجير مع محاولة حشر الكتلة السكانية الباقية في جيتوهات. خلال الأعوام السابقة شكل حصار قطاع غزة أحد الآليات التي اتبعها الاحتلال في عزل السكان الأصليين، إلا أن ملحمة طوفان الأقصى دفعت الاحتلال لإعادة حساباته وإحياء مخططاته القديمة لتفريغ القطاع من سكانه، عبر تقطيع أوصال القطاع والعمل على محاصرة السكان وتدمير جميع مقومات الحياة، فتشير العديد من التقارير للهيئات الدولية لاستخدام الاحتلال الأسلحة المحرمة دوليا كالفسفور الأبيض، كما أن بعض الإصابات والأعراض التي أصيب بها جنود الاحتلال تفضح استخدام الجيش الصهيوني لذخائر اليورانيوم المنضب وربما استخدام الأسلحة البيولوجية التي تم تسليمها لجنود الاحتلال لاستخدامها ضد المدنيين في قطاع غزه دون تزويدهم بالتعليمات حول الآثار المباشرة للأسلحة المستخدمة. هذه الأسلحة ستترك آثارها على الموارد البيئية لقطاع غزة وعلى صحة الإنسان على المدى البعيد.

أما عن الدمار الذي لحق بالقطاع فتشير تقارير الهيئات الدولية لتدمير ما يفوق 70% من البنيه التحتية، كذلك موارد المياه العذبة وشبكات الصرف الصحي مما ساهم في انتشار العديد من الأمراض خصوصا لدى الأطفال، أيضا هناك أمراض الجلد والجهاز التنفسي نتيجة استخدام الاحتلال للفسفور الأبيض، ناهيك عن استهداف الاحتلال للمرافق الصحية والمدارس التي أصبحت مأوى للنازحين والذين تجاوز عددهم 1,9 مليون نازح، كما يتسبب القصف العشوائي في استشهاد 100 شخص يوميا معظمهم من النساء والأطفال. يضاف إلى ذلك جرائم خطف الأطفال ونقلهم إلى داخل الكيان.

ملحمة الصمود في مواجهة الإبادة

إن جرائم الاحتلال المستمرة ضد قطاع غزة هي جرائم إباده جماعية ممنهجة وفقا للقرار 96(د..1) المؤرخ في 11 كانون أول/ ديسمبر والصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1946 والذي يعرف الإبادة بكونها قتل على أساس العرق في السلم والحرب ، بالنظر للعدوان الصهيوني على قطاع غزة سنجد أن الاحتلال لم يترك بندا من تعريف الأمم المتحدة للإبادة لم يطبقه على قطاع غزة، إذا أردنا تلخيص بروتوكول الإبادة الصهيونية سنجد أنه يرتكز على عده آليات وهي:

- الترويع من خلال القصف والقتل العشوائي.
- الاقتلاع عبر تفكيك الارتباط بالمكان والتهجير .
- عزل ومحاصرة السكان الأصليين في جيتوهات .
- فرض ظروف حياة غير إنسانية وخلق بيئة طاردة للحياة.
- العمل على طمس الذاكرة والإبادة الثقافية.

أعادت ملحمة طوفان الأقصى القضية الفلسطينية إلى الواجهة السياسية العالمية; كما أن صمود الشعب الفلسطيني وبشاعة الجرائم التي ارتكبها الاحتلال قد شكلت صدمه للرأي العام العالمي، حيث لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دورا كبيرا في نقل الصورة الحقيقية لما يجري على الأرض، رغم تقييد المحتوى الفلسطيني، مما اكسب القضية الفلسطينية العديد من المناصرين والمتعاطفين من أحرار العالم. فيشير معهد دراسات الأمن القومي الصهيوني لخروج أكثر من 7000 تظاهرة مناهضه للكيان الصهيوني عالميا مقابل 600 تظاهرة مؤيدة له منذ بداية العدوان. الآن في ظل استمرار جرائم الاحتلال هناك عمل ملح وهو ضرورة الاستفادة من موجات التضامن الدولي مع قطاع غزة والضغط على الأنظمة المتواطئة والداعمة للكيان الصهيوني لوقف العدوان والسماح بدخول المساعدات العاجلة إلى القطاع، لكي يتم ذلك بشكل فعال يجب العمل على ربط هذه الحركات التضامنية لمحاصرة جيوب الاحتلال عبر العالم من السفارات إلى الشركات الداعمة للاحتلال وكذلك المؤسسات الإعلامية التي تروج للرواية الصهيونية أيضا يجب العمل فلسطينيا على إنشاء مرصد لتوثيق جرائم الإبادة المرتكبة في قطاع غزة وتسجيل شهادات الأفراد الذين كانوا عرضة لهذه الجرائم تمهيدا لمتابعة الاحتلال على جرائمه والتي أصبحت مطروحة أمام محكمة العدل الدولية. على المدى البعيد هناك ضرورة لإعادة التفكير في مقومات الصمود على الأرض فالأكيد أن الشعب الفلسطيني قد سجل ملحمة بالتفافه حول المقاومة، لكن هناك ضرورة لتعزيز الصمود عبر توفير مقوماته لتقليل الكلفة البشرية في أي حروب مستقبلية مع الاحتلال، ففي مواجهات الترويع يجب العمل على توفير وسائل الحماية والإغاثة وتدريب أكبر نسبة من السكان على الدفاع المدني والتعامل مع الإصابات وفي مواجهة الاقتلاع والتهجير يجب تعزيز التجذر من خلال الصمود الاقتصادي والاجتماعي ومحاربة الفقر بالعمل على توفير مشاريع تنموية صغيرة لفائدة سكان قطاع غزة.

في الأخير الأكيد أن الشعب الفلسطيني يتعرض لبرتوكول إبادة منذ 75 عام مما يتطلب استراتيجية وطنية موحدة بعيدة المدى لمواجهة الإجرام الصهيوني; فحتى يزول الاحتلال وتعود الأرض لصاحبها نحن في حاجة لبروتوكول للصمود والتحرير في مواجهة بروتوكول الإبادة.

«طوفان الأقصى»: خطتنا ما بعد إعلان هزيمة الكيان

د. خالد حدادة
الأمين العام السابق للحزب الشيوعي اللبناني

قبل 7 أكتوبر، كان التاريخ يمدنا بالشواهد. كان البحث الفكري وربما الإيمان بالقضية يدفعنا للتقدير بأن قضية فلسطين لن تموت، والمقاومة الفلسطينية ليست ردات فعلٍ مؤقتة. هي حركة شعب، ما إن يرى وهناً في مقاومته حتى يبث فيها روحاً جديدة تملؤها فكرة أن فلسطين ستعود، محررة من البحر إلى النهر وعاصمتها القدس.

قبل 7 تشرين، كان القول إن «إسرائيل» فقدت مبرر وجودها مجرد «احتمال نظري» يطلقها أمثالنا من حملة الأمل، أو كما يصفنا البعض «أصحاب اللغة الخشبية البائدة». هؤلاء الذين اعتقدوا أن العالم تغيّر، وأن العالم العربي يسبقه بهذا التغيير (بمعناه السلبي)، وأن زمن الصراع الوجودي مع الكيان الصهيوني قد ولّى، وأن مرحلة الانتقال من «العالم العربي» إلى «الشرق الأوسط الجديد» قد حانت، وأن «اتفاقات أبراهام» ستجلب المنّ والسلوى، عبر مسار التطبيع وعبر الرهان على زواج أموال النفط و«العقل اليهودي.»

قبل 7 تشرين، كان يسود الاعتقاد بأن العالم كلّه متجه إلى مساوماتٍ لن يكون فيها مكانٌ لشعبٍ إسمه الشعب الفلسطيني بآماله وطموحاته. وبأن الاتفاقيات السابقة من كامب دايفيد إلى أوسلو ووادي عربة، وأيضاً الـ 1771، هي اتفاقات نهائية وكل من يمس بها لا مستقبل له ولا وجود.

كان حديثنا حينها، مدعاة لإهمال البعض المراهن، إن لم يكن لسخريته.

***

وجاء اليوم المجيد في 7 أكتوبر...

أصبحت الكتابة بعده مليئة بخليطٍ غريب على البعض، رغم أن تاريخنا يمتلئ به. مزيجٌ من الألم والأمل، من التصميم والمقاومة. هذا المزيج أعاد تظهير الأفكار والأحلام السابقة وجعلها واقعاً مجبولاً بالدم.

قبل الحديث عن المتغيرات ما قبل 7 أكتوبر، لابُدّ من تسجيل بعض الوقائع-الملاحظات...

الملاحظة الأولى إن فقدان الكيان لوظيفته، ليس فعل يومٍ أو حدث، بل هو تراكمٌ تاريخي يمتدّ من المواجهات الأولى للشعب الفلسطيني، ضد عصابات الصهاينة والاستعمار الحاضن لها.

واستمرت، وإن بأشكالٍ مختلفة، من انطلاقة المقاومة بكل فصائلها، إلى الانتفاضات الفلسطينية في الضفة، ومواجهات القطاع بمراحله المختلفة.

إنه تراكم له نتيجة واحدة، هذا الكيان ليس أبدياً، حتى بلسان بعض مؤرخيهم. هو كيانٌ مصطنع، أوجدته الإمبريالية في مراحلها المختلفة، وغطته الرجعية العربية. لذلك فإن فقدان مبرر الوجود يرتبط بشكلٍ وثيق مع ما يجري في العالم من تطوراتٍ ومن مَأزق الإمبريالية نفسها.

الملاحظة الثانية أن المأزق، يتجاوز الكيان المصطنع إلى «الكيانات المصطنعة» المترافقة.

فكما تلازم وعد بلفور مع اتفاقية سايكس-بيكو، فإن نتاج مأزق وليدة وعد بلفور مع أولاد اتفاقية سايكس-بيكو يسيران بمأزق متلازم. فمأزق الوعد تزامن مع الانهيار الواقعي لسايكس-بيكو ومحاولة الإمبريالية الأميركية تحصينه وتطويره بمشاريع وسياسات جديدة تطال مستقبل المنطقة. وما النهضة التي يتغنى بها البعض في إمارات النفط إلا نهضة كرتونية لابدّ أن يؤثر بها عميقاً، مأزق النظام العالمي ومأزق الكيان الصهيوني الذي كانت تُفرَش له سجادات الحرير في اتفاقيات التطبيع.

الملاحظة الثالثة إعادة التأكيد أن المقاومة هي حراكُ شعبٍ، ربّما يأخذ صوراً وخلفيات متعددة، لكنه في النهاية فعلٌ مستمر، لا يرتبط مصيره ومصيرها (المقاومة) بتنظيمٍ أو مجموعة تنظيمات. فالشعب الفلسطيني إذا ما تعرض مسارٌ ما لمأزق أو أزمة، يستولد شكلاً وإطاراً آخراً للمقاومة، بكل مستوياتها، بما فيها بشكلٍ أساسي، المقاومة المسلحة.

***

فما الذي استجد بعد 7 أكتوبر؟

سؤالٌ، فيه التباس، السؤال الحقيقي ما الذي أثبتته معارك غزة اليوم في 7 أكتوبر وما تلاها.

لقد أثبت يوم البطولة في 7 أكتوبر، توقعاتنا وربّما أحلامنا، بأن هذا الكيان لن يبقى. هو

كيانٌ فقد مبررات وجوده، فعلى المستوى العسكري، لم يعد هو «صمّام الأمان» ليهود العالم، كما بدأ التمهيد له منذ «هرتزل» ونشأة الصهيونية حتى اليوم. وإلى ذلك ليس هو بلد الرفاهية الموعود. البحر الأحمر ليس متاحاً دائماً، هكذا يقول أبناء اليمن.

إن وظيفة الكيان الأساسية في المشاريع الامبريالية للمنطقة، هو أن يكون رأس حربة هذه المشاريع. لقد أثبتت الحروب السابقة، وخاصة بعد تحرير معظم الأراضي اللبنانية، ومعارك غزة ومقاومتها عدم قدرة هذا العدو على الانتصار.

إن أهمية 7 أكتوبر من الناحية العسكرية هو أنه، أي جيش العدو، غير قادر على المواجهة والصمود أمام عشرات من المقاومين استطاعوا بإمكانياتهم المتواضعة هزيمة الفرق العسكرية الموجودة على حدود غزة، وطرد العدو من مساحة كبيرة من غلافها.

هو غير قادر على الانتصار، وأيضاً غير أهل للدفاع والصمود. لذلك انقلبت الأدوار، فعوض أن يكون رأس حربة الإمبريالية لتنفيذ مشاريعها، أصبح «الحارس المريض» الذي يقتضي حشد جيوش الغرب، وبمقدمهم الولايات المتحدة الأميركية للحفاظ على وجوده.

7 أكتوبر أيضاً، ضرب مشروع الجنة التكنولوجية واقتصاد النانو، فكل هذه التكنولوجيا لم تمنع حفر الجدار والدخول.

طبعاً هذا الذي تحقق، كان ثمنه غالياً. الكثير من الألم والدموع، من الدمار والدم، هذا الكم الهائل لا يستطيع أي شعب ان يتحمله. تحملته غزة، أطفالها والنساء والشيوخ. وطبعاً شهداء المقاومة من كل المنظمات وغيرهم من المقاومين مجهولي الانتماء التنظيمي، معروفي الانتماء للقضية والوطن.

لن أستعيد هنا ما تحقق من فشل أهداف العدو الصهيوني، ومن نتائج على مستوى الأداء العسكري والسياسي والشعبي للمقاومة. فكثيرٌ من المحللين والقوى استعرضوا ما هو كافٍ من براهين الانتصار والصمود البطولي.

سأحاول نقاش بعض الاحتمالات والنتائج التي تتجاوز المؤقت، وتلامس استراتيجي في موضوع القضية الوطنية، بما في ذلك المهمات. يحاول البعض وضع 7 أكتوبر في إطار الصراع العالمي الحالي حصراً، للإيحاء بأن المقاومة جزء من مشروع عالمي وتحديداً إقليمي (إيراني) في المنطقة، ويقدِّم هذا البعض، ومنه بعض (العرب) العدو الصهيوني كضحية.

إن لما جرى في غزة بعده الفلسطيني والعربي والعالمي، ولكن ليس كما يدعي الملتحقون بالسردية الأميركية – الإسرائيلية، فالعلاقة هي العلاقة العكسية التي تُبرِز تأثير المعركة في الأبعاد العربية والإقليمية والعالمية.

أسقطت غزة ومعها الضفة وكل فلسطين، اتفاقية أوسلو، التي يجب أن يُنظر لها، كحدثٍ من التاريخ، وحدثٍ سيء بطبيعة الحال. وأثبتت أن هذه القضية لن ولا تموت، بل تتجدد وتتجذّر.

أثبت تلاحم أطراف المقاومة الفلسطينية (بغض النظر عن قوّة كل طرف) وحدة العمل المقاوم مع استقلالية أطرافه، ووحدة الشعب الفلسطيني بكل مكوناته، أكدتها ردة فعل الفلسطينيين، في الداخل والخارج، ومنهم رجال الدين من كل الأطياف، أنهم وبرغم بنية وتركيبة الطرف الأساسي في المقاومة، فأن وظيفتها تتعدى الطائفة، لتصبح وظيفة الوطن.

مرّة جديدة، تتأكد كما في معركة تموز 2006، بأن الوظيفة الأساسية لأية مقاومة تتعدى بنيتها وتركيبتها، فما هو إسلامي فيها، وكذلك ما هو يساري أو قومي، يقوم بوظيفة وطنية عنوانها واحد «تحرير فلسطين.»

هنا يمكن القول إن هذه المعركة، وجملة المعارك التي سبقتها، تطرح تحدياً فكرياً حول «نظرية المقاومة» يشكل استمراراً لحركات المقاومة في العالم، من فيتنام إلى أميركا اللاتينية وأفريقيا ولبنان وفلسطين والعراق. فلكل احتلال مقاومة.

وعلى المستوى الإقليمي، يؤثر بعض المثقفين وبعض الإعلام المرتبط، إلى الدور اللبناني والعراقي واليمني، ناهيك عن الموقف الإيراني، وكأنه إحدى الخلفيات «السلبية» للمعركة، والتي تؤكد ارتباطها بالمشاريع الإقليمية في المنطقة. نعم إن معركة فلسطين، باستهدافها وطبيعتها، هي جزء متضامن مع حراكٍ إقليمي جوهره هو قضية فلسطين، فكيف تكون فلسطين خارجه؟

لقد تبيّن أن الأميركي هو العدو الرئيسي، وهذه حقيقة نسجِّلها دائماً، ومشاريع أبراهام، هي المساندة للمشروع الأميركي الإسرائيلي. ولذلك فأي حراكٍ يتصدى لهذا أو لهذه المشاريع، هو جزء من معركة تحرير فلسطين ومعها تحرير الإرادة والثروة العربية، وربما تكون إحدى أهم نتائج المعركة، هي هزيمة أطراف مشاريع أبراهام، ومؤامرة التطبيع بحد ذاتها.

ما يجري اليوم، من مساندة لبنانية عراقية ويمنية، وعلى المستوى الشعبي، الجماهير العربية، لا تضع «طوفان الأقصى» في خانة خدمة مشاريع إقليمية، بل أنها على العكس من ذلك ستكون «طوفان الأقصى» رافعة في خدمة الشعوب العربية الأخرى في مواجهة الصهاينة في الجنوب اللبناني ومواجهة الأميركي في العراق واليمن.

ولا ننسى على مستوى الإقليم والعالم العربي، كيف منعت غزة حتى الآن أميركا وحلفاءها من إنهاء دور قناة السويس ومحاصرة الشعب المصري. إن «طوفان الأقصى» منع المشروع الأميركي – الصهيوني لشق بديلٍ لقناة السويس من العقبة مروراً بغزة، وبذلك يمكننا القول إن غزة ساندت مصر، بجزء من اقتصادها الذي تؤمنه قناة السويس.

فلسطين وغزة تستحقان المساندة من كل المقاومة وكل شعوب العرب، ولكن أيضاً، غزة تساند بصمودها كل حركات المقاومة والتقدم في العالم العربي.

***

أمّا على المستوى العالمي، فلطوفان الأقصى، نتائج سيظهر بعدها الاستراتيجي تدريجياً، الأول، هو إعادة الحياة «للقضية الفلسطينية» وهنا مفارقة مهمة، منذ عدة عقود، يعمل العدو الأميركي، وبما له من سلطة وطغيان وإعلام على تزوير التاريخ، وتقديم قضيةً فلسطين بوجهين: الأول عبر تضخيم مظاهر التطبيع الذي اعتمدته الأنظمة العربية وبشكلٍ خاص أنظمة الخليج، ووضع هذه الخطوات في إطار إنهاء «الصراع» في الشرق الأوسط، لإيجاد مجال جغرافي عالمي خالٍ من الحروب وخاضع لسيطرتها الكاملة، ويعوّض عنها مسؤولية دعم «إسرائيل» واقتصادها بشكلٍ خاص.

أما الثاني، فهو عبر تصوير أي حدث مقاوم وكأنه مرتبط بالمشروع الإيراني من جهة، أو جزء من الإرهاب الإسلامي بعد أن نشر الفوبيا المعادية للإسلام في أوروبا والعالم بشكلٍ عام، هو اخترع هذا الإرهاب وهو يحاول وصف أي عملٍ مقاومٍ به.

نعم كان الرأي العام العالمي الشعبي قبل طوفان الأقصى يميل إلى هذا الاعتقاد، فجاءت بطولة وصمود أبطال غزة، عنواناً لإعادة الاعتبار للحقيقة التاريخية، وأصبحت غالبية الشعوب تمتلك تحليلاً مغايراً لذلك الذي حاول الأميركي والأوروبي ترويجه.

في هذا المجال، لابد من التأكيد على دور اليسار الأوروبي والعالمي، دولاً وأحزاباً ونقابات، وكذلك دور الديمقراطيين، كل الديمقراطيين، في مواجهة هذه السردية وإعادة الاعتبار لتاريخ القضية الفلسطينية بما هي حركة تحرر وطني بمواجهة الاحتلال الصهيوني والامبريالية الأميركية.

ولأهميتها نشير فقط إلى جواب جان لوك ميلونشون، زعيم اليسار الفرنسي، على سؤال يحاول حشره في يوم 9 أكتوبر، ودفعه لاعتبار حركة حماس «إرهابا» كان جوابه حاسماً: «التاريخ لم يبدأ بـ 7 أكتوبر، وما يحملونه من أكاذيب، إن حماس حركة إسلامية، ولكنها حركة مقاومة للاحتلال وليست إرهاباً، وإسرائيل تشن حرب إبادة ضد الشعب الفلسطيني».

لاتحتمل مساحة المقالة تفصيلات أكثر، ولكن

ما يمكن استنتاجه، أن طوفان الأقصى أعادت للصراع العالمي جزءا من طبيعته، فقراء العالم، دولاً وفئات شعبية، مع فلسطين، في مواجهة أغنيائه ومضطهديه من الرأسمال العالمي بقيادة الإمبريالية الأميركية، التي تحاول تجاوز مأزقها بالحروب على حساب دماء الشعوب وحقوقها، وتدعم الكيان الصهيوني كممثل لها في الشرق الأوسط.

في المقابل، وكما أن العالم يتضامن مع فلسطين، لابد من الإشارة إلى الدور الذي تلعبه طوفان الأقصى وصمود الشعب الفلسطيني، في لجم عدوانية أميركا والناتو، ليس في المنطقة فقط، بل أيضاً في أوروبا نفسها. ما يجري اليوم في أوكرانيا ما كان ممكناً لولا صمود غزة ومقاتليها.

***

السؤال الأساسي، ليس مخطط العدو فيما بعد غزة، بل السؤال الأكثر ضرورة واحتمالاً، ما هي خطتنا لما بعد الانتصار في غزة؟.

بعد أكثر من ثلاثة أشهر على طوفان الأقصى، لم يعد مبالغاً فيه أن نقول إن النصر قد تحقق، عدم تحقيق العدو لأهدافه هو نصر. المقاومة باقية، أهل غزة كالغرس في أرضهم رغم الدم والدمار هم باقون ، لذلك السؤال عن ما بعد الانتصار سؤالٌ طبيعي. على المقاومة بكل أطرافها، في فلسطين وفي العالم العربي. على كل القوى المواجهة للمشروع الأميركي والصهيوني أن تجيب بشكلٍ مشترك، وماذا بعد الانتصار؟

طبيعي هنا إعطاء الأولوية للحاجات الملحة والضرورية، للتخفيف عن كاهل أبناء غزة وإعادة إعمارها. وطبيعي القول إن لا شيء يعوض الآباء والأمهات عن أبنائهم، ولكن بالنسبة للشعب الفلسطيني، الأمر محسوم؛ هم متعلقون بالحياة وبأبنائهم، ولكنهم أيضاً متعلقون بفلسطين.

وهنا لابد من التأكيد على الإغاثة الشعبية، وليس إغاثة الأنظمة في العالم وفي العالم العربي.

الأنظمة تريد المقابل، بينما الإغاثة الشعبية، رغم ضعفها، فهي صافية وتشكل جزءا من المقاومة ذاتها.

إذا تخطينا هذا الجانب، تبقى المهمة الأساسية على طريق تحرير فلسطين، كل فلسطين ، و أول شروطها الإعلان الرسمي عن موت ما يسمى «حل الدولتين «لقد مات هذا الحل، ليس اليوم، فكل مستوطنة في الضفة أعلنت هذا الموت، اليوم استحق الدفن.

دفن هذا الوهم، يبدأ بإعلان فك المقاومة الفلسطينية، بكل أطرافها، عن أوسلو وأجهزة السلطة. وإعادة البحث في إطار موحد للعمل الوطني الفلسطيني، يعيد لمنظمة التحرير صفتها التمثيلية، عبر تعديل نظامها الداخلي وصياغة برنامجها المقاوم بكل الأشكال، ودخول كل أطراف المقاومة عبر صيغة ديمقراطية إلى مؤسساتها.

يترافق ذلك حتماً مع، اعتبار أن كل فلسطين أرضٌ محتلة، ولا حوار مع العدو الأميركي والاسرائيلي إلا بالمقاومة. وكل شبر يتحرر من فلسطين هو قاعدة للدولة الممتدة على كل ترابها التاريخي. غزة ومخيمات الضفة ومدنها، التي تتخلص من الاحتلال تصبح حينها

«هانوي فلسطين» بل «هانوي العرب» كما أرادها أبو علي مصطفى، ووعد بها القادة الشهداء وآخرهم الشهيد صالح العاروري.

أما على المستوى العربي، فعلى قوى التقدم والمقاومة، إعلان موت ودفن صيغة «الجامعة العربية» وتشكيل إطار شعبي عربي مقاوم، ينسق عمله المشارك في فلسطين من جهة، ويواجه الأنظمة العربية، وخصوصاً أنظمة التطبيع من جهة أخرى.

هذا الإطار الشعبي، يعمل على تطوير ودعم تشكيل أطر عالمية تتخطى مؤسسات الأمم المتحدة، التي أثبتت عجزها وتآمر بعضها، وتطوير المساندة السياسية والإغاثية العالمية للشعب الفلسطيني ومقاومته.

طبعاً هذا بشكل أولي، يستلزم البدء بالحوار والبحث، بانتظار الأمل الذي يقترب، أمل التحرير والانتصار.

عودة الشّاهد والشّهيد

العادل خضر
رئيس اتحاد كتاب تونس

هذا هو الـ«recas omoH». لا تترجموها لأنّ الصّورة قد تجاوزت المفهوم... إنّه الإنسان الفلسطيني، ذاك الّذي لا يحقّ له أن يعيش ولا أن يحتجّ ولا أن يتكلّم... بل لا يحقّ له شيء سوى أن يموت كلّ يوم، كلّ ساعة وكلّ دقيقة ألف مرّة ... وقاتله ليس مجرما ولا مذنبا ولا يحاكمه أحد. فقتله أو عدم قتله مسألة مزاجيّة... لأنّ هذا الـ«recas omoH» ليس خارجا عن القانون بل القانون أخرجه من حساباته... هل يحاكم القانون حجرا أو جثّة؟

إلى كلّ الخارجين من تحت الأنقاض العائدين من موتهم إلى ميتتهم المقبلة، لستم عندهم، ذئاب الجحيم، ومجانين الحرب، ومختّثي السياسة، وفاقدي بشريّتهم، سوى بدائل أخرى من البشر الزّائدين على الحاجة، في مسرح المعتقلات اللاّبشريّة.

إلى فلاسفة الصّورة من الّذين صدّعوا رؤوسنا بتحاليل مفرطة في إنسانيتها، وأشعلوا بصور ضحايا المعتقلات النازيّة حربا تسمّى «حرب الصّور»، تكفي هذه الصّورة بجلال كارثيّتها لتبطل كل ما صوّروه من أفلام وما جمعوه من صور وما نظّموه من متاحف، لتقول ببلاغة وجيزة: الفظاعة واحدة، تتغيّر مسارح القسوة، مرّة في هيروشيما وفيتنام، ومرّة في بغداد وفي سوريا، وفي فلسطين دائما، تتغيّر أسلحة الإبادة من القنبلة الذرّية والنابالم إلى الفوسفور الأبيض.... والبشاعة هي هي.

الصّورة: رجل أعظم من جبابرة الأساطير يحمل أربعة أرواح بشريّة ويمسك بيده اليمنى روحا أخرى خارج إطار الصّورة، ويتقدّم فوق الأنقاض مغمض العينين.... لا يبادلنا شيئا... لا نظراته ولا كلماته... لا شيء يبادل في الكارثة غير الصّمت. ولكن أيّ صمت؟ أهو صمت من عجز عن استعادة هبة الكلام أمام هول الكارثة اللاّبشريّة؟ أم صمت من نجا من الموت مع من بقي حيّا من أحياء عائلته، وهو لا يعلم إن كان عائدا إلى الحياة أم راجعا إلى مثواه الأخير؟ أم صمت المفاجأة والمعجزة العجيبة؟ «فالقاعدة في أيّام الحرب هي أن تستيقظ من نومك على دويّ القصف والقنابل والرّصاص، فلا تعثر على شيء سوى جثث العائلة وأشلائها ودمائها. معظم النّاجين هم بقايا عائلة من الأطفال.».

فالصّورة لم تلتقط مشهدا لأشياء كاملة، بل هي تحتوي على ما أمكنها أن تأخذه من الأشياء والكائنات الباقية. فالتّصوير في غزّة هو تسجيل يوميّ لصناعة الموت والإبادة، وتصوير يلاحق لاهثا البقيّة الباقية من الأرواح والعمران. من يصوّر في غزّة سيتعلّم أنّ فنّ التّصوير هو فنّ البقايا لتخليده في ذاكرة لن تعرف الحداد أبدا، ولن تجد الوقت لتجدّد ذكرى من ماتوا. فالذّاهبون إلى موتهم حتف أنفهم يعلمون أنّهم على شفير الكارثة. ولكن ما الكارثة؟ هو لفظ يعني في أصله الإغريقي جولة (hports بـ) إلى الأسفل (átak). وليس الأسفل في سياق هذه الصّورة سوى غزّة، أو عالم غزّة السّفليّ، «هذا العالم المسالم الّذي قلبته الحرب رأسا على عقب، بالدّمار والخراب والموت.». وليس هذا الرّجل الشّاهق المنتصب الحامل على كاهله أغصان شجرة عائلته سوى رجل يحاول أن يتقدّم رغم أثقاله في ممرّات لا يعلم أين ستفضي. فحواليه عالم قد سقط وتهاوى إلى أسفل الأرض وتحتها. فالكارثة هي جولة في عالم شبيه بعوالم الجحيم السّفليّة، لولا بزوغ أنوار السّماء في أقصى شمال الصّورة، لتذكّرنا، نحن من صدمته الصّورة بهولها، بأنّ الكارثة ليست قياميّة، وإن كانت شبيهة بها في مخيالنا. إنّ الكارثة هنا، في هذا المكان. وليست الحربُ حربَ إبادة، بل هي حرب انتزاع من المكان، مكان الكينونة بما هي تمكّن من المكان. فما لم تقله الصّورة هو أنّ بلاغة الحرب قد تغيّرت منذ الحرب العالميّة الأولى. فقد خرجت من منطق الرّبح والخسارة، والهزيمة والانتصار. البلاغة الجديدة هي بلاغة التّطهير العرقيّ الّتي تنهض على القاعدة التّالية: موت الفلسطينيّ هو شرط وجود المحتلّ الصّهيونيّ. لا بقاء لكيان إسرائيل إلاّ بإبادة كلّ فلسطينيّ وطمس اسمه وذاكرته. والدّلائل على ذلك كثيرة. فطريقة القصف ليست حربيّة، فهدف الطّائرات ليس الانتصار على العدوّ وإخضاعه ليستسلم. طريقة القصف تعلن عن نوع جديد من الحروب هو حرب الإبادة: قصف المستشفيات آخر ملاذ وآخر أمل في الحياة، وقصف سيّارات الهلال والصّليب الأحمر، قصب المساجد والكنائس، قصف المنازل والمباني. بات لكلمة «الدّمار الشّامل» معنى حسّي مفرط في حسّيته. فقد ألغي كلّ استثناء سطّرته القوانين الدّوليّة والشّرائع البشريّة، وفتح باب الجرائم ضدّ البشريّة على مصراعيه. لا حقّ لفلسطينيّ إلاّ حقّ الموت. فالقصف بالقنابل وبالفسفور الأبيض، وبكلّ أسلحة الدّمار الحديثة، قد أتى على الزّرع والضّرع، والأخضر واليابس، والعباد والبلاد، والجامد والمتحرّك.

ففي كلّ الحروب الّتي شنّها العدوّ الصّهيوني، وريث الفاشيات والنّازيّات وسياسات الأبارتايد في جنوب إفريقيا وأمريكا، لم يستثن في الإبادة أحدا: لا الشّيوخ ولا النّساء ولا الأطفال. فكلّ صورة ملتقطة في غزّة تخفي في أعطافها صورا أخرى هي ذاتها الصّور الّتي تفانت سياسة الفيسبوك وشبكات التّواصل الاجتماعي في منعها ورقابتها، هي صور المذابح الباردة: «كلّ من يُقبض عليه تطلق عليه رصاصة أو أكثر «بدم بارد»، في الرّأس أو في الظّهر أو في الفخذ. وكان للطّائرات نصيب الأسد من التّدمير. قصفت كلّ شيء تقريبا بطريقة منظّمة. لم يبق شبر من غزّة سليما معافى عامرا.

الصّورة مرّة أخرى: ورغم ذلك تلتقط الصّورة أكثر ممّا التقطته. تنفلت منها تفاصيل صغيرة هي جزء من بهائها المدهش. فالمشهد الخلفيّ مشهد كارثة بله قيامة. مشاهد الأنقاض، الحديد والحجارة، دمار أشكال العمران، زوال أسباب الحياة، كلّ جزئيّات السّقوط إلى الأسفل تتعارض على نحو صارخ مع انتصاب الإنسان الفلسطينيّ. من يتمعّن في الصّورة سيجد أنّ الكتلة البشريّة قد ملأت كامل الصّورة في اتّجاه عموديّ منفلت نحو السّماء المضيئة. اللّقطة كانت قريبة لإبراز الوجوه الحيّة. لا ظلال تحيط بالأجسام. ورغم غياب الظّل المنبئ بالموت، كانت رؤوس الصّبية الثّلاث، المحيطة برأس الأب في شكل مثلّث، مفتّحة العينين، أشدّها انفتاحا ودهشة عينا الصّبيّة، أعلى نقطة في الهرم البشريّ. لا شيء خلفها سوى الأنقاض المتراكمة والسّماء. عينان مفتّحتان في تقابل صارخ مع عيني الأب المغمضتين. لن نستحضر صورة أنتيجونا وأبيها أوديبوس الّذي فقد بصره وحقّ الإقامة في المدينة، وهي تقوده إلى منفاه، حتّى لا نضفي على الصّورة بعدا تراجيديّا، ولكنّنا سنكرّر مزايدين على الفيلسوف اليهوديّ الألماني أدورنو «لا شعر بعد أوزفيتش» بأن نقول: «الشّعر هو غزّة».

تعلّمنا الصّورة بأنّ الشّعر ليس احتفالا بفاجعة لا تطالها الكلمات. الشّعر كما كان بعد آلهة الإغريق يقصّ ما كان وما يكون وما سيكون. وفي غياب الشّعر، تطلّ علينا الصّور، نحن الّذين نسكن خارج غزّة، لا لتُدين ضمائرنا أو تصدم عيوننا، ولا لتقضّ مضاجعنا، تطلّ فقط لتقول لنا: اشهدوا فقط. فأنتم الشّهداء.

الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
Popular Front for the Liberation of Palestine
كل البنادق نحو العدو
كفاحنا مستمر حتى النصر
المجد للمواقع المقاتلة
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

دور الإعلام في الحرب الوطنية الفلسطينية

هزيمة المعسكر الإسرائيلي حتمية

سواء أتوسعت رقعة الحرب أم لم تتسع

محمد شريف جيوسي

كاتب سياسي/ الأردن

يتخذ الإعلام أهمية قصوى في الحرب الهمجية الإسرائيلية الدائرة ضد الشعب الفلسطيني، بخاصة منذ جولة طوفان الأقصى في 7 تشرين أول 3202، حيث تمكن الإعلام من تغطيتها بشكل نوعي، كاشفاً حرب الإبادة التي ترتكبها إسرائيل ضد المدنيين شاملة بذلك الأطفال والنساء والمسنين والمرضى والطواقم الطبية بل والإعلاميين والصحفيين والمصورين والفنيين.

لقد لعب الإعلام دورا غاية في الأهمية بكشفه حقيقة الكيان الصهيوني؛ المستعمرة الإسرائيلية أمام العالم، ما أحدث تحولاً هاما غير مسبوق على صعيد الشوارع الشعبية حتى في الغرب الأوروبي، ولدى بعض النخب، ما ينذر بتحولات مواجهة للأنظمة الغربية في المدى المتوسط، وقد تتسارع تأثيراته ما استمر الصمود الفلسطيني والصلف الدموي الإسرائيلي الغبي، الذي يتنقل من فشل إلى فشل أشد.

وتحاول وسائل إعلام الغرب الإيحاء بأن حرب الإبادة الإسرائيلية هذه غير مسبوقة في تاريخ تل ابيب، متجاهلة المجازر التي ارتكبتها سنتي 74 ـ 8491، ضد الشعب الفلسطيني ك دير ياسين ونحالين وقبية والدوايمة وغيرها والبالغة 78 مجزرة أرخ لها مؤرخ يهودي بالتفصيل، لكن هذه المجازر لم توثق إعلامياً في حينه كما الآن بحكم استعمار بريطانيا لفلسطين وكونها الدولة التي منحت وعد بلفور للصهاينة وبحكم تخلف الإعلام بالقياس.

ولم تقتصر جرائم إسرائيل على الشعب الفلسطيني فتعدتهم إلى لبنان وسورية ومصر، كمجزرة بحر البقر في مصر، بل شملت الأمم المتحدة باغتيالها المندوب الأممي كونت برنادوت، وتدمير سفينة التجسس الأمريكية، لكن التكتم الأمريكي الغربي على هذه الإرتكابات، وعدم توفر الإعلام الكافي، لم تكن هناك ردود فعل بحجم ولا بجزء يسير من حجم الإرتكابات الدموية الإسرائيلية السابقة لـ 7 تشرين أول 3202 وما تلاها.

ونعلم حجم الإعلام الكبير الذي ضخ لتسويق ما أسمي الربيع العربي الإخواني الوهابي الأمريكي الغربي الرجعي العربي والرجعي التركي.. والذي تجسد بخاصة ضد سورية

على نحو سلب بوصلات البعض؛ وأسهم في تضليلهم نظرا لما ينطوي عليه الإعلام من قدرات مذهلة في تشكيل الأدمغة والقناعات والتوجهات والمواقف، رغم ما انطوى عليه ذلك الإعلام من أكاذيب وظلامات، والواقع، لمخالفته الحقيقة.

والسؤال كيف سيكون تأثير الإعلام عندما يتمتع بالصدقية والعدالة، إلى جانب قدراته المضطردة التي تسابق الزمن، وهو ما نشهده الآن بما أحدث الإعلام من تغيرات وتبدلات في القناعات التي جرى التعتيم عليها لعقود، رغم عدالة القضية الفلسطينية.

لكن هذه التحولات مهددة، من قبل الإعلام المضاد المعادي، وغير المضاد، والعميل ـ حيث لدى العدو من الطاقات والقدرات والمقدرات الفنية ما يفوق بكثير ما يتوفر لدى الإعلام المقاوم والصديق والموضوعي الباحث عن الحقيقة والعدل ـ حيث سيسعى الاعلام المضاد لتعويض هزائمه بالميدان، والعبث بقناعات المقاومين وحضاناتهم، وهو ما رأيناه كمثال في الفيديو الذي بُث كذباً بلسان الناطق باسم كتائب القسام؛ المقاومة، وما انطوى عليه من تضليل قد يمر على البسطاء وعلى مضطربي الوطنية.

وهناك إعلام خطير آخر ينبثق من غير الأعداء لكنه قد يفوق في خطورته الإعلام المضاد، ذلك أن مروجيه ليسوا أعداء.. وإنما من المحسوبين على الوطنية من فضوليين ناقصي معلومة وزائدي فضول وتنطع.. فينبروا بتقديم (تحليلات) متشائمة محبطة، وربما متفائلة جداً لا تستند إلى حقائق على الأرض، وعندما لا تتحقق، تُحدث هذه التكهنات الطوباوية ردود فعل فجائعية كارثية.

أما الإعلام العميل، فقد ينطلق عبثاً من الداخل الوطني المحلي أو العربي أو الإسلامي أو الدولي، في خدمة تل أبيب وواشنطن وباريس ولندن وبون وما يليهم.. متمنطقاً بقدرات هائلة وأدمغة، مزوداً بالمعلومة والقدرة على خلقها وهي ليست كذلك، مستخدما في الظاهر المشاعر الوطنية والقومية والإيمانية والإنسانية، للتضليل وحرف القناعات واختراق الإصطفافات والحواضن وتأليب الرأي العام والتشكيك بجدوى المقاومة ومحورها وأصدقاءها..

لا بد أن محور المقاومة في فلسطين ولبنان والعراق واليمن قد حقق نتائج مبهرة فاجأت العالم، تسنده من الخلف سورية وإيران وربما قوى أخرى، فضلاً عن المساندة السياسية والإعلامية من دول أخرى كجنوب إفريقيا والجزائر وكوريا الديمقراطية وفنزويلا.. وربما غيرها أيضاً كالصين وروسيا لكي لا تستهدف بقرارات أممية معادية ظالمة.

لكن هذه المساندات لن تحول دون تصرف الجانب الإسرائيلي الأمريكي بشكل أرعن، على جبهتي الصراع العسكري والإعلامي.. من هنا اشتدت الهجمات العسكرية ضد سورية وضد إيران حيث استهدف مرقد الشهيد سليماني ما أدى إلى استشهاد المزيد من المدنيين في خرق غبي لقواعد الاشتباك، كما استهدفت الضاحية الجنوبية في بيروت ما أدى إلى استشهاد القائد الفلسطيني المقاوم صالح العاروي، ما شكل خرقاً غبياً آخر لقواعد الاشتباك، لن يمرا هكذا، ومن قبلهما قتل المدنيين، واستمرار أسر الأسرى المحررين بمن فيهم من أطفال ونساء ومسنين والتسبب بوفاة المرضى منهم.

إن اصدار الإعلام المعادي فيديو مزعوم مضحكا باسم كتائب القسام، يعكس حالة الفشل الذريع والبؤس الذي يعاني منه العدو، وبخرقه قواعد الاشتباك، إنما يغلب مصالح القيادة الإسرائيلية الأشد تصهيناً على حساب جمهورها.. وهو ما بدأت تعبر عنه النخب الإسرائيلية حد شمولها قيادات عسكرية متقاعدة وفي الخدمة.

وفي حال استمرار هذا الشطط الغبي، بات الأرجح توسع الحرب إلى إقليمية فدولية متدرجة، وسط مؤشرات واضحة بأنها حرب لن تكون حتماً في صالح المعسكر الغربي، في حال عدم توسيعها أيضاً، بمعنى أنه بات في حالة تشبه بالع الموسى، إنما سيلطف عدم توسيعها آثارها ونتائجها على ذلك المعسكر ويؤخرها الى حين زمنيا، لكن ما يحدث الآن، رَسَمَ مقدماتها، وآثارها وتداعياتها الإيجابية على العالم لجهة ولادة نظام عالمي جديد، أكثر عدلاً وأمناً واستقراراً ودعة وتقدماً.

سيمفونية المدافع.. وتحولات الذات

ناهـض زقـوت

كاتب وباحث وناقد أدبي/ غزة

رائحة البارود تملأ الجو.. وصوت الطائرات الحربية التي تهتز لها جدران البيت ترمي حممها القاتلة في كل الاتجاهات، ودبابات على الحدود متمركزة تطلق بشكل عنيف ومتواصل قذائفها باتجاه بيوت المواطنين الخائفين يحتضون أطفالهم على أمل حمايتهم من قذيفة أو شظايا قذيفة، ولكن لا أمان في ظل قصف يتلوه قصف، وشهيد يتلوه شهيد، وخوف يتسربل بالرعب، وعيون لا تعرف النوم في وسط هذا الجحيم الذي ينصب على الرؤوس من قذائف الدبابات التي تنطلق من الحدود الشرقية، صوت صفيرها يصم الآذان ويرهق الأعصاب في سكون الليل الغارق في ضوء القمر المكتمل الذي ينشر ضياءه يبدد وحشة الظلام.

الأذهان متيقظة والأعصاب قلقة، والجسد يرتعش مع كل قذيفة تنطلق، يهتز البيت والجدران لشدتها، فتشعر كأن البيت سيقتلع من جذوره.

أجلس على حافة السرير وأشعل سيجارة، أترقب القذيفة الثانية والثالثة.. والعاشرة، أسمع أحياناً صوت ارتطامها، وزجاج ينكسر، وصوت يصرخ في جوف الليل يناجي الله أن يرحمنا من هذا الجحيم.

يا الله ارحمنا من هذا العذاب

لم يعد في الجسد طاقة على الاحتمال

يا الله أريد أن أنام

يا الله أطفالي يصرخون.. لا يعرفون النوم

عاد الصوت يصرخ من أعماق الليل الساكن بالقهر والألم.

ومع كل صوت قذيفة ترعد في الفضاء، أسمع أصوات بكاء أطفال من بيوت الجيران، أفزعهم رعد القذيفة فهبوا صارخين يحتمون بأحضان أمهاتهم الخائفة.

والجندي السادي القابع في جوف دبابته يتلذذ في إطلاق القذيفة تلو القذيفة دون أي اعتبار أين تسقط قذيفته، على رؤوس الآمنين في بيوتهم، أم على النائمين بين أحضان أطفالهم، أم على جدار بيت ليسقط على رؤوس أطفال هدهم الخوف فناموا، والدموع ما زالت تغرق عيونهم.

ناهيك عن صوت الطائرات الحربية التي تجوب السماء محملة بالصواريخ، تركز أهدافها واحداثياتها لتنطلق صوب منزل تدمره على رؤوس ساكنيه، ليتحولوا شهداء أو مصابين تحت الأنقاض. لم أعد أميز بين القذيفة والصاروخ في انطلاقهما في آن معاً نحو هدف مقصود يمحو سجله السكاني.

لم يعد يدرك الفلسطيني في غزة أي الأيام أكثر دموية، ينام على مذبحة ويصحو على مجزرة، وكل منزل يستهدف هو مزيد من الشهداء، لا يوجد بيت دون شهداء إذا اقتربت منه الطائرات.

اليوم في الحرب يختلف كلياً عن اليوم العادي، يفرض عليك أن تمارس طقوساً لم تكن في يوم من الأيام ضمن جدول أيامك، أن تجلس في البيت فترة طويلة، وأن تجلس أمام شاشة الجوال ساعات في حال توفر الانترنت، وأن تفتح حواراً بهدف التسلية مع النازحين في بيتك، والأهم أن تنام على سيمفونية مدافع الدبابات، وعلى صوت هدير الطائرات الحربية تغطي سماء قطاع غزة، أما طائرة الاستطلاع فهي مفروضة عليك كالموت لا تغادر الأجواء، ولا تتزحزح زنتها من دماغك، وإذا غابت تشعر بالقلق، وتقول يا ساتر لماذا اختفت، هل ثمة قصف في الجوار؟ ناهيك عن طائرات التجسس الأمريكية والبريطانية التي تراقب نومك على السرير.

تصحو صباحاً بشعور المولود الجديد الذي خرج للحياة بعد الشعور بأن الموت كان قاب قوسين أو أدنى منك. في الصباح تنهض متثاقلاً من السرير بعد ليلة قاسية ملؤها الخوف والرعب أن يسقط صاروخ فوق منزلك، فتجد نفسك تحت الركام، أو يسقط زجاج الشبابيك على رأسك، أو على أحد أفراد عائلتك من قصف منزل بجوارك.

هذا ما حدث يوماً، كنت جالساً على المكتب أتابع الأخبار، فجأة رأيت النيران والدخان قادمة أمامي من البلكون، وصراخ زوجتي وأبنائي والنازحين في بيتي من هول الضربة، فلم يعد أمامي مجال للهروب، ولكن انحسار الدخان شجعني على الوقوف في البلكون لاستطلاع ما حدث، فكان صاروخاً نازلاً على منزل الجيران، والناس في الشارع تجمعت، فنزلت إلى الشارع لأعرف أحوال الجيران، فكان بينهم شهداء وجرحى، والمنازل المجاورة تدمرت بفعل قوة الصاروخ الذي دمر المنزل وواجهات المنازل المجاورة، ومع حضور الإسعاف كان شباب الحارة قاموا بواجب الإنقاذ فحملهم الإسعاف إلى المشفى، وعادت الحياة في الشارع إلى طبيعتها، وبدأ السكان في جمع الردم والركام من أمام بيوتهم لفتح الطريق.

وقد تكرر المشهد أكثر من مرة، ولكن بطرق مختلفة، وقوة تدمير أكبر، احداها طال شبابيك منزلي، وأصبحت محاطاً بعدد من المنازل المدمرة.

وتستمر الحياة على غير عادتها، وسط النار، ولكن الإصرار على الحياة يدفعنا للعيش فيها.

تناولت ساندويش ليس مهماً ما يحتويه، فلم يعد لك خيار، وليس أمامك بدائل، إما فول أو جبنة بيضاء من أسوء الأنواع مع فنجان القهوة، وتجلس على الكنبة في الصالون تنظر في جدران البيت إلى اللاشيء، تبقى هكذا ساعات، ثم تقوم إلى البلكون تنظر إلى حركة الناس في الشارع، وإلى عامل النظافة يجمع قمامة الشارع، لا تجد جديداً قد طرأ على حياة الناس، يسيرون متجهمين الوجوه، والابتسامة لا تعرف طريق شفاههم، والخوف من القادم في عيونهم. هائمون على وجوههم لا يعرفون مصيرهم بعد لحظات.

تعود إلى كنبة الصالون، ثم تقوم تتمشى في المنزل، تدور حول نفسك بعض الوقت دون أن تدري ماذا تفعل. تقرر أن تخرج إلى

السوق لشراء بعض الحاجيات لإعداد غذاء اليوم، لأن الخضروات أصبحت تشترى يومياً لإعداد الطعام، فلم يعد هناك ثلاجة لحفظ الخضار مع الانقطاع التام للكهرباء منذ بداية الحرب.

لم يعد سوق النصيرات مكانا للتسوق لشدة الزحام بدرجة لا تطاق، تسير ببطء وأنت تتلفت حولك خوفاً من أن تصدمك عربة كارو وسيلة المواصلات التي تتسيد مشهد النقل في ظل الحرب. المحلات التجارية أغلقت أبوابها بعد نفاذ بضائعها، وكل ما يباع في السوق هو من المساعدات، التي لا يراها المحتاجين أو النازحين إلا قليلاً، ولكنها في السوق معروضة بشكل كبير وبأسعار خيالية، فقد وصل كيس الطحين الذي وزنه 52 كيلو إلى 005 شيكل بعد أن كان 04 شيكلاً، وهكذا باقي المواد الغذائية والتموينية.

أما الخضار فحدث ولا حرج في أسعارها فهي مضاعفة لا يستطيع شرائها إلا من لديه المال، فمن أين للذين دمرت بيوتهم وخرجوا نازحين بملابسهم الشخصية المال لكي يعتاشوا، فباعوا المساعدات لتوفير بدائل محرومين منها، ولكن ليس كلهم.

لقد وصل عدد النازحين في مخيم النصيرات من أحياء غزة وشمال غزة إلى ما يقارب نصف مليون شخص، يتوزعون في مدارس الايواء التابعة للأونروا، أو للحكومة، كل مدرسة لا يقل عدد النازحين فيها عن ستة آلاف شخص، بالإضافة إلى آلاف النازحين في بيوت الأصدقاء والأقارب والمعارف، ومن لا يعرف أحداً بنى خيمة في الساحات العامة، أو استأجر مخزناً ليقيم فيه مع أسرته، وثمة مشردين رأيتهم في الشوارع.

في السوق بحثت عن محل لكي أشحن البطارية والجوال. من الصعوبة أن ينفصل الانسان عن العالم، ويعيش منعزلاً عن الكرة الارضية التي أصبحت قرية صغيرة، إلا أننا في غزة يريدوننا منعزلين عن تلك القرية بقطع الكهرباء والاتصالات والانترنت، ليرتكبوا ما شاءوا من المجازر بعيداً عن أعين شعوب العالم. لذلك نحاول في غزة تحدي إرادتهم وتجاوز العزلة والبحث عن بدائل للإضاءة وشحن الجوالات لكي نبقى على تواصل مع تلك القرية التي تخلت عنا، وكانت البطاريات هي البديل، ولكنها تحتاج إلى شحن يومي ودفع نقود بدل الشحن بقيمة عشرة شواكل، يعني مصروف جديد يثقل كاهل أهل غزة، لأن الشحن يوازي الماء والطعام لا غنى عنهم.

في الطريق إلى السوق تشاهد الناس النازحين من بيوتهم في الشوارع يطهون طعامهم ويخبزون خبزهم على النار. بعد انقطاع كل مقومات الحياة من كهرباء ووقود وغاز الطهي. في هذا اليوم قررت زيارة مدرسة الإيواء القريبة من مكان سكني. دلفت إلى المدرسة من بوابتها الرئيسية المكتظة بالنازحين من نساء وأطفال ورجال، الكل يبحث عن شيء غائب عنهم، يبحثون على وسائل العيش والحياة، في داخل المدرسة أول ما يواجهك الرائحة الكريهة للمكان، فالنظافة معدومة لعدم توفر المياه لنظافة المكان، وحتى للنظافة الشخصية، أطفال بثياب متسخة، ونساء متوشحات بالسواد، ما أدى إلى انتشار الأمراض المعدية والجلدية والتنفسية بينهم خاصة بين الأطفال وكبار السن.

داخل المدرسة أوضاع كئيبة ومزرية لأحوال قاطنيها، خيام منتشرة ومتلاصقة في ساحة المدرسة، مليئة بالأطفال والنساء من كافة الاعمار، والصفوف في طوابقها الثلاثة مليئة بالنازحين، كل فصل لا يقل عدد المتواجدين فيه عن 05 فرداً، تشاهد ملابسهم منشورة ومعلقة على الشبابيك في لوحة تشكيلية تضم كل الألوان، لم يرسمها فنان، بل رسمتها تداعيات الحرب، والنكبة الجديدة للشعب الفلسطيني، كل زاوية في ممرات المدرسة مليئة بالخيام، وبينها ممرات توصل إلى مكتب الادارة، أو العيادة الطبية، تجولت بين الممرات حتى وصلت إلى مكتب الادارة المحاط بأسوار حديدية عليه بوابة حديدية، وجدت طابوراً طويلاً وزحاماً شديداً أمام مكتب الادارة، وحارس أمام البوابة الحديدية يصرخ في المتواجدين. سألت أحد الواقفين في الطابور، لماذا تقفون؟. قال: هناك مساعدات للنازحين من خارج المدرسة توزع علينا. وعرفت لاحقاً أنه في كل يوم بعد يوم يتم توزيع مساعدات قليلة على النازحين غير المقيمين في المدرسة، وهي عبارة عن علبة فول، أو علبة جبنة، أو علبة تونة، أو علبة فاصولياء، أو علبة لحمة، وغيرها من المساعدات التي تأتي عبر شاحنات الاونروا، ونصيب النازح من الخارج صنفين فقط وتلك الأصناف متغيرة كل يومين، وفي هذا اليوم كان التوزيع لعلبة جبنة وصنف آخر.

ومن أسوء معاناة يواجهها النازحون هي الدخول إلى الحمام لقضاء الحاجة، حمامات المدارس محدودة، فتجد أمامها طوابير من الرجال والاطفال والنساء يقفون في انتظار دخول الحمام، وأحياناً يتعاركون لمن الأولوية.

تشاهد في عيون النازحين حالة الذل والانكسار والجوع. غادرت المدرسة وأنا أشعر بالاختناق مما رأيته أمامي من مآسي ومعاناة حقيقية لشعب تخلى عنه العالم وتركه ليواجه مصيره منفرداً. خيام لا تقي من المنخفض الجوي القادم من عواصف وأمطار غزيرة، تغرق الخيام ويمكن أن تتطاير في الهواء، وتجرف السيول أماكن نومهم وأغطيتهم وأغطية أطفالهم. خيام من القماش والخيش والنايلون والاخشاب، وليست خيام مصممة لمواجهة الأعاصير والأمطار، ليس هناك أية جهة دولية أو حتى الاونروا وزعت عليهم خيام، بل هم صنعوها لكي يسترون على أنفسهم، ويحمون أطفالهم من البرد والمطر، فلم يعد لهم مكان آخر يذهبون اليه بعد أن فقدوا بيوتهم ودمرتها الطائرات الاسرائيلية.

الحياة في غزة أصبحت عبارة عن طوابير، طوابير أمام تعبئة المياه، طوابير أمام المخابز، طوابير أمام شحن البطاريات، طوابير أمام تعبئة اسطوانة الغاز، طوابير أمام مراكز التموين، طوابير أمام تلقي المساعدات. في كل طابور مئات الناس، ثمة طابور للرجال وطابور للنساء، ويتجاوز الطابور أحياناً نصف كيلو متر من أجل الحصول على جزء من مقومات الحياة.

ومن روايات الطوابير الغزاوية: أن أحد الأخوة اتفق مع أخيه أن يبقى في طابور الحصول على ربطة خبز، وهو سوف يذهب ليدفن أخيهم الآخر الشهيد.

في الطريق تشاهد بكل ألم آثار القصف والتدمير للمنازل والمحال التجارية، أكوام من الحجارة وأسياخ الحديد والركام منتشرة في وسط الشارع، منازل كانت قبل أيام عامرة بالسكان يرسمون أحلام مستقبلهم، قضى عليها صاروخ حرق أجسادهم وراكم طبقات البيت فوق رؤوسهم، مازال بعضهم تحت الأنقاض لم يستطع الدفاع المدني إنقاذهم.

تعود إلى البيت صامتاً والألم ينهش صدرك مما رأيت، تلقي بالحاجيات في المطبخ، وتعود إلى الكنبة تفتح الموبايل لتتأكد من وجود شبكة اتصال وانترنت لتطمئن على الأصدقاء والمعارف والأقارب ماذا فعلت بهم الحرب؟ أصبح الشعور بوجود الانترنت أغلى من وجود المياه لأنه مفتاحك على العالم لتعرف أخبار الحرب، وأين قصفت الطائرات، ومن استهدفتهم بالموت، وما البيوت التي قصفت، وكم أعداد الشهداء والمصابين، وما الآراء والمواقف المتباينة من الحرب، ومتى ستقف الحرب، السؤال الذي على كل لسان؟.

بعد الغداء يتجمع كل أفراد البيت في الصالون، كل يبحث في موبايله عن أخبار الحرب وصور وفيديوهات لما فعلته آلة الحرب من تغيير لمعالم غزة، فليس ثمة مجال للترفيه، بعد ساعتين أو ثلاث ساعات ينقطع الانترنت وشبكة الاتصال، ويعود الصمت والانقطاع عن العالم.

وتبقى طائرة الاستطلاع في سماء بيتك تعوي بصوت مزعج يثير الاعصاب، ويحول حياتك إلى قلق مما ينتظر مصيرك في سكون الليل.

ما زلنا نعيش الحياة في غزة التي أصبحت أقرب إلى الموت.

ملحمة طوفان الأقصى

مآزق الكيان الصهيوني وانتصار المقاومة المحتوم

نبيل فوزات نوفل

كاتب وباحث من سورية

لاشيء مستحيل أمام إرادة الشعب العظيم، هذا ما أثبته طوفان الأقصى فقد أثبت شعبنا العربي الفلسطيني في فلسطين عامة وفي غزة خاصة أنه شعب عظيم وإن إرادة الشعب لا تقهر من خلال صموده وبطولاته فقد قاتل بلحمه ودمه وتحدى أعتى آلات القتل والإجرام وأكبر ترسانة أسلحة متطورة في المنطقة مدعومة من دولة الإرهاب العالمية الولايات المتحدة الأمريكية، التي لم تكتف بالدعم بل شاركت بالقتال جنباً إلى جنب بكل إمكاناتها

وهذا ليس غريباً فقد بدأ الشعب الفلسطيني النضال والثورات وقدم التضحيات منذ الأيام الأولى للمشروع الصهيوني واندلعت الثورات ضد الغزاة والعمل الفدائي وطوفان الأقصى هو خطوة متقدمة على طريق النضال الفلسطيني حتى تحرير كامل فلسطين

ولقد ساهم طوفان الأقصى بنتائج انعكست على المنطقة، والعالم والكيان الصهيوني، والقضية الفلسطينية منها ما بدأ فعلاً ومنها ما هو متوقع في المستقبل ومنها:

1- أصبحت معركة طوفان الأقصى جزءاً من المعركة مع قوى الاستكبار العالمي، وهناك تنسيق بين الأطراف المقاومة والصديقة لإنجاح هذه المعركة، وكسر شوكة الكيان الصهيوني ومن ورائه من القوى الامبريالية وخاصة أمريكا وبريطانيا وفرنسا.

2-أعادت ملحمة طوفان الأقصى القضية الفلسطينية إلى مقدمة القضايا التي تواجه المجتمع الدولي ،بعد أن تراجع الاهتمام بها نتيجة تخاذل معظم الحكومات العربية ،كما أكد شعبنا العربي الفلسطيني استمرار تمسكه بحقوقه المشروعة وتصميمه على استرجاع حقه المغتصب ،مهما طال الزمن،

وأسقط المقولة الصهيونية التي فحواها:(إن الكبار من الفلسطينيين سيموتون والأطفال والشباب سينسون)، وأثبت أشبال فلسطين ورجالها ونسائها أنهم يزدادون تمسكاً بأرضهم وقدسهم وأقصاهم ودون ذلك أرواحهم ،وأكدوا للعالم أن شعباً يعشق الشهادة لا يمكن لأي قوة على وجه الأرض هزيمته، وهو لا يخوف أو يهدد بالموت ،فمن يطلب الشهادة لا يخاف الموت ،وأن معظم الشعب الفلسطيني هو مع خيار المقاومة والكفاح المسلح لأن العدو الإرهابي المتغطرس لا يفهم إلا لغة القوة. وعرى طوفان الأقصى مواقف السلطة الفلسطينية وأنظمة التطبيع والاستسلام في الوطن العربي، ولقد قدم الشعب الفلسطيني آلاف الشهداء معظمهم من الأطفال والنساء والشيوخ نتيجة الهمجية الصهيونية التي ارتكبت المجازر بحق المدنيين العزل.

3- أكدت ملحمة طوفان الأقصى أن الجماهير العربية في معظمها مع فلسطين والمقاومة بالرغم من تخاذل معظم الأنظمة العربية،وتآمر الجامعة العربيةوموقفهاالمخزيوالذليل،ولكنه في الوقت نفسه كان هناك أنظمة ما زالت داعمة للحق العربي ومصرة على استرجاع فلسطين وداعمة للشعب الفلسطيني وخاصة سورية والجزائر وتونس ومحور المقاومة وأطرافه المختلفة في سورية ولبنان والعراق واليمن وغير ذلك كما صعدت حركات المقاومة في سورية والعراق واليمن من أعمالها العسكرية ضد القواعد العسكرية الأمريكية في المنطقة وأطلقت الصواريخ والطائرات المسيرة على هذه القواعد وألحقت بها خسائر.

4-عرت ملحمة الأقصى الدول الأوروبية، وأثبتت ذيليتها وتبعيتها والتدهور الأخلاقي على الصعد كافة ، وسقطت أكذوبة الديمقراطية وحقوق الإنسان ،وأن الوجه الحقيقي للدول الأوروبية ،الوجه القبيح الاستعماري النازي العنصري، وتأكد الدعم اللامحدود لسياسات الغطرسة الصهيونية ،كما أكدت ملحمة طوفان الأقصى أن الغرب الاستعماري وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية لها مكيال واحد فقط هو الانحياز للكيان الصهيوني ومصالحها على حساب شعوب ومصالح دول العالم وشعوبها.

5-أكدت ملحمة الأقصى ضعف المؤسسات الدولية وتبعيتها للغرب الاستعماري،وهذه المؤسسات،خاصة ما يسمى الأمم المتحدة هي من وافق على قيام هذا الكيان المحتل الغاصب وتمارس من أجله العهر السياسي خدمة للولايات المتحدة الأمريكية والدول الاستعمارية.

6- أثبتت معركة طوفان الأقصى «إن هناك شرفاء وأحرار في العالم وفي مقدمتهم روسيا والصين وكوريا الشمالية وفنزويلا، وبوليفيا والكثير من دول أمريكا اللاتينية، الذين أدانوا تصرفات الكيان الصهيوني والدول الغربية وأبدوا استعدادهم لتقديم المساعدة للفلسطينيين ودعمهم ،وكان الموقف المميز والمشرف للجمهورية الإسلامية الإيرانية الداعم للمقاومة في المجالات المختلفة، وقدمت كل ما تستطيع لدعم القضية الفلسطينية، فعملت على حشد الطاقات كلها بالتنسيق مع القيادة المقاومة في الجمهورية العربية السورية لمواجهة الاحتمالات كلها.

7- كما بين طوفان الأقصى حالة الضعف للمؤتمر الإسلامي والدول الإسلامية، وتدهور أحوال هذه الدول وسيطرة الصهيونية والقوى الاستعمارية عليها، وكشفت ملحمة طوفان الأقصى الدور القذر والمتآمر للنظام التركي في دعم الكيان الصهيوني، وأنه كان يتاجر بحركة حماس واستغلها كورقة في عدوانه على سورية ،فقام أثناء العدوان الصهيوني على غزة بطرد قيادات حماس من تركيا ،وقدم المساعدات الغذائية للكيان الصهيوني .

8- أما انعكاسات ملحمة طوفان الأقصى على الكيان الصهيوني فقد ساهمت ملحمة طوفان الأقصى في التأثير على الكيان الصهيوني، وفقدان هيبته ،وزعزعة ثقة مستوطنيه بجيشه الإرهابي ،ودبت الذعر بين هؤلاء المستوطنين وانعكس ذلك على حالة الأمن وكان له آثار سلبية في المجالات المختلفة.فقدأسقطت ملحمة طوفان الأقصى نظرية الجيش الإسرائيلي الذي لا يقهر، وأكدت أن إرادة الإنسان أقوى من التكنولوجيا،وأثبتت هشاشة هذا الكيان ومقولة سيد المقاومة سماحة السيد حسن نصر الله بأن هذا الكيان أوهن من بيت العنكبوت، وتم أسر وقتل المئات من جنود الكيان الغاصب وفرار المستوطنين من أكثر من عشرين مستوطنة، وكذلك الخوف من حزب الله ،والهروب من المستوطنات القريبة من الحدود مع لبنان، وازدياد الهجرة المعاكسة والفرار خارج حدود الكيان، وضعف الانتماء لكيان الاحتلال، إضافة للخسائر الاقتصادية الكبيرة بسبب توقف العمل ونزول المستوطنين إلى الملاجئ وانتشار حالة الرعب والخوف التي عمت الكيان منذ قيامه حتى اليوم ،فهو لم يشهد معركة أذلته ومرغت أنفه كمعركة طوفان الأقصى، وسببت للكيان تدهوراً في الوضع الاقتصادي، حيث تعطل إنتاج اكثر من 300 ألف صهيوني التحقوا بالخدمة العسكرية ،وارتفعت الأسعار وعم الغلاء، وتوقفت الخطوط الجوية، وما تدره من أرباح ،وضرب قطاع السياحة وتدنت قيمة العملة الصهيونية، كما تبين هشاشة أجهزتها الأمنية وضعف جيشها في القتال البري فمثلاً بعد 18 يوماً من بدء عملية طوفان الأقصى استطاعت قوات النخبة في المقاومة في غزة من اقتحام قاعدة /زكيم /العسكرية، وتمكنوا من الاجهاز على جميع الجنود والضباط بداخلها، وهي صفعة كبيرة لجيش الاحتلال ،وهي منطقة استراتيجية بها مصفاة نفط ومحطة كهرباء ورسالة للعدو الصهيوني أن المقاومة قادرة على إلحاق الهزيمة بعقر الكيان، كيف إذا ما حاول دخول غزة برياً، وهذا دليل تماسك المقاومة وامتلاكها خططاً واضحة في المعركة.

لقد شن الكيان الصهيوني ليلة 2023/10/28م هجوماً برياً على غزة شارك فيه أكثر من مئة طائرة ومئات الدبابات وصنوف الأسلحة كافة، واستخدمت فيه القنابل المحرمة دولياً وغاز الأعصاب،واستهدفت المدنيين والأطفال والنساء والشيوخ ،واستشهد المئات من الفلسطينيين في غزة، لكن المقاومة البطلة بصمودها الأسطوري وتضحيات أبطالها صمدت وأفشلت العدوان وكبدت الكيان الصهيوني وجيشه خسائر فادحة ودمرت دباباته ،وأسرت الكثير من جنوده وبعض ضباطه وضباط أمريكيين ساهموا في الهجوم، وأسقطوا الهجوم البري الأول، مما أثار الانقسام والرعب داخل صفوف جيش العدو ،وبدأ بعضهم بالفرار وعدم الالتحاق بالخدمة، وساهمت المقاومة في جنوب لبنان بقيادة حزب الله بتوجيه ضربات كبيرة للكيان الصهيوني وجيشه وقواته وحققت إصابات كبيرة في صفوفه، وكانت أهميتها من حيث ردودها الاستراتيجية وأوجدت حالة من الرعب والذعر في صفوف المستوطنين والجنود الصهاينة، وأحدثت قلقاً لدى الدوائر الغربية من توسع الحرب لما له من انعكاسات على المصالح الأمريكية والغربية في المنطقة، وكان لعمليات حزب الله دور هام أيضاً حيث شكل قوة ردع للكيان الصهيوني إذا ما فكر في مهاجمة لبنان، كما دخلت المقاومة العراقية على خط المواجهة وقصفت القواعد الأمريكية في العراق وسورية ،وكذلك المقاومة اليمنية البطلة التي قصفت الكيان الصهيوني بالصواريخ البالستية فعززت من إرباكه، ودعمت المقاومين في غزة. وخطفت له سفينة ومنعت أي سفينة من العبور للكيان الصهيوني ما شكل حصارا له وعرقل الامدادات له، فبعد مرور أكثر من ثلاثة أشهر على بدء معرة طوفان الأقصى ما زال المقاومون يلحقون الهزيمة تلو الهزيمة بالكيان الإرهابي ولم يستطع هذا الكيان تحقيق اي شيء من أهداف حربه فوقع في مأزق كبير هو وداعميه وأخذت الحرب مناحي جديدة قد تتوسع لكل المنطقة بل العالم خاصة بعد شن أمريكا حرباً على اليمن وقصف قواته مباشرة فبدأت حرب الممرات المائية التي لن تثني اليمن عن أهدافه في منع السفن الصهيونية والأمريكية وهذا ما سيلحق خسائر كبيرة في الاقتصاد الأمريكي والصهيوني ويسبب لازمة اقتصادية كبيرة ،إن الكيان الإرهابي يثبت عجزه اليوم في قيامه باغتيال بعض قادة المقاومة ،وهذا لن يزيد المقاومة إلا تصميماً على بالمقاومة.

وقد قال يوسي كوهين رئيس الموساد السابق في مقال في صحيفة هآرتس:

«إن التهور المسعور لبيبي وغانتس قد حولنا في نظر العالم من ضحية إلى مجرمي حرب ومن أصحاب حق إلى قتلة أطفال وهو في تقديري تماماً ما كان تحلم به حماس ومحور الشر من خلفا اليوم بعد ثمانين يوماً من الأخطاء والتقديرات الغير مدروسة تجد دولة إسرائيل لأول مرة منذ ال48 في صراع وجود واللاوجود نعم يابني وطني اللاوجود أنا سأكون أول من يعلق الجرس وليسمعني جميع بني وطني إذا استمر هذا الفريق في قيادتنا فنحن عائدون إلى بولندا وروسيا وبريطانيا وأمريكا ذلك إذا سمحوا لنا بالعودة وتابع قائلاً:

على القيادة السياسية ان تبدأ فورا باتخاذ قرارات صعبة تبدأ بوقف فوري للحرب وإعادة أبنائنا الاسرى الى عائلاتهم وحتى على حساب

إفراغ السجون والدعوة لانتخابات سريعة لتشكيل حكومة وحدة وطنية على القيادة السياسية أن تتحمل الثمن اليوم وسوف يتحمل جميع بني إسرائيل الثمن ولن يبقى من حلم الدولة اليهودية إلا أحاديث الذكريات ونحن نحتسي القهوة».

إن قيام المقاومة بضرب القواعد العسكرية الأمريكية في المنطقة سيؤثر على الوجود الأمريكي وعلى الوضع الداخلي الأمريكي وعلى علاقة أمريكا بدول المنطقة مما يساهم في خروج أمريكا عسكرياً منها، وهذا يعزز القرار السيادي لدول المنطقة.

9- ستساهم ملحمة الأقصى في تسريع إقامة شرق أوسط جديد خال من الهيمنة الأمريكية، وتعزيز سيادة شعوب المنطقة، وإضعاف دور الرجعيات العربية في التآمر والصمت عما يجري في غزة

10 - أكدت أن المقاومة في غزة تملك عوامل قوة كثيرة أهما: الشعب العظيم ،الذي يملك عقيدة الاستشهاد، والتسابق إلى الشهادة ،وهي سلاح نوعي لا يملكه العدو ، لأنه نابع من العقيدة الدينية لهذا الشعب العظيم ،كما أن المقاومة تدافع عن قضية عادلة، وهناك فرق كبير بين من يدافع عن الحق وبين من يدافع عن الباطل ،لذلك فالحق منتصر والباطل مهزوم ،خاصة إذا امتلك الشعب الإرادة كما الشعب العربي في غزة، وكما تمتلكها قوى المقاومة ، وتملك المقاومة في غزة الأرض، والتي عرفت كيف تستخدمها في الحرب، وحفر الخنادق تحت الأرض ،وأخذ الاحتياطات اللازمة والاحتمالات كافة، وهي تعمل على جر العدو لحرب برية، وبالتالي ستوقعه في مصيدة كبيرة حيث ستخرج سلاح الجو من المعركة وتصبح مقاوم مقابل جندي وطبيعي أن ينتصر المقاوم.

11- أكدت إن المعركة اليوم في فلسطين هي للأخذ بالثأر لكل شهداء الأمة العربية ولكل شهيد قضى دفاعاً عن فلسطين وعزة وشرف الأمة، وهي معركة الإنسانية ضد الهمجية، وها هم أحرار العالم يقفون مع المقاومين الفلسطينيين وسورية وإيران وحزب الله وكل أطراف المقاومة، إنها معركة الكرامة والوجود والعزة ودماء الشهداء لن تذهب هدراً، بل ستعيد فلسطين كل فلسطين وسيزول هذا الكيان الدخيل ،لأنها معركة الحق ضد الباطل.

12-بدأ الرأي العام العالمي يتفهم حق الشعب الفلسطيني ويكتشف الجرائم والمجازر التي يرتكبها النظام العنصري في فلسطين، حتى في البلدان التي تؤيد وتدعم هذا الكيان، وأخذت صورة الصهيوني القبيح النازي تنتشر لدى معظم شعوب العالم، ويزداد التأييد للقضية الفلسطينية.

نحو تعزيز الانتصار والمقاومة

إن المطلوب من كل عربي شريف، وكل مسلم شريف، أن يعمل على:

1- إيقاف العدوان على غزة وإيقاف المجازر تجاه الشعب العربي في غزة وفلسطين، والعمل على انتصار المقاومة في فلسطين ،لأن انتصار المقاومة في فلسطين هو انتصار لكل فلسطين ولكل شعوب المنطقة.

2- مقاطعة البضائع الأمريكية ،لأنه في شراء البضائع الأمريكية يدعم الصهاينة ،ويقتل الشعب الفلسطيني بشكل غير مباشر، ويساهم في ذبح أطفال ونساء فلسطين، فعلى سبيل المثال لا الحصر ،يقوم العرب والمسلمين يومياً بشراء سجائر من شركة مليورو الأمريكية لصاحبها اليهودي بقيمة مئة مليون دولار ويتبرع يومياً للكيان الصهيوني بنسبة 12%، أي يقدم العرب والمسلمون فقط من شرائهم المالبورو، للكيان الصهيوني 12 مليون دولار يومياً ،وإذا علمنا أن سعر طائرة الف16 حوالي خمسين مليون دولار أي يقدم العرب والمسلمين كل أربعة أيام طائرة مجاناً للكيان الصهيوني, هذا جزء بسيط مما يقدمونه من شراء البضائع الأمريكية وخاصة الأسلحة وغيرها، أي أنهم يدعمون هذا الكيان ليقتل شعبنا ،وبالتالي فإن مقاطعة البضائع الغربية عامة والأمريكية خاصة واجب وطني وديني وإنساني.

3- كما على منظمات المجتمع الأهلي العربية التنسيق وإقامة حملة للتواصل مع المنظمات المدنية في المجتمعات العالمية لفضح وتعرية الأعمال الإرهابية والمجازر التي أرتكبها الكيان الصهيوني بحق أهلنا في غزة، وإقامة دعاوى أمام محكمة العدل الدولية موثقة بالجرائم التي ارتكبت بحق قادة هذا الكيان.

4- التكاتف والتعاون بين وسائل الإعلام العربي والإعلام المقاوم لفضح كل ما يقوم به هذا الكيان الغاصب، ومطالبة المجتمع الدولي بإعادة وصف هذا الكيان بالكيان العنصري وطرده من الأمم المتحدة.

5- التواصل مع كل القوى التقدمية في العالم للضغط على حكوماتها لقطع علاقاتها مع هذا الكيان، وعلى جماهيرنا العربية، والشعوب الإسلامية، ممارسة الضغط على حكوماتها لقطع العلاقات مع هذا الكيان وطرد السفراء الصهاينة.

6-تقديم المساعدات المادية لإعادة بناء ما دمره الغزاة، من مشافي، ومدارس، وبنية تحتية خدمية والاهتمام بالجرحى، وأسر الشهداء. وإدخال المساعدات عن طريق مصر بقوة السلاح إذا مانع الكيان الصهيوني إدخالها.

7-استخدام سلاح النفط والغاز ومنع تصديره للدول الداعمة للعدوان على غزة.

8-قطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية وسحب السفارات وطرد سفراء الدول الداعمة للعدوان

إن المقاومة في غزة أكثر تصميماً على متابعة التحدي وتلقين الغزاة الصهاينة الضربات ثأراً لدماء الأطفال والنساء والشيوخ العزل، ولن تنجح محاولات الصهاينة النيل منها وهي اليوم بعد الهدنة تزاد صلابة وإصرارا على اطلاق كل الأسرى ،وتحقيق المطالب المشروعة للشعب العربي الفلسطيني.

على أي حال، قد أفشلت ملحمة طوفان الأقصى المخطط الصهيوني الأمريكي الرجعي العربي، وإذا لم تستطع تحرير فلسطين، فإنها أسست للمعركة الكبرى، التي لا فرار منها، والتي ستزيل هذا الكيان الغاصب من الوجود، وعززت الأمل لدى الشعب العربي والقوى المقاومة بالنصر والتحرير. لذلك فالنصر لن يكون إلا لصالح المقاومة، وفي حال توقفت الحرب نتوقع أن يستفيد المقاومون من هذه الانتصارات، وأن يستثمروا هذه الانتصارات الكبيرة، كي لا تذهب دماء شهداء القدس وفلسطين هدراً، وفي مقدمتها إطلاق سراح الأسرى جميعاً من دون استثناء، وستجعل الكيان يحسب ألف حساب في حال أراد مهاجمة قوى المقاومة.

إن الكيان يعيش أزمة ومأزق خطير وملحمة الأقصى بداية زواله.

طوفان الأقصى..

زلزلة الواقع وزلزلة المفاهيم

يوسف كفروني
أكاديمي وباحث سياسي/ لبنان

فشل الكيان الصهيوني في تحقيق أي إنجاز عسكري في حرب الإبادة التي يشنّها على غزّة، بالرغم من مرور أكثر من ثلاثة أشهر على عدوانه ردا على عملية المقاومة الفلسطينية طوفان الأقصى في السابع من تشرين الأول 2023

ويستمر في رد انتقامي مجنون يستهدف قتل وإبادة المدنيين: الأطفال والنساء والشيوخ والمواليد الجدد، وتدمير المنازل والكنائس والجوامع والمدارس والمستشفيات.

يرتكب الصهاينة مجازر لا سابق لها في تاريخ البشرية، مجازر تخالف كل الأعراف والقيم الإنسانية وتخالف القوانين الدولية وتستوجب الملاحقة والمحاكمة. وكل هذا أمام صمت الدول الغربية ودعمها بالأساطيل والسلاح والخبراء والمستشارين والمرتزقة. وتقوم الإدارة الأميركية بالدور الأكبر وكأن الحرب فعليا هي الحرب الأميركية على غزّة وليس فقط حرب الكيان الصهيوني، وتستخدم حق الفيتو ضد قرار غالبية الدول لمنع وقف العدوان والجرائم الصهيونية ضد سكان غزة المدنيين.

أكثر ما يحزّ في النفس هو صمت بعض الدول العربية أمام ما يجري وعدم اتخاذ أي خطوة ضد الكيان الصهيوني، لا بل تستمر في مسار التطبيع ويشترك بعضها في دعم العدوان.

زلزلة طوفان الأقصى

السابع من تشرين الأول تاريخ عملية طوفان الأقصى هو محطة فاصلة في تاريخ الصراع مع العدو الصهيوني، لن تتوقف ارتدادات زلزاله على الكيان الصهيوني وحده بل ستشمل الإرث الاستعماري في المنطقة العربية وتزايد الوعي العالمي لدى الشعوب وخاصة شعوب الدول الاستعمارية التي بدأت تدرك النفاق والتضليل الإعلامي لحكوماتها وعدالة قضيتنا والظلم اللاحق بنا من السياسات الاستعمارية ومن وكيلها في المنطقة الكيان الصهيوني.

قبل طوفان الأقصى تمادت الغطرسة الإسرائيلية إلى أبعد الحدود وازداد تهافت المطبعين العرب مع الكيان الصهيوني وازداد التشرذم في المجتمعات العربية وجرى طمس الهوية القومية وترسّخت الهويات الكيانية التي أرساها الاستعمار الغربي وجرى العمل على زيادة تقسيمها إلى هويات عرقية وعشائرية وطائفية ومذهبية.

وعاد الاستعمار الغربي بوجهه الأميركي ليدمر العراق جيشا ومجتمعا ويستكمل حربه بفوضى الربيع الذي دمّر المجتمعات العربية وباستغلال الدين الإسلامي وتشويهه بخلق تنظيمات دينية متطرفة تعمل وفق مصالحه وأجندته السياسية. والعمل المتواصل على إحداث فتنة سنية شيعية وتحويل العداء باتجاه إيران بدل الكيان الصهيوني. وكما عمل الاستعمار الغربي على تقزيم اسم سورية التاريخية عمل الاستعمار الاستيطاني الصهيوني على شطب اسم فلسطين سورية الجنوبية من خلال الإعلام الغربي الداعم له، وعمل من خلال مستوطناته على تمزيق الواقع الفلسطيني ومنع تواصله العمراني ووحدة حياته. وتحوّل الفلسطينيون في فلسطين التاريخية إلى شبه أسرى في

منعزلات غير مترابطة خاضعين للاحتلال العسكري الصهيوني محرومين من الحقوق معرّضين في كل وقت للاضطهاد والتشريد والمصادرة والسجن والقتل.

حمل طوفان الأقصى خمسة وسبعين عاما من قهر وإذلال الاستيطان الصهيوني وجرائم الإبادة والتهجير والتشريد، يضاف إليها أكثر من ربع قرن من تآمر الاستعمار الغربي من سايكس بيكو إلى وعد بلفور لتثبيت الكيان الصهيوني والسعي لإلغاء وجودنا القومي والحضاري المتواصل منذ ما يقارب العشرة آلاف سنة.

استفاد المقاومون من تجارب الخبرات السابقة ومن التقدم العلمي والمعرفي في بناء القدرات القتالية وتطويرها، وعملوا على تنقية المجتمع الداخلي من العملاء والجواسيس، ومضوا بالعزيمة والإيمان يستهزئون بالموت.

لذلك جاء طوفان الأقصى زلزالا فاجأ الكيان الصهيوني وجيشه واستخباراته ومراصده وتقنياته،

وأسقط هيبته وقوة ردعه بنقل المعركة إلى داخله، وأحدث رعبا كبيرا داخل المجتمع الإسرائيلي الذي ظهرت هشاشته وتفككه وانعدام جذوره.

الزلزال الذي أحدثه طوفان الأقصى زعزع الواقع وعرّى المفاهيم.

زعزع واقع الكيان الصهيوني وواقع المجتمعات العربية وأحدث تحولا كبيرا في الرأي العام العالمي، وكشف الأقنعة عن زيف المفاهيم التي يتغنى بها الغرب: مفاهيم الحرية والديمقراطية وحقوق

الإنسان وحقوق المرأة والطفل والقوانين والقرارات الدولية والمجتمع الدولي، والقيم الإنسانية التي صاغتها تجارب البشر والحضارة الإنسانية عبر آلاف السنين.

سقوط دور ووظيفة الكيان الصهيوني

للكيان الصهيوني وظيفتان: الأولى هي وظيفة القاعدة والحامية للإمبراطورية الغربية وممثل لها في المنطقة العربية، والوظيفة الثانية هي أمن اليهودي الذي لا يتأمن إلا في دولة يهودية والهيمنة

المستندة إلى أفكار مغرقة في العنصرية ترجع في جذورها إلى نصوص توراتية وتلمودية ما تزال مقدسة عند البعض.

سبقت الصهيونية المسيحية الصهيونية اليهودية بثلاثة قرون، وقد نشأت في بريطانيا مع تحولها إلى إمبراطورية عظمى وذلك في أوساط قادة عسكريين ورجال دين دعوا إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين تشكل قاعدة وحامية للحضارة الغربية، وانتقلت هذه الصهيونية المسيحية

إلى أميركا حيث تمت رعايتها وزاد نفوذها. وتنظر الإدارة الأميركية بكل أحزابها إلى الكيان الصهيوني بصفته قاعدة وحامية للإمبراطورية الأميركية.

ونشأت الصهيونية اليهودية في منتصف القرن التاسع عشر وأعلنت رسميا أواخر هذا القرن مع تيودور هرتزل في مؤتمر بال في سويسرا.

أضاف هرتزل إلى وظيفة القاعدة والحامية وظيفة خاصة باليهود، وهي أن اليهودي هو إنسان مضطهد في أي بلد يكون فيه لذلك عليهم أن يعيشوا في بلد خاص بهم، وبعد أن استقر الرأي على فلسطين لاعتبارات دينية جاذبة لليهود أكثر من أي مكان آخر، أصبحوا انطلاقا من النظرة اليهودية المغلقة يفكرون ويخططون لدولة عظمى تتجاوز حدود فلسطين لتشمل من الفرات إلى النيل، الهلال الخصيب، والبعض ذهب لأبعد من ذلك ليصل إلى أرض الحجاز.

بعد حرب 1973 تركّزت الخطة الصهيونية على ضرب المجتمعات العربية لتفتيتها على أسس دينية وعرقية ومذهبية. وقد حققت الخطة نجاحا كبيرا خاصة في حرب لبنان وفي تأجيج الصراعات المذهبية خاصة الصراع السني الشيعي.

لقد استطاعت عملية طوفان الأقصى أن تظهر ضعف الكيان الصهيوني وضعف قوة ردعه وإمكانية هزيمته التي بدأت مع اضطراره للانسحاب من لبنان عام 2000 وفشل حربه ضد المقاومة 2006

وانكشف ضعفه الأكبر في عملية طوفان الأقصى مما استدعى تدخلا مباشرا من أميركا والدول الغربية، وظهر فشله بشكل كبير بعد عجزه عن تحقيق أي هدف من أهدافه رغم حرب التدمير والإبادة على غزّة.

لقد استنفد الكيان الصهيوني وظيفته كقاعدة وحامية عسكرية وكشرطي للدولة الإمبراطورية في المنطقة العربية.

الفشل الثاني لوظيفة هذا الكيان هو عدم تحقيق الأمان لليهودي في الدولة المزعوم أنها المكان الوحيد لأمانه.

اليهودي اليوم يشعر أنه بأمان في أي دولة إلا في دولة الكيان الصهيوني، لذلك فسيل الهجرة المعاكسة بازدياد ولن يتوقف. والحلم الصهيوني بدأ يتحول إلى كابوس، والأمان لن يتحقق للصهاينة حتى يعودوا من حيث جاؤا هم أو أسلافهم، فهم ليس لهم جذور في أرض فلسطين بل جذورهم هي

حيث مقابر أجدادهم في الدول الأوروبية والأميركية ومن حيث أتوا، وجوازات سفرهم الأوروبية أو الأميركية جاهزة في جيوبهم.

تعرية المفاهيم العنصرية

لطالما تغنت الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأميركية، بالديمقراطية وحقوق الانسان وحقوق المرأة والطفل وحرية التعبير والعمل على محاسبة من ينتهك بزعمهم هذه الحقوق.

جاء طوفان الأقصى ليفضح هذه المزاعم وشاهد العالم كله صمت الحكومات الغربية وخاصة الإدارة الأميركية على جرائم الإبادة التي ترتكب بحق المدنيين العزل من أهل غزة. ولم يكتفوا بالصمت بل استمروا بدعم جرائم الكيان الصهيوني، ومحاسبة من يتظاهر ضده ويعترض على ممارساته.

الإعلام الغربي كان منحازا للعدوان الصهيوني ومبررا لكل الجرائم المرتكبة ضد المدنيين.

هنا برزت أهمية الإعلام العسكري للمقاومة في تبيان فشل العدو وحجم خسائره، ولعب الصحفيون دورا كبيرا في فضح الجرائم الصهيونية لذلك تم اغتيال المئات منهم.

ولعبت مواقع التواصل الاجتماعي دورا كبيرا في فضح هذا الإعلام الغربي وأحدثت انقلاب الوعي في المجتمعات الغربية، حيث عبرّت شعوبها على رفضها لسياسات حكوماتها بعد مشاهدتها للتطهير العرقي والإبادة التي يقوم بها الصهاينة ضد أهل غزة، وبعد تأكدها من ازدواجية المعايير الغربية في التعامل مع حرب أوكرانيا وحرب الإبادة في غزة. وبعد سماعهم لأقوال وزراء وحاخامات ومسؤولين في الكيان الصهيوني يصرحون بدون خجل: « يجب ضرب قنبلة نووية على غزة»،

«يجب تدمير غزة وتهجير سكانها»، «يجب قتل الجميع بدون شفقة»، «الفلسطينيون وحوش وبهائم»،

« نحن لا نعترف بالقانون الدولي لنا قانون التوراة»، « يجب سحق رؤوس الأطفال على الصخر».

هذه الأقوال وغيرها من الأقوال العنصرية هي صدى لنصوص توراتية وتلمودية موجهة ضد كل من هو غير يهودي، وهذه النصوص التي يرد ذكرها كتاب ومسؤولون ورجال دين ليست مجرد نصوص تاريخية لمرحلة مضت بل هي نصوص يستعاد إحياؤها من قبل مجموعات واسعة من اليهود الصهاينة، وهي تمثل خطرا حقيقيا ليس على الفلسطينيين والشعوب العربية فقط بل على كل شعوب العالم.

«يكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك، بالوجوه إلى الأرض يسجدون لك، ويلحسون غبار رجليك» إشعياء 23:49

«طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة» مزمور 9:137

«اقتل رجلا وامرأة، طفلا ورضيعا» صموئيل الأول 15:3

من يقرأ سفر يشوع بن نون في العهد القديم من الكتاب المقدس يجد تكرار الأوامر الإلهية بالإبادة لجميع السكان دون تمييز بين طفل ورضيع وامرأة وشيخ.

هذه الثقافة العنصرية الإجرامية لا تزال متبعة عند كثير من الصهاينة اليهود والصهاينة المسيحيين.

وهي تمثل خطرا حقيقيا يجب العمل على إزالته، فإذا كان الصهاينة يتدخلون في المناهج التربوية الإسلامية لتعديل بعض الآيات والأحاديث المتعلقة بنظرة سلبية إلى اليهود ولكنها لا تدعو إلى إبادتهم أو قتلهم أو اضطهادهم، فكيف يجب التعامل مع النصوص التوراتية والتلمودية الموجهة ضد كل الناس وتدعو للتسلط والهيمنة والقتل والإبادة.

وحدة الساحات وإسقاط الفتنة السنية الشيعية

عملت أميركا ومعها الكيان الصهيوني على إشعال العصبيات المذهبية والعرقية في العالم العربي وكان التركيز بشكل كبير على الصراع السني الشيعي، ورصدت المليارات من الدولارات لذلك جندّت إعلاميين ووسائل إعلام وأحزاب من الجهتين لتأجيج هذا الصراع.

طوفان الأقصى قامت به قوى تنتمي للطائفة السنية وصرحت علنا بأن الدعم بالمال والسلاح والتدريب والخبرات جاء من قوى تنتمي للطائفة الشيعية. وبعد الهجوم البري على غزّة جاء الدعم للمقاومين بفتح جبهات من لبنان والعراق واليمن، حيث القوى الفعلية في هذه الساحات هي بمعظمها

من الطائفة الشيعية، وجاء الالتفاف الشعبي نصرة لأهل غزة من جميع الشعوب العربية على اختلاف طوائفها.

وبذلك يكون طوفان الأقصى قد ساهم بشكل عملي بوأد الفتنة السنية الشيعية، وتأتي وحدة الساحات لتؤكّد على وحدة الحياة ووحدة الشعب في المنطقة التي تشمل بالغالب بلاد الشام والعراق أو ما يعبر عنه بسوراقيا أو سورية الطبيعية أو الهلال الخصيب. وتشكّ ل وحدة الساحات هذه بداية الرد على سايكس بيكو الذي قسّم هذه المنطقة 1916 ليسهّل تمرير وعد بلفور المقدمّة الضرورية لإقامة كيان الاغتصاب الصهيوني وتهديد المنطقة العربية بمجملها وإرباكها باستمرار لتبقى في حالة التخلّف والتبعية وللسيطرة على مواردها وخيراتها.

أخيراً تبقى فلسطين بوصلة السياسة والأخلاق ودليل الإنسانية.

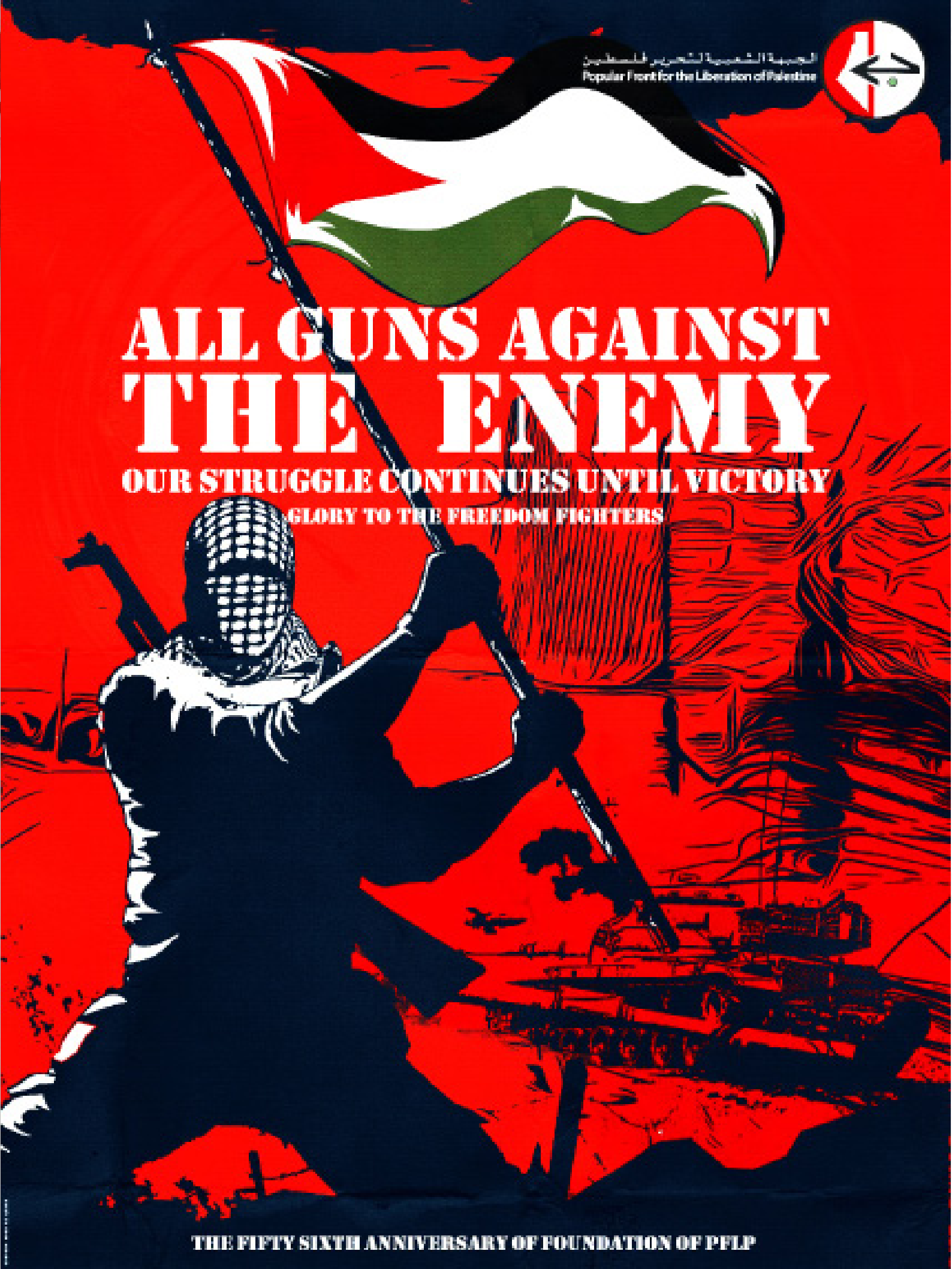
الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين
Popular Front for the Liberation of Palestine
ALL GUNS AGAINST
THE ENEMY
OUR STRUGGLE CONTINUES UNTIL VICTORY
GLORY TO THE FREEDOM FIGHTERS
THE FIFTY SIXTH ANNIVERSARY OF FOUNDATION OF PFLP

طوفان الأقصى

قراءة في المخططات والسيناريوهات الأميركية

محمد أبوشريفة

كاتب سياسي فلسطيني/سورية

يبدوا أن ما تمر به المنطقة في خضم الأوضاع الإقليمية الراهنة هو الأخطر منذ وعد بلفور قبل أكثر من مائة عام وفي هذا السياق شهدت المنطقة في الآونة الأخيرة تحركات دولية مكثفة ابتداء من زيارات متكررة لمبعوثين أميركان وغربيين في الأشهر الأربعة الماضية إلى اجتماعات المسؤولين على كافة المستويات الدبلوماسية والأمنية والعسكرية.

وتداولت أوساط اقليمية مطلعة حول فحوى الاجتماعات التي تجاوزت العرف الديبلوماسي في بعض الأحيان بإخبار وتبليغ الأطراف عن معلومات خطيرة ربما تداهم بعض الدول من جراء ما يحدث في غزة. وخطابهم للدول المعنية ان « إسرائيل تمر بأزمة وجودية حقيقية وبنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي بات يفقد توازنه بسبب عجزه عن تحقيق ما وعد شعبه به من القضاء على حماس وتحرير الرهائن، وهو يحتاج إلى تحقيق إنجاز نوعي يعود بعده إلى الإسرائيليين لإعادة الثقة ورفع المعنويات»

وبحسب المبعوثين سيكون هذا الإنجاز ربما في دول الجوار أو في الخليج. فالمعلومات الغربية تقول إن إسرائيل ربما ستتوصل في نهاية المطاف إلى وقف إطلاق نار شبه مستدام مع حماس وتحرير المزيد من الرهائن، وسيتجه بعدها نتنياهو إلى الضغط تفاوضيا وإذا لم ينجح فعسكرياً، لإبعاد خطر قوى المقاومة عن حدوده الشمالية مسافة 50 كيلومتراً.

وكان مدير المخابرات الأمريكية CIA ويليام بيرنز يحمل أثناء تجواله وإشرافه على المفاوضات الدائرة في الدوحة مخططا أميركيا تم الإعداد له بالتعاون مع دوائر صنع القرار في دول عربية وإقليمية يتضمن المخطط ورقة عمل حول مستقبل القضية الفلسطينية وضرورة إنهاء هذا الصراع الذي أصبح بقائه يهدد المصالح الاستراتيجية الأميركية ويهدد وجود الكيان الاسرائيلي من الأساس، وأبرز ما يتضمنه المخطط:

1- تغيير شامل للقيادات السياسية والأمنية والعسكرية الإسرائيلية عبر إجراء انتخابات مبكرة في مدة أقصاها شهر آذار/ مارس 2024 ويبقى مصير نتنياهو شأنا إسرائيليا داخليا يختص به القضاء الإسرائيلي.

2-تغيير شامل للقيادات الفلسطينية السياسية والأمنية التغييرات ستطال حركة فتح وأحزاب منظمة التحرير الفلسطينية وإقالة كامل أعضاء اللجنة المركزية والمجلس الثوري لحركة فتح وانعقاد مؤتمر لحركة فتح في مدة أقصاها نيسان/ابريل 2024 وفق النظام الداخلي المعمول به داخل الحركة.

3- انعقاد الانتخابات الفلسطينية العامة التشريعية والرئاسية بمشاركة القدس الشرقية في مدة اقصاها تشرين أول/اكتوبر 2024 بمشاركة كافة القوى الفلسطينية.

4- إبرام صفقات لتبادل الأسرى في موعد أقصاه شباط/فبراير 2024 تشمل قيادات من مختلف القوى والأحزاب الفلسطينية.

5- اقتراح حزم اقتصادية هامة لإعادة اعمار غزة بإشراف كامل للأمم المتحدة.

6- فترة انتقالية تبدأ من شهر كانون الثاني/يناير 2024 تستمر لموعد أقصاه تشرين أول/اكتوبر 2024.

8- يعقد المجلس الوطني الفلسطيني في شهر تشرين الثاني/نوفمبر 2024 وكل عضو مجلس تشريعي فائز هو تلقائيا عضوا في المجلس الوطني ويكون تعيين أعضاء المجلس الوطني الجدد من قوائم تعدها القوى الفلسطينية نسبة وتناسب مع عدد المقاعد التي حصلت عليها في الانتخابات التشريعية من غير انتخاب بل يعينون من احزابهم.

9- يكون للمجلس التشريعي الفلسطيني صلاحية تعديل النظام الأساسي الفلسطيني المعدل سنة 2003 وبموجبه سيتم إلغاء منصب رئيس الوزراء وتحويل النظام السياسي الفلسطيني إلى نظام رئاسي-برلماني مشترك بموجبه ستزداد صلاحيات المجلس التشريعي الرقابية مع تحديد صلاحيات لرئيسه وتحديد صلاحيات لنائبه.

10 ـ خطة إعادة انتشار يتضمن تفكيك مستوطنات وتبادل أراضي وحل نهائي للقدس الشرقية يتضمن وجود قوات دولية من 7 دول تتبع الناتو ودول من خارج الناتو تحت إشراف الأمم المتحدة لتكون جهات دولية رقابية وضامنة منها قوات من ثلاثة دول اسلامية هي ماليزيا وتركيا والأردن وقوات ايطالية وفرنسية والمانية وإسبانية.

11- انشاء غرفة عمليات أمنية أمريكية مصرية اردنية فلسطينية اسرائيلية بمشاركة قطرية سعودية يكون مقرها الرئيسي بالقاهرة وتعقد اجتماعات دورية أسبوعيا.

12- تشكيل لجنة اقتصادية اسرائيلية فلسطينية عليا.

13- انشاء 4 مدن صناعية كبرى في الخليل والخان الأحمر وطوباس وجنوب غزة.

14- تشكيل لجنة دولية تسمى بلجنة التوافق تبحث وضع اللاجئين الفلسطينيين في دول الطوق واي دولة اخرى فيها لاجئين فلسطينيين بلا حقوق مدنية أو سياسية أو اقتصادية.

وعلى وقع هذه المخططات بدأ وزير الخارجية الأميركية انتوني بلينكن مؤخرا جولة جديدة ابتدأها بتل ابيب (2024/1/9) مرورا بعدة محطات واختتمها في القاهرة (2024/1/11) والتي أعلن فيها عن وصفة سحرية لعلاج أزمات المنطقة فحواها «عزل ايران» ، والإرشادات الواجب اتباعها للاستخدام الأمثل لهذه الوصفة هو التقارب بين (اسرائيل) والدول العربية. وبالتالي يمكن استنتاج أن الهدف من الجولة الأميركية ليست غزة ومجريات القضية الفلسطينية بل ايران وما تشكله من خطر على نتنياهو. واللافت أن طرح موضوع التقارب الإسرائيلي البعض عربي تحت عنوان «عزل ايران» في هذا الظرف الدموي يشير إلى حقيقتين الأولى فشل بلينكن في جولته الإقليمية، والثانية عدم نضوج الرؤية الأميركية في قراءة الحال بين الحكومات العربية المطبعة وبين شعوبها وما سيشكله ذلك من حرج شديد بسبب ما ترتكبه إسرائيل من جرائم إبادة وعدوان ضد الإنسانية ناهيك بدخول (اسرائيل) قفص الاتهام أمام محكمة العدل الدوليّة. لذلك تحاول الخارجية الأميركية أن تنقل صفة العزل عنها بالمنطقة بسبب سياساتها ودعمها اللامحدود لإسرائيل إلى إيران مع التأكيد على فوائد العلاقات العربية الاسرائيلية في التوقيت الحساس الذي يواجهه كيان الاحتلال.

لا شك بأن جولة خارجية البيت الأبيض تناولت موضوع غزة لكن من زاوية العقيدة الأمنية الإسرائيلية وبما يضمن استمرارها بالعدوان على القطاع. وأيضا بحث مع الأطراف المعنية حسب تصريحاته موضوع وقف إطلاق النار في غزة وتبادل الأسرى وما هو شكل «اليوم التالي» والسيناريوهات والخطط المقترحة والإعلان بأن غزة والضفة الفلسطينية يجب أن تكونا متحدتين تحت قيادة فلسطينية وليس دولة فلسطينية. وقال بلينكن وفق وسائل إعلام بأن «زعماء الدول التي زارها في هذه الجولة الشرق أوسطية اتفقوا على مساعدة غزة في الاستقرار والتعافي ورسم مسار سياسي مستقبلي وأنهم مستعدون لتقديم الالتزامات اللازمة لاتخاذ القرارات الصعبة لتحقيق الأهداف».

يدرك بلينكن بأن ائتلاف نتنياهو الحكومي يعيش اسوأ حالاته سياسيا وعسكرياً ولم يعد لديه القدرة على الصمود أكثر في وجه المقاومة التي تثبت بعد أكثر من مئة وعشرين يوما أنها صامدة ولديها القدرة على الاستمرار رغم كل المجازر الدموية وحرب الإبادة التي يمارسها الاحتلال الاسرائيلي . لذلك تتبنى إدارة بايدن انقاذ (اسرائيل) من مستنقع فيتنام –غزة بتقديم ضمانات بقاء هذا الائتلاف الحكومي العنصري المتطرف من خلال الدعم المفتوح له وتأمين جسور الإمداد برا وبحرا وجوا. خاصة أن الرئيس الأميركي جو بايدن يأمل بإحكام السيطرة على الانتخابات الرئاسية الأمريكية المقبلة ولا يترك مجالا لنتنياهو بأن يكسب الرهان بفوز حليفه ترامب من خلال اللوبيات الداعمة للسياسة الإسرائيلية في الولايات المتحدة. فالحزب الديمقراطي يواجه تعارضات وتناقضات شديدة بسبب سياسة بايدن وموقفه من الأزمة والتي امتدت ظلالها إلى داخل الكونغرس ودوائر صنع القرار الأميركي.

الوصفة السحرية «العزل» التي أطلقها وزير الخارجية الأميركية لا تعدوا كونها إعادة تلميع الوجه البشع لسياسات البيت الأبيض التي مارستها على دول المنطقة وشعوبها منذ احتلالها للعراق وتدمير مقدراته وقتل وتشريد الملايين والترويج لافتراءات وذرائع لشن الحروب والهرولة لإنقاذ الكيان الذي يعاني من فوبيا الأفول في الثمانين عام بتطمينه أنهم حضروا بعد السابع من اكتوبر بصفتهم «الصهيونية واليهودية» متبنين روايات أسطورية حول جرائم وقعت بحق (اسرائيل) ما لبثت ان كذبها الاعلام العالمي واثبت انها محض خداع وزيف.

المئوية الأولى من القتال على أرض غزة كانت كفيلة بفضح السياسات الأميركية بدعمها اللامحدود لإسرائيل ماليا وعسكريا واستخباراتيا وحتى في مجلس الأمن منعوا وقف إطلاق النار وبرروا كل الأفعال الإجرامية والدموية بحق المدنيين تحت ذريعة «حق الدفاع عن النفس» وحاولوا توسيع دائرة المواجهة في المنطقة باغتيال شخصيات ورموز قيادية مقاومة في سوريا ولبنان والعراق وشن عدوان على اليمن كمحاولة لإعادة مرور السفن الاسرائيلية من البحر الأحمر بعد أن منعها اليمنيون كوسيلة ضغط لوقف الحرب. وتاليا فإن الإفصاح عن الوصفة الأميركية بعزل ايران أظهرت أن الولايات المتحدة معزولة بشراكة تتصل منها معظم حلفائها الأوربيين والإقليميين .

في الواقع، أهم استخلاص على المستوى الفلسطيني والعربي والدولي والإسرائيلي أن ما قبل طوفان الأقصى ليس كما بعدها، هذه هي الحقيقة المؤكدة رغم أن الحرب لا تزال مستعرة، إذ سيكون لها ارتدادات عميقة، فالعملية تعد ضربة مباشرة للاستراتيجية الأمريكية والإسرائيلية حيال المنطقة.

هل ترسخ معركة طوفان الاقصى

الوحدة الوطنية؟

موسى جرادات

كاتب سياسي فلسطيني/تركيا

من ناقل القول إن الحياة السياسية الفلسطينية كانت في أسوأ أوضاعها طوال أكثر من عقدين من الزمن، ففي الوقت الذي انطلقت فيه انتفاضة الأقصى في العام ٢٠٠٠، كانت محاولة مجتمعية ملحمية، تهدف بالدرجة الأولى إلى إخراج المسار السياسي الفلسطيني عن سكة أوسلو وملحقاته بعد أن أتضحت الصورة بشكلها النهائي الذي لا يقبل النقاش والجدل.

فالمحتل لا يريد بأي شكل من الأشكال أن يقدم على تسوية يعطي فيها الفلسطيني بعض حقوقه، يريده فقط في القفص الصهيوني، خاضعاً وتابعاً دون حقوق إنسانية أو وطنية، عبر اعتماده على فرض إرادته بقوة الحديد والنار.

وبقيت الحالة الفلسطينية تراوح مكانها، فلا هي قادرة على لملمة جراحها و شتاتها، ولا هي قادرة على الإفلات من الإرث التاريخي المجبول بالنضال والمقاومة، ولم يكن الخلل الذي أصاب الجسم السياسي مرتبط فقط بظروف داخلية صرفة، بل تعداها إلى الظرف الإقليمي والدولي الذي انشغل بقضايا أخرى، حتى أضحت القضية الفلسطينية في آخر قائمة الأولويات على المسرح السياسي الدولي، الأمر الذي أسهم إلى حد بعيد في حالة التغول الغير مسبوقة داخل دولة الاحتلال، ليخرج مكبوت الحركة الصهيونية و كيانها إلى العلن، ليس فقط بتنظيرات أيديولوجية بل بسياسات محددة المعالم تسعى وعبر حكومة منتخبة إلى فرض سياساتها على الأرض تحت شعار الدولة اليهودية الخالصة من البحر إلى النهر.

شهدت هذه الفترة تمدد غير مسبوق لجماعات الصهيونية الدينية وقوى الاستيطان، حيث أصبحت أصواتها هي الأصوات الغالبة لدى المجتمع الصهيوني، في المقابل فلسطينيا كانت القيادة الفلسطينية الرسمية تراوح مكانها، وهي تعلن عبر خطابها السياسي أنها عاجزة عن تحقيق أي انجاز حقيقي ملموس فيما يخص القضية الفلسطينية، بل تحولت تلك القيادة ومؤسساتها لتكون جزء لا يتجزأ من حالة الانهيار الشامل، في مجمل الحياة السياسية، حتى محاولة بناء تصور سياسي فلسطيني شامل يحظى بالحد الأدنى من الإجماع الفلسطيني، كانت تتحول على الدوام إلى فلكلور في محاضر الاجتماعات الفصائلية التي عقدت في لبنان ومصر والجزائر وروسيا، فردم الهوة كان ينتمي إلى عالم المستحيل، فالسلطة الوطنية الفلسطينية وقيادة المنظمة، كانت تهدف من كل تلك الاجتماعات إلى جر الكل الفلسطيني إلى متاهة السلام المتوهمة، في حين كانت قوى المقاومة تحاول أن تبنى تقاطع ومشتركات مع السلطة الفلسطينية، حتى لو كانت بحدودها الدنيا.

وما بين الحراكين كانت فلسطين وأهلها تعيش حالة الاغتراب الفعلي، فلا هي قادرة

على النهوض، بعيداً عن تلك المكونات السياسية، ولا هي قادرة على أن تتحول إلى مرجعية عليا، قادرة على حسم الخلاف المتجذر في طيات تلك القوى، فيما المسرح السياسي الفلسطيني مسكون بالمتخيلات المستحيلة لكلا التوجهات، سواء أرادت صنع السلام مع عدوها، أو أرادت إرساء قواعد للمقاومة المسلحة، فلا الأولى تمتلك شريكاً لصنع السلام ولا الثانية تمتلك القدرة على بناء توجهاتها بفعل غياب الدعم الفعلي الإقليمي والدولي، لذلك عاشت اللحظة الفلسطينية جملة من التناقضات المريرة، التي أفرزت بدورها جملة من الإخفاقات المتراكمة التي ارخت بظلالها على الكل الفلسطيني.

لا شك بأن طوفان الأقصى يصنع زمانا جديدا في السابع من أكتوبر من العام الماضي، وفي صباح ذلك اليوم، حيث كانت غزة ومقاومتها، تصنع هذا الزمن الجديد، زمن الوجود الفلسطيني الراسخ الواضح المطالب بكل وضوح بأبجديات الوجع الفلسطيني الممتد لقرن من الزمن، فكل مبررات هذا الفعل الملحمي، كانت حاضرة ولا تقبل التأويل، حكومة الاحتلال ماضية نحو تهويد القدس والضفة وإخراج غزة من معادلة الصراع، عبر جملة السياسات العملية المعلنة، بالسيطرة على المسجد الأقصى، وبناء الهيكل المزعوم، ومد الاستيطان إلى مختلف محافظات الضفة، وتعميق الانقسام الفلسطيني؛ عبر بناء سياسات متناقضة بين مكونات الوطن، وتشريع الإعدام للمقاومين، وسلب كل حقوق الأسرى في السجون، كلها مجتمعة وتأتي في سياق تأبيد الزمن الفلسطيني عبر تحويله إلى أداة طيعة كما توهم الاحتلال .

جاء الطوفان اسما على مسمى، ليبتلع كل السياسات والرؤى الصهيونية، ويهد الاستراتيجيات قبل أن يهد الجدار الإلكتروني الذي قامت لأجله احتفالات المحتل، بوصفه منجزا لا يضاهيه أي منجز، جاء الطوفان ليزيل الكثير من الصور السحرية التي بناها الكيان الصهيوني عن نفسه، والذي توهم أن الاعتماد على التكنولوجيا المتطورة كفيل بسحق إرادة الفلسطيني، ومنعه حتى من محاولة التفكير في المقاومة، ولطالما كان خطاب قادتهم السياسيين والأمنيين والعسكريين، ممتلئ حتى الثمالة بمصطلحات ومفاهيم، تتعلق بالوعي وكي الوعي، الردع و الارتداع، وأن الفلسطيني قد تم ترويضه، وامتلأ الوعي الصهيوني بالغرور والعظمة التي حاول نتنياهو أن يرسيها في وعي جمهوره، والتي تمحورت حول قبول العرب بالتطبيع والاعتراف بكيانه بعيدا عن الفلسطينيين.

وأضاف الطوفان فصلا جديدا في مساره، بعد العدوان الهمجي على غزة والذي دخل شهره الرابع، دون أن يتمكن المحتل من تحقيق أي انجاز فعلي مما أعلنه في بداية الحرب، وبالمناسبة فإن بعض الأصوات التي تنتمي إلى فئة الثرثارين التي تحسب نفسها على طبقة المثقفين الفلسطينيين ومنذ اليوم الأول للطوفان، حاولت أن تضع نفسها في مقام القيم على فعل الطوفان، عبر لغة اتسمت» بالعقلانية» المزعومة والتي رأت بفعل المقاومة فعلا مدمرا للقضية وأهلها؛ وهؤلاء بالمناسبة يقفون على أرض الأعداء قولا وفعلا، ولا يهمهم من هذا القول سوى الحضور ولو على حساب القضية واهلها، فهم مرتزقة هذا العصر، كما مرتزقة كل العصور، وهنا لا تنفي فعل المسائلة، التي يمتلكها الشعب الفلسطيني برمته، وعبر قنوات واضحة ومحددة المعالم، والذهاب إلى صندوق الانتخاب هو الكفيل بالرد على كل تلك المهاترات اللغوية التي لا تغني ولا تسمن من جوع .

من الواضح جدا أن الطوفان الذي أوجد زمنا جديدا، يستطيع أن يقول فيه الفلسطيني لكل العالم إنه مازال حاضرا موجودا بفعل إرادته ومن صنع دمائه وآلامه، وقد قالها فعلاً. لهذا وجد الصدى حاضرا في كل عواصم الدنيا، حيث تحولت القضية الفلسطينية إلى مشترك إنساني جامع، فلسطين العدالة والحرية في مواجهة الظلم، والخيار الإنساني الحاضر اليوم يقول إن مواجهة الظلم قد بدأت، ولن يوقفها كل السياسات الأمريكية الغربية والصهيونية، بعد أن وصل الطوفان إلى كل بيت، وإذا كان الطوفان قد فعلها إلى هذا الحد، فهو القادر على إنجاز الوحدة الوطنية الفلسطينية، بمقياس فلسطين التي لا تحد.

تركيا وطوفان الأقصى

مواقف تشعلها العواطف وتحكمها حسابات المصالح

حسن الطهراوي

كاتب سياسي فلسطيني/تركيا

منذ الأيام الأولى لمعركة طوفان الأقصى أطلقت تركيا جملة من المواقف الرسمية اتسمت بخطاب وسطي معتدل ودعوات إلى عدم تصعيد الأوضاع وضرورة حل المشكلة الفلسطينية من خلال العودة إلى فكرة حل الدولتين وحاولت تركيا من خلال هذه المواقف أن تقول إنها تقف على الحياد وعلى نفس المسافة من الفلسطينيين والإسرائيليين.

الواضح أن دوافع هذا الموقف كانت رغبة تركيا للقيام بدور الوسيط ففي التاسع من اكتوبر تشرين أول أي بعد ثلاثة أيام من طوفان الأقصى والعملية الكبيرة التي قامت بها كتائب الشهيد عز الدين القسام وفصائل المقاومة الأخرى أعلن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بعد اجتماع لمجلس الوزراء عن استعداد تركيا للعب دور الوساطة بين اسرائيل وحماس وتحدث أيضا عن استعدادات تقوم بها بلاده لإرسال المساعدات الإنسانية إلى غزة.

مواقف لم ترضي المتظاهرين الأتراك الذين خرجوا الى الشوارع للتضامن مع الشعب الفلسطيني ومقاومته وتنديدا بالاحتلال الإسرائيلي وجرائمه بحق الأطفال والنساء والشيوخ والمدنيين الفلسطينيين وظل مطلب المتظاهرين الدائم هو قطع العلاقات الدبلوماسية مع الكيان الصهيوني وطرد سفيره من أنقرة.

التظاهرات ومسيرات الاحتجاج والغضب طالت أيضا الولايات المتحدة الأمريكية شريك الكيان الصهيوني في العدوان على غزة حيث نظمت مظاهرات حاشدة أمام قاعدة انجيرلك في مدينة أضنة وطالب المتظاهرون بإغلاق القاعدة الأمريكية لكن كل هذه المطالب لم تلقى قبولا من الحكومة.

حالة عدم الرضى عن سياسة الحكومة التركية عبرت عنها أيضا أحزاب المعارضة التركية خاصة الأحزاب اليسارية والإسلامية التي طالبت حكومة حزب العدالة والتنمية الحاكم بقطع علاقاتها التجارية والعسكرية القائمة مع الكيان الصهيوني.

السياسة التي انتهجتها الحكومة التركية في الأيام الأولى لبدء العدوان على غزة راوحت بين تغليب العواطف وحسابات المصالح وخيبت آمال الكثيرين في داخل وخارج تركيا ممن كانوا يعلقون آمالا كبيرة عليها وعلى الرئيس رجب طيب أردوغان باتخاذ خطوات جدية ورادعة للكيان الصهيوني لوقف عدوانه المتواصل على قطاع غزة.

تصعيد في الخطاب الرسمي دون تغير في مسار العلاقات

بعد أسبوعين من بدء العدوان على غزة واتضاح أهداف العدوان من تدمير ممنهج وإبادة جماعية بحق أهل غزة صعدت أنقرة من لهجتها وخطابها الرسمي وبلغ التصعيد ذروته في خطاب الرئيس رجب طيب أردوغان في البرلمان التركي عندما وجهه انتقادات شديدة لرئيس حكومة العدو بنيامين نتنياهو واصفا إياه بجزار غزة وأن بلاده ستعمل لإظهار حقيقة اسرائيل كمجرمة حرب ودافع اردوغان عن حركة

حماس وقال إنها «ليست حركة إرهابية بل حركة من المجاهدين والمحررين تعمل لحماية أرضها وشعبها».

مواقف مشابهة أيضا أطلقها الرئيس اردوغان في المظاهرة المليونية في مدينة اسطنبول التي دعا إليها حزبه العدالة والتنمية للتضامن ودعم الشعب الفلسطيني والتنديد بالعدوان على غزة.

هذا التصعيد ظل محصورا في إطار الخطابات ورفع سقف اللهجة والانتقادات من قبل المسؤولين الأتراك لإسرائيل دون اتخاذ خطوات عملية تشكل ضغطا جديا على حكومة العدو ، وبدا واضحا أن أنقرة لم تكن في وارد إجراء تغيرات جذرية في علاقاتها مع تل أبيب خاصة بعد عودة هذه العلاقات إلى وضعها الطبيعي العام الماضي وتبادل الزيارات على أعلى المستويات وعودة لتبادل السفراء بين البلدين بعد سنوات من القطيعة والتوتر منذ حادثة سفينة مافي مرمرة في عام 0102 والتي قتل فيها الاحتلال 01 من المتضامنين الأتراك كانوا على متن السفينة التي كانت تشارك في أسطول سفن الحرية لكسر الحصار المفروض على قطاع غزة.

وسائل الإعلام التركية المقربة من الحكومة ترى أن تركيا تقوم بعمل مهم خاصة على الصعيدين الدبلوماسي والإغاثي من الوصول إلى وقف العدوان والاستمرار بتقديم كل أشكال المساعدات لسكان غزة ونقل الجرحى للعلاج في المستشفيات التركية، وفى إطار المقارنات يرى كثيرون في تركيا أن مواقف الرئيس أروغان والحكومة التركية متقدمة وأفضل من مواقف الكثير من الدول العربية لكن بعض أحزاب المعارضة التركية ظلت غير راضية على أداء الحكومة وتتحدث بشكل دائم عن أن العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين تركيا وإسرائيل ظلت على ما هي دون أي تغيير.

صحيفة « سوزجو» التركية نشرت تقريرا عن العلاقات التجارية لتركيا مع الكيان الصهيوني وركزت على الفترة التي أعقبت بدء العدوان على غزة وقالت الصحيفة إن صادرات تركيا إلى اسرائيل تجاوزت المليار دولار خلال الثلاثة أشهر الأخيرة من عام 3202 ما يعنى بقاء التجارة متواصلة مع اسرائيل رغم أن هذه الأرقام تظهر انخفاضا بنسبة 4.63 بالمئة مقارنة بنفس الفترة من العام 2202.

وبحسب بيانات جمعية المصدرين الأتراك فقد ارتفعت صادرات تركيا إلى اسرائيل بنسبة 4.03 بالمئة في شهر ديسمبر الماضي مقارنة بشهر نوفمبر لتصل إلى 393 مليون دولار ‹ ويبرز قطاع الحديد والصلب في المرتبة الأولى في صادرات تركيا إلى اسرائيل تليه المواد الكيماوية وقطع السيارات والكهرباء والإسمنت إضافة للحبوب وبعض المواد الغذائية لكن يبقى الأهم في موضوع التجارة هو اعتماد الكيان الصهيوني بشكل كبير على وارداته من تركيا من الفولاذ والنفط فتركيا تحتل المرتبة الأولى في واردات اسرائيل من الفولاذ ونصف وارداتها النفطية تتم عبر تركيا من خلال موانئها خاصة الواقعة على البحر الأبيض المتوسط كميناء جيهان في مدينة أضنة التي يصل اليه النفط من أذربيجان ثم ينقل عبر السفن إلى إسرائيل.

موضوع التجارة مع اسرائيل كان ولازال يثير جدلا كبيرا في تركيا فمنذ الأيام الاولى للعدوان على غزة نشط تجمع «مقاطعة إسرائيل في تركيا» بمتابعة حركة السفن القادمة والمغادرة بين تركيا وإسرائيل ونظم التجمع مظاهرات أمام ميناء (أمبارلي) في مدينة اسطنبول للاحتجاج على استمرار العلاقات التجارية مع الاحتلال. وأشار المشاركون في المظاهرة إلى أن هناك العديد من السفن تنقل إمدادات الطعام والمواد اللازمة لتصنيع الأسلحة والوقود الضروري لدبابات وآليات قوات الاحتلال لمواصلة حملته العسكرية في قطاع غزة

الجدل حول هذا الموضوع انعكس أيضا إلى أروقة وجلسات البرلمان التركي التي شهدت اجتماعاته نقاشات حادة وانتقادات من قبل نواب أحزاب المعارضة ومطالب للحكومة بوقف التجارة مع الكيان الصهيوني الذى يواصل حرب إبادة بحق أهل غزة وكان للنائب عن حزب السعادة الإسلامي « حسن بيتماز» دورا مهما في تسليط الأضواء على موضوع تجارة تركيا مع اسرائيل ونقله إلى البرلمان التركي وظل حاملا للقضية حتى وفاته بسبب نوبة قلبية أصابته وهو يتحدث على منصة البرلمان مدافعا عن فلسطين ومنددا بجرائم قوات الاحتلال وكانت آخر كلماته قبل سقوطه أرضا بعد انتهاء كلمته أن إسرائيل دولة إرهابية وقاتلة والتاريخ لن يرحم أحدا من المتخاذلين الذين أن تمكنوا اليوم من تبرير موقفهم إلا أنهم لن يهربوا من الله يوم القيامة عند الحساب».

"معركة طوفان الأقصى" في السياق الاستراتيجي:

نقلت قضية تحرير فلسطين من خانة الإمكانية التاريخية إلى حيز الإمكانية الواقعية

■ عليان عليان

باحث وكاتب سياسي/الأردن

دخل العدوان الصهيوني النازي على قطاع غزة يومه الخامس عشر بعد المئة بدعم أمريكي وغربي غير مسبوق، دون أن يتمكن العدو من تحقيق هدفه المعلن للحرب، ممثلاً بالقضاء على حركة حماس وفصائل المقاومة، وإنقاذ الأسرى الإسرائيليين، وترميم قوة الردع الإسرائيلية والأهم من ذلك أنه فشل في تحقيق الهدف الاستراتيجي من الحرب، ممثلاً بتهجير أبناء القطاع الأشم، جراء تمسكهم بتراب الوطن، وصمودهم الأسطوري رغم التدمير غير المسبوق في تاريخ الحروب، ورغم مئات المجازر بحق المدنيين - التي أدت حسب إحصائيات وزارة الصحة في غزة إلى ارتقاء ما يزيد على (26) ألفاً و(637) شهيداً، وإصابة (65) ألفاً معظمهم من النساء والأطفال وكبار السن. على حين بلغ عدد الشهداء في الضفة الغربية منذ 7 أكتوبر حسب إحصائيات وزارة الصحة في رام الله (378) شهيداً، وبلغ عدد المعتقلين في الضفة (6370) منذ بداية العدوان الإسرائيلي.

ولا نبالغ إذ نقول إن المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة والضفة الغربية، بدعم وإسناد من أطراف محور المقاومة، في طريقها لتحقيق نصر إعجازي يراكم على النصر التاريخي الذي تحقق في السابع من أكتوبر 2023.

إنجازات المقاومة

لقد حققت المقاومة الفلسطينية الباسلة في قطاع غزة حتى اللحظة، إنجازات كبيرة غير مسبوقة في تاريخ الصراع مع العدو الصهيوني، رغم انقسام النظام العربي ما بين متآمر أو مقصر متخاذل.

أولاً: أنها فرضت على العدو الصهيوني في الهدن الأربعة الأولى، القبول بشروطها بشأن الإفراج عن الأسرى الفلسطينيين من النساء والأطفال، مقابل الإفراج عن الأسرى الصهاينة من النساء والأطفال وفق معادلة (3) مقابل (1)، وهذا العدو مضطر في ضوء انتصارات المقاومة وثباتها على موقفها، ضغط الشارع من أهالي الأسرى ومناصريهم للقبول بشرط المقاومة ممثلاً بمعادلة الكل مقابل الكل.

ثانياً: نقلت قضية تحرير فلسطين، من زاوية الإمكانية التاريخية إلى زاوية الإمكانية الواقعية، وبرهنت أن تحرير فلسطين أمر ممكن، على عكس ما روج دعاة الاستسلام باستحالة هزيمته ولجوئهم إلى طرح مشاريع التسوية، التي لم يأبه بها العدو وألقى بها في سلة المهملات.

ثالثاً: أعادت القضية الفلسطينية، إلى سلم أولويات المجتمع الدولي بقوة واقتدار، بعد أن تراجعت في ظل معاهدات التسوية المذلة مع العدو الصهيوني، واتفاقيات التطبيع الإبراهيمية، وفي ظل استمرار رهان السلطة الفلسطينية على خيار المفاوضات الأوسلوي.

رابعاً: أعادت الاعتبار للرواية العربية الفلسطينية في مختلف دول العالم وبخاصة

في أوساط الرأي العام الغربي، وأكدت بالملموس أن الصراع مع العدو الصهيوني -كما قال حكيم الثورة الدكتور جورج حبش – إن الصراع معه وجودي وأن سمته كانت وستظل انتحارية بامتياز.

خامساً: وجهت ضربة قاسية لمسار التطبيع مع العدو الصهيوني ولنهج التسوية المذل.

سادساً: - أعادت الاعتبار للشارع العربي من زاوية التفافه حول نهج المقاومة ومغادرة الحديث عن مشاريع التسوية وجدواها المزعومة.

سابعاً: برهنت على أهمية وحدة الساحات في إطار محور المقاومة من زاوية إسناد مختلف الساحات للمقاومة الفلسطينية.

ثامناً: والتطور الأبرز والأهم، أنها أحدثت انزياحاً كبيراً جدا في الرأي العام العالمي والغربي على وجه الخصوص لصالح القضية الفلسطينية، من خلال المظاهرات المليونية التي عمت عواصم العالم، وعواصم الدول الغربية على وجه الخصوص، التي تعبر عن إدانتها للمحارق الصهيونية وعن انحيازها للرواية العربية في فلسطين، ما دفع ما يسمى بمعهد الأمن القومي الصهيوني لأن يعترف بأن 95 في المائة من المظاهرات في العالم كانت لمصلحة المقاومة الفلسطينية و (5) في المائة فقط لمصلحة الكيان الصهيوني.

الانحياز الغربي المطلق للكيان الصهيوني

لقد ألقت معركة طوفان الأقصى الضوء الكاشف على الانحياز الأمريكي المطلق للكيان الصهيوني والغربي في مسألتين رئيستين بشأن:

1 -زيف ادعاء الدول الإمبريالية وعلى رأسها الإمبريالية الأمريكية بحقوق الانسان وبتمثل القيم الإنسانية، فقد كشفت معركة طوفان الأقصى عن وحشية صارخة لهذه الدول حيال هذه الحقوق والمثل، عندما تتعلق الأمور بمصالحها، حيث تدوس إزائها على القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني وعلى ميثاق الأمم المتحدة، وتمارس ازدواجية مكشوفة للمعايير بشأن حقوق الإنسان وحقوق الشعوب في الحرية وفي تحرير أراضيها المحتلة .

2- الانحياز المطلق على الصعيد الإعلامي للكيان الصهيوني، حيث راحت وسائل الإعلام الغربية منذ معركة السابع من أكتوبر، تروج لم يصدر عن حكومة العدو من أكاذيب وفبركات، وتعزف على وتر إدانة المقاومة، وحق الكيان الصهيوني في الدفاع عن نفسه متجاهلةً عن عمد (75) عاما من الظلم التاريخي الذي لحق بالشعب الفلسطيني جراء الاستعمار الصهيوني الإجلائي والإحلالي المدعوم من القوى الاستعمارية.

سؤال المستقبل: المعركة في السياق الاستراتيجي

غداة دخول الحرب على قطاع غزة شهرها الثالث، راحت الولايات المتحدة - التي أمدت العدو الصهيوني بأطنان من الأسلحة والقذائف المتطورة عبر جسر جوي بري وبحري لا يقل في حجمه عن الجسر الجوي الأمريكي للكيان الصهيوني إبان حرب تشرين - تبحث مستقبل قطاع غزة بعد القضاء على حركة حماس وفصائل المقاومة، وكأنها تستقرئ هزيمة كتائب القسام وبقية الفصائل، متجاهلةً عن قصد الحقائق القائمة على الأرض التي تؤكد (أولاً) هزيمة العدوان الصهيوني الماحقة على الأرض في السابع من أكتوبر الماضي، والتي تؤكد (ثانياً) هزيمة العدو في الحرب البرية في المرحلتين الأولى والثانية وأن المقاومة عموماً وكتائب القسام على وجه الخصوص، لا تزال تمسك بزمام المبادرة في الدفاع والهجوم، في إطار تماسك منظومة الدفاع والسيطرة ،وأن الكيان الغاصب يلعق هزيمة غير مسبوقة منذ قيامة عام 1948 سواء في المعارك البرية أو في الهجمات الصاروخية غير المسبوقة .

وهذه الحقائق التي لا يمكن إنكار مخرجاتها، سواء على صعد الخسائر العسكرية البشرية أو الاقتصادية أو على صعد تصدع الجبهة الداخلية تقتضي طرح السؤال الجوهري: ما هو مستقبل الكيان الصهيوني بعد وقف الحرب الراهنة على قطاع غزة وليس مستقبل قطاع غزة بعد حماس وفصائل المقاومة، وفق بديهية سياسية تقول إن النتائج السياسية اللاحقة تبنى على نتائج المعارك السابقة؟ .

ولما كانت مخرجات المعركة الآن، وفي المدى المنظور – أقصد المرحلة الثالثة للحرب في حال الشروع فيها - هي لمصلحة المقاومة الفلسطينية، يصبح الحديث عن مرحلة ما بعد المقاومة نوع من الأماني البائسة أو أحلام اليقظة، ومن ثم فإن السيناريوهات والطروحات الأمريكية، حول سلطة فلسطينية متجددة تحكم القطاع، أو قوات طوارئ عربية أو دولية تحكم القطاع لفترة انتقالية وكذلك حديث نتنياهو عن إدارة مدنية تحكم القطاع في إطار سيطرة أمنية إسرائيلية، هي شكل من أشكال التمني والهروب للأمام من قبل الإدارة الأمريكية والكيان الصهيوني، وتجاهل لحقيقة أن المعطيات على الأرض تقول إن مستقبل الكيان في المنظور الوجودي بات مطروحاً بقوة منذ زلزال السابع من أكتوبر.

مقارنات حاسمة لمصلحة المقاومة

وللإجابة على سؤال: مستقبل الكيان الصهيوني بعد وقف الحرب أم مستقبل «حماس» والمقاومة؟ نتوقف أمام المقارنات التالية، التي تؤكد أن السياق الاستراتيجي للحرب بات محسوماً لمصلحة المقاومة، وأن مخرجات هذه الحرب تشكل بداية نهاية هذا الكيان وانتهاء عمره الافتراضي بالمعنى المادي وليس بالمعنى الغيبي.

أولاً : الجانب العسكري في ميزان الفعالية والنتائج بين المقاومة وقوات العدو

وبهذا الصدد نشير إلى ما يلي:

1-فشل العدوان الصهيوني في تحقيق أي إنجاز على الأرض في قطاع غزة في المرحلتين الأولى والثانية، سواء في المحافظات الشمالية أو الوسطى أو الجنوبية، فهو رغم توغله في هذه المناطق لم يتمكن من بسط سيطرته عليها.

لقد أذهلت فصائل المقاومة العدو والعالم أجمع، بقدراتها القتالية وإنجازاتها رغم الخلل الهائل في ميزان القوى، وفي استخدامها غير المسبوق لتكتيك الدفاع الهجومي بالاستناد إلى استراتيجية الأنفاق وحرب المدن، وإلى منظومة قيادة وسيطرة تتحكم بمجريات الحرب البرية، وفي توقيتات إطلاق الصواريخ على مستوطنات غلاف غزة وفي عمق الكيان الصهيوني.

2- في حال انتقال العدو الصهيوني للمرحلة الثالثة من الحرب بناء على توجيه أمريكي التي تعتمد حسب الزعم الصهيوأميركي، التوقف عن الحرب الكثيفة واستبدالها بالضربات الانتقائية لمواقع المقاومة ارتباطاً بجهود استخبارية ، هذا الانتقال لا يعني من واقع المعطيات على أرض المعركة، بأنه حقق أهدافه في المرحلتين الأولى للثانية، بل يعني هروباً للأمام ،باتجاه فتح الباب أمام وقف إطلاق نار لاحق، للبدء في مفاوضات تبادل الأسرى وفق مشاريع إقليمية مطروحة(المبادرتان المصرية والقطرية)، تسعى الإدارة الأمريكية أن تحقق للكيان الصهيوني من خلالها، الأهداف التي عجز عن تحقيقها بالحرب، خاصةً وأن هذه الإدارة منحته أكثر من ثلاثة أشهر لتحقيق الأهداف المعلنة لكنه حصد الخيبة والفشل أمام فصائل المقاومة وانتصاراتها المذهلة .

خلاصةً في الجانب العسكري: يمكن الجزم بأن الصورة العسكرية لا زالت تميل لمصلحة المقاومة وقيادتها، خاصةً وأن العدو بات يعترف على لسان قياداته العسكرية والسياسية السابقة، بخسائره الهائلة وبفشله في تحقيق أهدافه من الحرب.

ثانياً: في المقارنة بين جبهة العدو الداخلية والجبهة الداخلية للمقاومة

رغم الخسائر الهائلة على صعيد الشهداء والجرحى، في أكبر عملية تطهير عرقي في التاريخين القديم والحديث، جراء لجوء العدو منذ اليوم الأول للحرب إلى تدمير أحياء مدن القطاع ومخيماته وقراه وتدمير البنية التحتية والصحية بالقنابل والصواريخ الأمريكية، على نحو لم يحصل في الحرب العالمية الثانية، هذا (أولاً).

و(ثانياً) ورغم نزوح ما يزيد عن أكثر من مليون ونصف من غزة والمحافظات الشمالية إلى الجنوب، وتعرضهم لقصف مستمر ناهيك عن ظروف العيش القاسية، إلا أن هذه الخسائر والمعاناة القاسية لجماهير شعبنا، لم تربك المقاومة، بل دفعتها لمواصلة المعركة بذات الزخم الذي بدأته منذ مطلع أكتوبر الماضي، حيث فشل العدو في ضرب الحاضنة للشعبية للمقاومة، وليس أدل على ذلك أن المواطنين يخرجون من تحت الأنقاض ويرفعون صوتهم « نحن مع المقاومة»، ما يؤكد أن الجبهة الداخلية للمقاومة لا تزال متماسكة مقارنة بانهيار الجبهة الداخلية في الكيان الصهيوني، التي تشهد انهياراً وأزمات غير مسبوقة منذ نشوء الكيان عام 1948.

ثالثاً: في المقارنة بين موقف الرأي العام العالمي من المقاومة والرواية الفلسطينية ومن الرواية الصهيونية.

بات العدو الصهيوني بعد معركة طوفان الأقصى، يواجه عزلة دبلوماسية وانقلاباً في الرأي العام العالمي لصالح المقاومة والقضية الفلسطينية، إثر الثورة الشعبية العالمية المنددة بالعدوان الصهيوني على قطاع غزة والضفة، التي تمثلت ولا زالت تتمثل بالمسيرات المليونية في كل من واشنطن وشيكاغو وباريس ولندن وبرلين وغيرها من المدن والعواصم الغربية

وبات الحراك الشعبي في معظم بلدان العالم، وخاصةً في دول المعسكر الغربي الرأسمالي الإمبريالي - التي وفرت الغطاء السياسي والإعلامي للعدوان على قطاع غزة- يتبنى الرواية العربية في فلسطين، ويكشف زيف مقولة معاداة السامية .

إذ أنه- على سبيل المثال لا الحصر- ووفقاً لنتائج الاستطلاع الذي أجراه باحثون من معهد هاريس ومركز الدراسات السياسية الأمريكية بجامعة هارفارد بتاريخ 13- 14 ديسمبر الماضي، اللذان يتمتعان بموثوقية عالية، يتبين حدوث انقلاب في الرأي العام بين الشباب الأمريكي نحو دعم المقاومة الفلسطينية، وحق الشعب الفلسطيني بالدفاع عن نفسه، وإقامة دولته على كامل التراب الفلسطيني من النهر إلى البحر.

رابعاً: أزمات الكيان الصهيونية المركبة

صحيح أن الجانب الفلسطيني المقاوم يواجه أزمة نزوح أبناء قطاع غزة، وأزمة الخسائر الهائلة في صفوف المدنيين، وأزمة الحرمان من السكن والوقود والغذاء والطاقة، وأزمة القتل المستشري والاعتقالات في الضفة الغربية، لكن هذه الأزمة في التحليل النهائي هي ضريبة الحرية والتحرير، وهي في جوهرها تصب في أزمة العزلة الدولية التي بات يعيشها الكيان الصهيوني منذ معركة السابع من أكتوبر التاريخية.

لقد بات الكيان الصهيوني، يعيش أزمات عديدة ومركبة جراء معركة طوفان الأقصى أبرزها:

1- الأزمة البنيوية الداخلية ممثلةً بما يلي :

أ-أزمة الصراع الداخلي بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية، التي لم تتوقف بعد دخول الحرب شهرها الرابع، وتحميل كل طرف مسؤولية الفشل في السابع من أكتوبر على الطرف الآخر، ووصل الصراع ذروته بعد تشكيل رئيس أركان الكيان الصهيوني لجنة تحقيق بشأن ما حدث من إخفاق استراتيجي في ذلك اليوم، وما عمق من الأزمة تباين الرؤى بين أعضاء مجلس الحرب بشأن اليوم التالي لوقف إطلاق النار، وكذلك قرار ما يسمى بالمحكمة العليا الإسرائيلية بإلغاء قانون الموثوقية الذي يقيد دور المحكمة في مراقبة أداء السلطة التنفيذية، ومطالبة نسبة كبيرة جداً من المستوطنين باستقالة نتنياهو خلال مرحلة الحرب الراهنة .

ب- انعدام الثقة بين جمهور المستوطنين وبين القيادة السياسية والعسكرية، جراء فشل قيادة العدو واستخباراته، في كشف مخطط كتائب القسام، الذي ترجمته في معركة المقاومة التاريخية في السابع من أكتوبر 2023، وجراء فشلها في العدوان البري على قطاع غزة واضطراره للدخول في المرحلة الثالثة من الحرب، بضغط أمريكي، دون أن يحقق نتائج يبني عليها في المرحلتين الأولى والثانية من الحرب .

في ضوء ما تقدم، يمكننا الجزم بأن ميزان المناعة القومي، ممثلاً بالعلاقة بين جمهور المستوطنين والمؤسسة العسكرية، قد تراجع إلى حد التلاشي، وهذه المناعة لن يرممها الدمار الهائل الذي ألحقته آلة الحرب الصهيونية بقطاع غزة، وحسب العديد من المحللين فإن ضرب جهاز المناعة في الكيان الصهيوني، سيؤدي إلى تلاشي الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وزيادة الهجرة من الكيان إلى الخارج، ومن ضمنها هجرة الاستثمارات ورأس المال إلى الخارج.

ج-.أزمة الأسرى الصهاينة: حيث لا زال الشارع في الكيان الصهيوني يشهد مظاهرات كبيرة، تطالب بالاستجابة لشرط المقاومة، القائل بمبدأ الكل مقابل الكل، وتطورت الأمور لاحقاً برفع شعارات تطالب بإسقاط نتنياهو وبوقف إطلاق النار.

2-أزمة ضرب مبدأ الاستيطان

تمثلت بنزوح حوالي نصف مليون من المستوطنين، من مستوطنات غلاف قطاع غزة ومن مستوطنات شمال فلسطين المحتلة، جراء ضربات المقاومة الفلسطينية وضربات المقاومة الإسلامية (حزب الله)، ما شكل ضربة في الصميم للركيزة الثالثة للاستراتيجية الصهيونية ممثلةً بالاستيطان إلى جانب ركيزتي الهجرة والقوة المسلحة، وهذا الرقم لنزوح المستوطنين، مرة منذ (75) عاماً يُشكّل هزيمة كُبرى للمشروع الصّهيوني الذي تقوم أبرز أسسه واستمراره على التوطين وليس النزوح، وانتصاراً كبيراً للمقاومة في إطار وحدة الساحات.

3- الأزمة الاقتصادية

أزمة اقتصادية عميقة تحدث لأول مرة منذ نشوء الكيان، جراء معركة طوفان القدس وتداعياتها المستمرة، حيث بلغت خسائر العدو ما يزيد عن 60 مليون دولار، بدون احتساب الكلفة العسكرية للحرب التي قدرتها وزارة المالية الإسرائيلية (2،5) مليار دولار أسبوعياً، وهذه الخسائر موزعة على قطاعات الإنتاج الصناعي والزراعي والتكنولوجي، وعلى قطاع السياحة والخدمات والنفط والغاز والبورصة والبنوك والاستثمارات.

4- بداية فقدان الدور الوظيفي للكيان الصهيوني

اهتز الدور الوظيفي للكيان الصهيوني بعد معركة طوفان الأقصى، لأول مرة من قيامه عام 1948، بوصفه مشروع أساسي للدول الإمبريالية، وقاعدة متقدمة لها لبسط هيمنتها على الوطن العربي ونهب ثرواته، ولمنع حصول تنمية حقيقية في أي قطر عربي أو تحقيق أي تكامل اقتصادي بين أقطاره، ولضرب حركة التحرر العربية، حيث وفرت له هذه الدول كل المقومات العسكرية ليكون بمثابة قلعة متفوقة على عموم دول المنطقة.

وهذا الكيان الذي حاول تخطي دور (الوكيل- القاعدة)، للدول الإمبريالية بعد حرب حزيران 1967، واحتلاله مساحات واسعة من دول الطوق العربية، ليلعب دور الشريك بدا في غاية الضعف والهشاشة، إثر هجوم السابع من أكتوبر في إطار معركة طوفان الأقصى، وباتت الدول الإمبريالية تشكك في قدرة الكيان للعب هذا الدور الذي أوجدت من أجله، بعد أن تمكن فصيل فلسطيني مقاوم من بضعة آلاف من إلحاق هزيمة نكراء به رغم الهائل في ميزان القوى.

وأخيراً: في ضوء الأزمات المركبة، التي يعيشها الكيان الصهيوني، وبعد فشل العدو الصهيوني بعد مرور أكثر من ثلاثة أشهر على الحرب، في تحقيق أي هدف من الأهداف التي حددها لعدوانه البري على قطاع غزة، لا مجال أمام كيان العدو سوى أن يتجرع كأس السم عبر موافقته على وقف إطلاق النار والرضوخ لمطلب المقاومة بتبييض المعتقلات الصهيونية مقابل الإفراج عن الأسرى الصهاينة، وأن يكتب من لحظة تاريخ نهاية الحرب بداية نهايته.

قيادة الطوارئ الفلسطينية المؤقتة

بين الواقع والطموح

■ محمد حسين
كاتب سياسي فلسطيني- سورية

عد عملية السابع من أكتوبر النوعية التي وجهت ضربة قوية للمؤسسة الأمنية والعسكرية والسياسية الصهيونية ،وجعلت هذا الكيان على مدى أكثر من ستة ساعات فاقداً للسيطرة التامة على مجريات ما حدث ما إن استفاقت قيادات وجنرالات هذا الكيان من الصدمة حتى بدؤوا بعملية قصف غير مسبوقة في التاريخ على قطاع غزة ، سقط من خلالها عشرات الآلاف من الشهداء والجرحى، وقام العدو بعملية تدمير ممنهج لكل البنى التحتية (جامعات ، مدارس ، مستشفيات ، مكتبات ، أبراج سكنية ، طرق ، كهرباء ، شبكات مياه ، في حالة انتقامية لم نشهد مثلها في تاريخ المعارك منذ الحرب العالمية الأولى والثانية رداً على عملية السابع من أكتوبر .

أكثر من مئة يوم على بدأ معركة طوفان الأقصى والعدو الصهيوني يحاول دون جدوى تحقيق أهدافه المعلنة في القضاء على المقاومة الفلسطينية وتهجير الشعب الفلسطيني لكن مجريات الميدان تؤكد فشل هذه الأهداف رغم هول الدمار الذي يقترفه بحق الشعب الفلسطيني، في المقابل المقاومة الفلسطينية ترد في الميدان وتكبد العدو الصهيوني خسائر فادحة بالأرواح والمعدات، حسب اعترافاته فقد قتل ما لا يقل عن 550 جندي منذ عملية السابع من أكتوبر وأصيب 5000 جندي بجراح .

لقد سارع الكيان الصهيوني ومنذ اليوم الأول للمعركة بتشكيل قيادة طوارئ أو مجلس حرب ضم من خلاله المجرم نتنياهو، زعيم المعارضة غينيس، لتكون الساحة الداخلية الصهيونية أكثر قوة في مواجهة شعبنا الفلسطيني ومقاومته الباسلة. وسارع إلى طلب النجدة من الحليف الأمريكي والغربي.

إزاء هذا الحدث الكبير ومجرياته وتوحد كل الأحزاب الصهيونية خلف حكومة الحرب ضد شعبنا الفلسطيني يتساءل أي مواطن فلسطيني لماذا لم يتشكل لدينا قيادة وطنية فلسطينية موحدة في مواجهة هذا العدوان الشرس خاصة في ظل عجز السلطة الفلسطينية لأسباب عديدة عن القيام بدورها وضعف وتراجع دور منظمة التحرير الفلسطينية.

استناداً لقراءة المشهد وخطورته على قضيتنا الوطنية ولكي نكون على مستوى تضحيات شعبنا الفلسطيني لتحقيق إنجازات نوعية تقدمت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بمبادرة تشكيل قيادة طوارئ وطنية مؤقتة من الفصائل الرئيسة تكون بمثابة مرجعية مؤقته عليا للشعب الفلسطيني، تكون مهمتها وقف العدوان والتصدي له، وتوفير مقومات الصمود للشعب الفلسطيني لتثبيته في وطنه، كسر الحصار وإدارة قطاع غزة ما بعد الحرب، وتبادل الأسرى، وتهيئة الظروف المناسبة لإنهاء الانقسام الفلسطيني عبر عملية انتخاب للمجلس الوطني الفلسطيني والتشريعي والرئاسي بمشاركة الجميع، تكون مدخلا مهما لتفعيل وتطوير وإعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وقائدة نضاله، باعتبار أن المرحلة هي مرحلة تحرر وطني.

وفي هذا السياق أجرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حوارات ثنائية وثلاثية مع القوى الفلسطينية فمنهم من رحب من حيث المبدأ ومنهم من وضع استفسارات كثيرة وآخر صمت أو تجاهل المبادرة، من خلال ما رشح عن الحوارات ومواقف بعض القوى أستطيع القول إننا أمام اتجاهين للتعامل مع المبادرة، الأول يخشى أن تكون هذه القيادة الفلسطينية المؤقتة المرجعية الأساسية للشعب الفلسطيني وتمس بتمثيل منظمة التحرير الفلسطينية للشعب الفلسطيني ،رغم أن المبادرة تعلن وبشكل قاطع أن المنظمة هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وهناك خشية من أن تشكل هذه القيادة المؤقتة مدخلاً مهماً في تغيير النظام السياسي الفلسطيني برمته، وبذلك يخسر أصحاب هذا الاتجاه كل مكاسبهم ومصالحهم التي تشكلت عبر عشرات السنين، كما يخشى من زوال مشروعه السياسي لذلك تجاهل المبادرة.

أما الاتجاه الآخر فهو ينطلق في موقفه من المبادرة من مسألتين، المسألة الأولى الحسابات الإقليمية والعربية وتشابك علاقاته معها مما يشكل ضغطاً عليه، فهو لا يريد فتح معركة سياسية إضافة للمعركة العسكرية التي يخوضها في الميدان، أما المسألة الثانية والتي لازالت مسيطرة عليه رغم كل الذي جرى، فهو مصٌر على المزاوجة بين السلطة واستحقاقاتها ومرحلة التحرر الوطني واستحقاقاتها، لذلك طرح فكرة تشكيل حكومة وحدة وطنية تضم الجميع بمرجعية الإطار القيادي للأمناء العامين، هذا الإطار المجرب في أكثر من محطة ومفصل ولم يستطع أن يقدم شيئاً، إن هذا الطرح يعيدنا إلى الحلقة المفرغة لنعود بذلك إلى المربع الأول في مخرجات الحوارات الوطنية الفلسطينية السابقة.

أعتقد إذا أراد القطار الفلسطيني أن يقلع فيجب عدم وضع العربة أمام القطار،

فقيادة الطوارئ الفلسطينية تتمتع بصلاحيات تؤهلها إذا كانت المصلحة الوطنية الفلسطينية تقتضي تشكيل (حكومة وحدة وطنية.. حكومة تكنوقراط.. حكومة مصغرة) فهذا من صلاحياتها إلى حين إجراء الانتخابات للمجلس التشريعي وانتخابات الرئاسة.

أو إذا رأت أنه من الممكن إجراء تغيرات فورية في جسم منظمة التحرير الفلسطينية فهذا يجب أن يكون من صلاحياتها إلى حين إجراء الانتخابات للمجلس الوطني الفلسطيني،

لقد بات ملحا على ضوء التطورات الحاصلة والتضحيات الجسام الغير مسبوقة للشعب الفلسطيني أن تأخذ قرارات استراتيجية بعيدا عن أية حسابات ذاتية أو خارجية،

إن معركة طوفان الأقصى هي سلسلة نوعية من نضال الشعب الفلسطيني يجب أن يبنى عليها لتحقيق أهداف هذا الشعب البطل في كنس الاحتلال من الأرض الفلسطينية كاملة وعودة اللاجئين.

محور المقاومة.. إلى أين؟

■ مسعود أحمد
كاتب سياسي وصحفي/ عُمان

منذ بدء عملية الطوفان و التشكيك في محور المقاومة لم يتوقف؛ حيث اتهمت بعض أطرافه بدفع حركة المقاومة الإسلامية «حماس» لهذه المعركة غير المتكافئة؛ ورغم دوره المساند والوحيد؛ إلا أن وتيرة التشكيك تزداد؛ حيث استخدمت هذه الادعاءات كورقة ضغط سياسي ومعنوي لخدمة الأجندة الامبريالية والصهيونية ؛ ومن المحتمل تتصاعد عندما تضع الحرب أوزارها . ومع الأخذ في الاعتبار المحاذير التي حكمت أفعاله ؛ فإن الأمر في العمق يتعدى مجرد توجيه تهمة ؛ إلى مضمون المحور نفسه والأسس والمرتكزات التي تبرر وجوده ومدى إمكانية استمراره كمحور مقاوم ظل متماسكا رغم المطبات التي تعرض لها سابقا ؛ خصوصا وأن البعض يذهب أبعد من ذلك بكثير حيث يعزو هذه العملية التاريخية لحيثيات معينة ويدرجها ضمن سياق يستهدف إعادة الاعتبار لمشروع تاريخي بدأ يتضاءل ويفقد دوره بعد استنفاد كافة أغراضه و بحسب زعمهم كان لابد من عمل نوعي مؤثر في نقطة تتكثف فيها العاطفة والظلم التاريخي ؛ في ظل عدم توفر بدائل موضوعية أخرى قادرة على إظهاره بهيئة جديدة وأن أية عملية توجه للكيان الصهيوني ستجعل الالتفاف حولها واسعا يتخطى ما علق في الذاكرة من ترسبات الماضي رغم أنف التحليل العلمي والتجربة التاريخية.

ولا شك بأن العدوان الصهيوني الإجرامي المدعوم بالكامل من قبل الامبريالية الأمريكية وحلفاؤها وضع الجميع في مأزق حقيقي.وهذا ينقلنا للحيثية الأخرى المستندة إلى فرضية مواجهة قصيرة تفتح الطريق أمام نهج سياسي يتقاطع مع المحيط الإقليمي ويمهد للعودة التدريجية للموقع التقليدي؛ ضمن حاجة إقليمية لترتيب قواعد المرحلة المقبلة. وتستمد هذه الرؤية منطقها وإلى حد كبير مشروعيتها من ثلاثة عناصر موضوعية ماثلة العنصر الأول: طبيعة التحالفات القائمة والعنصر الثاني: عدم إعطاء الوحدة الوطنية الأهمية التي تستحق رغم تحققها على الصعيد الشعبي أما العنصر الثالث فهو دور الآلة الإعلامية المنظمة في تكريس بعد أيديولوجي يتنافى مع متطلبات مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي؛ وبعيدا عن الاتفاق والاختلاف فهي ليست مسائل ثانوية؛ وأن استمرارها لا يشيع مناخات صحية مطمئنة. دون الانتقاص مطلقا من ملاحم البسالة والبطولة النادرة في ميدان القتال. وبالطبع فإن أي عمل مهما كان عظيما ونبيلا ؛ لا يغني بالضرورة عن استشراف الآفاق البعيدة واستنطاق الحقائق من واقع الممارسة العملية الملموسة التي لا تكذب. هذا التقييم بشكل عام ينمي هواجس خفية ، وبصرف النظر عن التحليل النظري ومدى الخطأ والصواب فإن المؤكد أن هذه العملية الجريئة والرائعة بكل المقاييس ووفق كل المعايير والحسابات موجعة و لن ينج الاحتلال من آثارها وانعكاساتها الداخلية والخارجية؛ وبالتأكيد لو جاءت في سياق آخر وظرف آخر ستكون تكلفتها أقل ومردودها أفضل، ولا حاجة للتذكير بأن مقاومة المحتل بكافة الوسائل الكفاحية بديهية أقرتها كافة القوانين والمواثيق الدولية وتجربة الشعوب المناضلة في سبيل الحرية والاستقلال وتقرير المصير ؛ بينما متى وكيف وتحت أي عنوان وبرنامج نضالي مسألة خاضعة للتقدير والاجتهاد في كل زمان ومكان .

وليس بالضرورة كل فعل كيفما كان ؛ أن يقدم المشروع الوطني خطوات للأمام هذا من ناحية؛ ومن ناحية أخرى ما كان لشعب تحت الاحتلال ومحاصر من كافة الاتجاهات أن تتوقف مقاومته لحين تكتمل كافة الشروط التي تتطلبها حركة تحرر وطني منتصرة ؛ هذه الإشكالية تفرض على محور المقاومة بكافة مكوناته مهمة إعادة ترتيب أوضاعه في خضم المعركة العسكرية وعلى ضوء نتائجها السياسية و التي ستضيئ جوانب مازالت يكتنفها الغموض؛ وعدم ترحيل الأسئلة الاستراتيجية و توسيع رقعة المواجهة التي يراد تحجيمها لاتصالها الجوهري باستراتيجية الانتصار وأن يتجه جهده في ساحة المواجهة الرئيسة بعد كل التضحيات والصمود الأسطوري نحو تعزيز مقوماتها وحماية مكتسباتها الوطنية التاريخية وعدم التماهي مع مشاريع تقسيم الجغرافيا والتاريخ والمستقبل ؛ والاستفادة من تخبط الاحتلال الذي فقد توازنه ؛ حيث اليمين المتطرف وعلى رأسه نتنياهو المسكون بالخوف والقلق ليس على الكيان الغاصب فحسب بل على مستقبله السياسي ؛ والذي يتهرب من الملاحقة القانونية والاستحقاقات الداخلية ؛ اعتبر هذه المعركة بمثابة قضية شخصية؛ ويبدو انتقلت إليه العدوى العربية المزمنة وهذا بحد ذاته مكسبا؛ وحيث الهبوط بالقضايا المصيرية إلى قضية فئوية ضيقة و فرض الخيارات والمصالح الذاتية على الكل الوطني سلما أو حربا ؛ مهما كانت المسوغات والمبررات حصادها مر. ومن المعروف بأن محور المقاومة الذي يتمتع بقدر عال من البرجماتية لا تكمن قيمته في قدراته المادية والعسكرية فقط؛ بل في تنوع أطرافه وحاضنته الشعبية الكبيرة وجلها يرجع لموقع ودور القوى التقدمية الثورية التي تعطيه بعده التحرري في ظل تفشي النعرات المذهبية المقيتة وحينما يدخل هذا البعد في حسابها بشكل جدي ستتجلى هويتها ودورها الطليعي بشكل أوضح في معادلات الصراع الفكرية والسياسية والعسكرية الشاملة.

العدوان الصهيوني على غزة
والإبادة الجماعية للشعب

■ هيثم حميدة

كاتب سياسي فلسطيني/ سورية

لم يشهد التاريخ إبادة لشعب كما يحدث اليوم في قطاع غزة داخل فلسطين المحتلة لقد تجاوز العدو الصهيوني كل منطق وكل المبادئ التي شرعتها الشعوب عبر مراحل الصراعات التاريخية والحروب. فقد حدثت العديد من المجازر والفظائع من المعتدين على الشعب العربي ابان فتره الاستعمار البريطاني والفرنسي والغربي عموما والتي دعمت المجازر الصهيونية في فلسطين إلا أنها لم تصل إلى مرحلة تدمير المباني على رؤوس ساكنيها وهم يعلمون علم اليقين أن بداخلها أطفالا ونساء وشيوخا ما أدى لإخراج عائلات بكاملها من تحت الأنقاض أمام رؤية عالمية موثقة بالصوت والصورة.

إنه من العجب العجاب أن تصمت على هذه المذبحة دول ما يسمى بالعالم الحر والذين يدعون قيم الديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان الذي اتضح أنها شعارات كاذبة وخادعة وإذا كانت هذه الدول المارقة قد أعطت للعدو الصهيوني حق ارتكاب المجازر تحت شعار الدفاع عن النفس فأي دفاع عن النفس هذا؟

هل قتل الأطفال وارتكاب الفظائع والإجرام بحق أشخاص مدنيين غير مسلحين مسالمين لا يملكون قوت يومهم، هل الاستقواء على الأطفال والنساء والشيوخ العزل وتهديم بيوتهم فوق رؤوسهم وإخراجهم أشلاء دفاعا عن النفس! اين مبادئ حقوق الإنسان والقيم والمبادئ التي نصت عليها المواثيق في الجمعية العامة للأمم المتحدة بضرورة المحافظة على حقوق المدنيين أثناء الحروب وتجنب إلحاق الضرر بهم ماذا فعلت «دولة العدو الصهيوني» بذلك وكيف تفرض قطع الماء والكهرباء والغذاء والمحروقات والاتصالات الإلكترونية وغيرها على شعب غزة الصابر الصامد على أرضه؟

إن قصف المباني على رؤوس ساكنيها عمل إجرامي فظيع لم يفعله عتاة الأعداء المستعمرين المجرمين عبر التاريخ في حروبهم واستبدادهم على الشعوب فقد فعله العدو الصهيوني وآلته الحربية بتغطية ومشاركة من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وغيرهما. إن جميع الشعوب في العالم المحبة للسلام أدانت ما تفعله (إسرائيل) من عدوان همجي متواصل منذ بدء عمليه طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر/تشرين الأول الماضي. ومنذ ذلك الوقت والى الآن دمر العدوان الصهيوني ما يزيد عن 70% من مباني ومساكن آمنين من الشعب الفلسطيني في قطاع غزة.

إن صمت الحكومات الأوروبية وخضوعها لتوجهات أمريكا أمام استمرار المجزرة شيء يندى له الجبين ولا يجب أن يمر مرور الكرام ولن تسامحهم شعوبهم سواء في امريكا أو اوروبا وما يحدث اليوم من مظاهرات ومسيرات عبر كل القارات في العالم يؤكد رفض الجماهير العربية والدولية للمجازر والإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني في غزة.

وإذا كان العدو الصهيوني يريد ويستهدف بإبادته الجماعية وممارسته العدوانية إنهاء وجود الجذر الفلسطيني المناضل على أرضه وإزالته من الوجود إنسانيا وسياسيا فهو واهم ولن يستطيع قلع الجذر الفلسطيني الراسخ في أرضه رسوخ جبال فلسطين وايضا واهم كل من يسانده من رجعيات عربية مطبعة وباقي الدول الأوروبية وامريكا وستكون للشعب كلمتهم القادمة في كل قارات وأنحاء العالم.

فهذه الكلمة لن تمر دون حساب من شعوبهم اننا نعتمد في تفاؤلنا هذا على صمود شعبنا الفلسطيني ومن خلفه المقاتلون البواسل في المقاومة الفلسطينية من فصائلها كافة هذا الصمود وهذه المواجهات الشجاعة من مسافة صفر لم يعرفها العالم والتي لم يسبق لها مثيل في العرف النضالي المقاوم عبر الزمن وسيلقن المعتدين درسا لن ينسوه وعلى الباغيين تدور الدوائر وغن غدا لناظره قريب.

إن المتتبع للعلاقة والتحالف الاستراتيجي مع الولايات المتحدة ولمايقوم به جيش الاحتلال في غزة بحق الشعب الفلسطيني يدرك إدراكا لا لبس فيه ان هذه الوحشية والإبادة الجماعية تتم بأمر ومشاركة من الولايات المتحدة الأمريكية عن سابق تصميم وإصرار هدفها إخلاء قطاع غزه من فلسطينيته وعروبته وانتمائه المقاوم.

إن رأس الأفعى هي الولايات المتحدة الأمريكية لأسباب كثيره منها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والتطبيع بالدرجة الأولى. لقد راهن العدو الصهيوني ومن ورائه امريكا وعملائهم التطبيعين بأنه سيتم القضاء على جذور القضية الفلسطينية والمقاومة والمساندين لها في المنطقة العربية وسيتم فرض الأمر الواقع للاحتلال بعد ترويض بعض الحكومات العربية المتخاذلة والمهرولة.

الا ان المقاومة الفلسطينية قالت كلمتها الفصل وبدماء جماهيرها مقدمة الاف الشهداء على مذبح الحرية صامدة في وجه المجزرة والإبادة الجماعية بحق الأطفال والنساء والشيوخ وصدمت وفاجأت كل توقعات امريكا والعدو الصهيوني والأنظمة المطبعة وأعادت القضية الفلسطينية إلى أهميتها كقضية شعب عادلة لا يمكن تجاهلها او التنازل عن حقوقها المشروعة والتي تكفلها جميع المواثيق الدولية عبر قرارات الأمم المتحدة منذ 75 عاما حتى اليوم.

ان مساندة قوى المقاومة العربية لفلسطين ومقاومتها تبعث الامل المنشود بالتحرير والعودة، سوريا واليمن وكذلك المقاومة اللبنانية والعراقية خلدوا بصمودهم وبالتضحية والفداء من أجل فلسطين سيذكرهم التاريخ بحروف النور وأن النصر قادم لقضية العرب الأولى فلسطين ولتسقط أنظمه التطبيع والمتخاذلين من ذوي القربى وستعلو راية النصر خفاقة، والخزي والعار للمتآمرين رغم الألم و رغم الإبادة الجماعية ستنتصر القضية الفلسطينية وسيخرج من بين الركام المارد المقاوم الفلسطيني ومن ورائه المارد المقاوم العربي ولتعلوا راية الانتصار العربية الفلسطينية خفاقة فوق أرض فلسطين طال الزمن أم قصر.

٧ أكتوبر: تحول عسكري استراتيجي

يفقد إسرائيل وظيفتها وضرورتها الإمبريالية

إسحق أبو الوليد

كاتب سياسي فلسطيني/ فنزويلا

لم يأتي هجوم ٧ أكتوبر الذي نفذته المقاومة الفلسطينية بقيادة حركة المقاومة الإسلامية « حماس» من الفراغ او مقطوع الجذور عن عشرات السنين من الكفاح والنضال، وشكل قفزه نوعية في استراتيجية الهجوم والدفاع الثوري المسلح عكس مستوى عالي ومتقدم من التحضير والتخطيط ومن الترابط الوثيق بين أطراف محور المقاومة ومركزه إيران، الذي يخوض حرباً ذات أبعاد استراتيجية، ستغير العديد من المفاهيم والنظريات التي كانت تتبناها وتأمن بها مراكز قوى إمبريالية عالميه والأنظمة المرتبطة بها والتابعة لها.

إن الحرب الدائرة رحاها في غزة وعلى غزة هي ككل الحروب عبر التاريخ، أي هي « السياسة بلغتها العنيفة « كما يعرفها لينين، وتندرج في إطار الحروب الغير عادلة، التي تبدأها وتخوضها أنظمة ذات طبيعة عدوانية استعمارية توسعيه لتكريس الهيمنة ونهب ثروات وخيرات الشعب والبلد المعتدي عليه. وقد سجل التاريخ ان أكثر الحروب وحشيه هي حروب الإبادة الاستعمارية، التي خاضها النظام الرأسمالي بقيادة بريطانيا للسيطرة على كافة المرافق الحيوية البرية والبحرية العالمية، وخاصة على بلدان ما سمي بالعالم الجديد، التي كان يدعي اكتشافها ويلجأ إلى إبادة سكانها الأصليين بحجة أنهم «حيوانات متوحشة» وغير بشرية وأن الأراضي الجديدة هي «أرض ميعاد» منحها «الله» لشعوبه المختارة، أي لهم. هكذا، وتحت هذه الحجة قضى الاستعمار الرأسمالي، الانجلو - أسباني، على أكثر من ٠١١ مليون انسان من السكان الأصليين في فيما يعرف اليوم بالقاره الأمريكية. ليس هذا فقط بل مسح حضارة شعوبها، التي كانت جزء أصيل من الحضارات الإنسانية الجميلة والمتطورة كما يقول الكاتب والمؤرخ الأمريكي من أصل فلسطيني منير عكش.

ومما لا شك فيه ان حروب النهب والسلب الاستعمارية لعبت دورا رئيسيا في تطور ونمو وانتصار النظام الرأسمالي العالمي من جهة ومن وازدياد حدة التناقضات الطبقية الداخلية، واستعار حدتها بين أنظمته المتطورة التي خاضت حربين عالميتين مدمرتين للبشرية ولحضاراتها وقيمها لفرض قوة مهيمنة تتحكم بمصير البشرية.

في خضم هذا الصراع العالمي بين الأنظمة الرأسمالية لتقاسم النفوذ وفرض الهيمنة، انتصرت ثورة أكتوبر الاشتراكية الروسية بقيادة لينين مما أسس لصراع تناحري جديد بين نظامين متناقضين يسعى كل منهم للانتصار على الآخر والقضاء عليه، مما سرع الخطى العملية للإمبريالية البريطانية أكثر من أي وقت مضى إلى استكمال إقامة كيان استعماري إحلالي في فلسطين غريب عن الأمه العربية ومن خارجها، لضمان السيطرة الكاملة عليها وعلى الوطن العربي، لما يمثله من أهميه اقتصادية وأمنية استراتيجية دفعت الرئيس الأمريكي العجوز بايدن ان يصرح في أشد أيام العدوان الصهيوني على غزة أنه « لو لم تكن اسرائيل موجودة لأوجدناها « في تأكيد جديد منه على الأهمية الاستراتيجية «لإسرائيل» كأداة ووسيلة إمبريالية تخدم وتؤمن مصالحها أكثر أهميه من كونها دوله لليهود تحميهم من وهم وخرافة العداء للسامية.

أيضا، كشفت الحرب الفلسطينية «الإسرائيلية» في غزة عن الوجه الآخر للصهيونية في الوطن العربي وأسقطت الأقنعة التي استمرت لعقود تغطي أوجه العملاء وبعض الأنظمة العميلة لم يكن وليد اللحظة، بل هي وليدة استراتيجية إمبريالية صهيونية عمرها عقود عملت على الدمج الموضوعي والتكامل الغير معلن بين هذه الأطراف والعدو الصهيوني، التي هي أيضا وقفت مذهولة ومصدومة، من هول ما أحدثه هجوم ٧ أكتوبر الاستراتيجي من خطر وجودي وأمني على الكيان عليها.

هذا الهجوم الذي قادته وكانت راس حربته حركة المقاومة الإسلامية «حماس» فتح الطريق وكسر كل الحواجز التي كانت ترفع أمام المقاومة وبرنامجها لمنعها من خوض حرب تحريرية وطنية حقيقية وبكافة المقاييس، ونقل، موضوعيا، النضال الفلسطيني المسلح من حالة الدفاع الإيجابي إلى حالة الهجوم الاستراتيجي، وما حجم الخسائر البشرية والدمار المادي الذي لحق بالقطاع الصامد والإبادة الجماعية إلا « الثمن « الذي لا مفر منه لتحطيم عنجهية واستراتيجية عدو فاشي نازي مجرم لا يعبد ولا يقدس إلا المدفع ورأس المال والإعلام وسائله الأساسية لتكريس وجوده اللاشرعي ، والتي كسرها شعبنا وخاصة في غزه بصبره وصموده ورصاص مقاتليه ودماء شهدائه .

إن الدمار والمجازر التي سببها الكيان الصهيوني ليس صدفة ولا بسبب أهواء أو مزاج هذا المسؤول الصهيوني أو ذاك، ولا لأن المجرم نتنياهو يدافع عن موقعه الحكومي أو عن ائتلافه أو للتهرب من المحاكمة، انها تتم بقرار من الإمبريالية والصهيونية العميقة لا لبس فيه. إن الكيان الصهيوني ارتكب من المجازر والمذابح في فلسطين ولبنان وسوريا ومصر ما يؤكد طبيعته العدوانية النازية، ولسان حاله يقول إنه كلما فقد الثقة بنفسه وأصبح على يقين بزواله الحتمي ستزداد شهيته للقتل والإجرام في محاولة منه التأجيل يوم سقوطه بعض الوقت، ولكنه لا يعلم على ما يبدو أن الوقت قد فاته ولن يعود إلى الخلف.

ان بدأ العد التنازلي لوجود الكيان الصهيوني على أرض فلسطين، في ظل تراجع النفوذ الامبريالي عالميا وفي منطقتنا أيضا سيعفيها من ضرورات عدة بما فيها الضرورة «الإسرائيلية» التي لن تبقى لها رسالة تؤديها إلا رسالة الاستعداد للرحيل عن هذه الدنيا، وهذا لا يعني أننا سنقف أمام بيوتنا لنرى «جنازة» الكيان الصهيوني تمر من أمامها، لأنها بدون تصعيد النضال ومراكمة الانجازات من جديد والبناء على ٧ أكتوبر وتطويره وتكراره والتي يحتاجها النصر النهائي، لن نراها تمر.

معركة طوفان الأقصى:

مقدمات وآفاق

■ سعيد خليل

كاتب فلسطيني - سورية

لقد شكل هذا العمل البطولي مأثرة فلسطينية وعربية نوعية في النضال، أجمع المحللون العسكريون عالمياً أنها تطوير لنظرية حرب العصابات، وحرب التحرير الشعبية في تجارب حركات التحرر.

فمنذ حرب 1973، والوضع الرسمي العربي لم يمارس أي شكل من أشكال الضغط على الكيان؛ بل طبّعت معه دولتان، تلا ذلك عقد اتفاق أوسلو عام 1993 بين م. ت. ف والكيان، بما فيه من تنازلات كبيرة وجوهرية عن الحقوق التاريخية للشعب الفلسطيني، وفي السنوات الأخيرة، وبضغط أمريكي، هرولت دول عربية أخرى للتطبيع وعلى كافة الصعد الأمنية والاقتصادية والسياحية... إلخ؛ كل ذلك ساهم في صعود أكثر حكومة يمينية متطرفة في تاريخ «إسرائيل» للسلطة، استناداً إلى ما تطرحه من مشاريع استيطانية وتطهير عرقي في الضفة وغزة، سواء عبر «قانون القومية»، «يهودية الدولة»، أو تبني مخططات «الصهيونية الدينية» وتهويد القدس، وتقسيم المسجد الأقصى «زمانياً ومكانياً» كما حصل في عام 2004 للحرم الإبراهيمي في الخليل.

إن وصول عدد المستوطنين في الضفة الغربية إلى ما يقرب المليون نسمة موزعين على ما يقرب من (300) مستوطنة وبؤرة استيطانية، وتهجير عشرات الآلاف من القرى في مناطق (ج) التي تشكل (61%) من مساحة الضفة الغربية، الخطوة الأخيرة نحو ضم مناطق ج، كما أن قادة العدو أمثال بن غفير، سموترتش يجاهرون بخططهم، بل ويعرضوها على مجلس الوزراء وعلى الكنيست؛ لتصبح قوانين في ظل عجز عربي وفلسطيني رسمي – يقتصر على بيانات الإدانة والشجب.

إن إقدام بن غفير (رئيس الأمن القومي) على تسليح مئات الالآف من المستوطنين في الضفة، وهجماتهم اليومية على السكان الفلسطينيين، وبحماية جيش الاحتلال، أكبر دليل على إرهاب دولة الاحتلال وأهدافها.

إن الدعم الأمريكي والأوروبي اللامحدود «لإسرائيل» إلى جانب العجز الرسمي العربي الذي تساوق مع «صفقة القرن» أدى إلى أن يقدم ترامب على منح صك ملكية للكيان/ للقدس الشرقية، والجولان.

إن حروب الكيان على غزة منذ الانقسام الفلسطيني، وسيطرة حماس على غزة عام (2007) لم تتوقف، وأهمها (2008، 2009، 2012، 2014، 2019، 2021، 2023 طوفان الأقصى) تزامن ذلك بحصار اقتصادي سبعة عشر عاماً يشمل كل مناحي الحياة.

ومع انسداد أفق سياسي لشعب تعداده (14) مليون نسمة، أكثر من نصفه في الداخل تحت الاحتلال، وترهل وخضوع مؤسساته الرسمية، لدرجة أن نتنياهو منذ عشر سنوات يرفض مجرد لقاء سياسي مع سلطة رام الله، ويقتصر اللقاءات معها على ترتيبات أمنية أو اقتصادية.

كان لا بد مِن أن «يدق ناقوس الخطر»، ويحمل هموم وآمال وتطلعات شعبنا في كل أماكن تواجده، وهموم الآلاف من الأسرى، والكثير منهم أمضى عشرات السنين في السجن، فجاء طوفان الأقصى.

ومع مرور أكثر من ثلاثة أشهر متصلة على حرب الإبادة والتطهير العرقي المعلن من حكومة الاحتلال في حربها على غزة، وما زالت الحرب مستعرة، يقدم شعبنا مئات الشهداء يومياً (70%) منهم أطفال ونساء، وصل عدد الشهداء حتى الآن (29000) شهيد ومفقود، وما يقرب من (60,000) جريح، وتم تدمير (70%) من البنى التحتية والسكنية، وما زال العدو يسعى لتحقيق أهدافه التي تتلخص في تدمير المقاومة كلياً، تهجير السكان خارج غزة، إعادة الأسرى لدى المقاومة.

إن صمود شعبنا الأسطوري، والاستنزاف العسكري لقوات العدو من قبل أبطال المقاومة، وأهمها: (كتائب القسام، كتائب سرايا القدس، كتائب أبو علي مصطفى)، إن هذا الاستنزاف، ورفض مصر والأردن التهجير لسكان غزة والضفة من أهم العوامل في المواجهة، ومنعه من تحقيق أهدافه.

ومن خلال مراقبة تحليلات وتصريحات قادة العدو، بل وقادة المقاومة، يؤكد أن المقاومة قادرة على الصمود واستنزاف جيش الغزاة، وفرض إرادة المقاومة عليه، بوقف إطلاق النار، والانسحاب من كامل قطاع غزة، وتبادل الأسرى «الكل مقابل الكل»، مهما طال أمد الحرب.

ومع فشل العدو في تحقيق أهدافه، صب منذ البداية كل الحمم العسكرية على السكان المدنيين، وعلى الجرحى ومنع خروجهم للعلاج، وقطع الطعام والماء والدواء، ودمر المستشفيات ومراكز الإيواء، حتى أن الأمين العام للأمم المتحدة عدَّ غزة منكوبة مهددة بالمجاعة والإبادة الجماعية، التي قد تؤدي إلى وفاة عشرات الآلاف.

إن ما يسرع قبول الولايات المتحدة الأمريكية و«إسرائيل» وقف الحرب على غزة، والانسحاب منها مع رفع الحصار وإعادة الإعمار، يحتاج إلى زيادة الضغط العالمي والعربي، الرسمي والشعبي، وفي مقدمتهم شعب الضفة الفلسطينية، فنحن مصير واحد وشعب واحد، والمخططات المعادية تطال الكل الفلسطيني؛ مما يستدعي اتخاذ القرار الوطني الشعبي من كافة القوى، وأولها فتح للبدء باعتصامات شعبية «سلمية» دائمة وسط كافة المدن ليلاً نهاراً، وصولاً إلى العصيان المدني، رافعين الشعارات المتوافق عليها وطنياً لنصرة غزة (وقف الحرب فوراً، الانسحاب من غزة، تبادل الأسرى «الكل مقابل الكل»، وإدخال المساعدات وإخراج الجرحى) مطالب تطالب معظم شعوب الأرض حتى الجالية اليهودية بالولايات المتحدة الأمريكية تطالب بها.

إن قرار منظمة الأمم المتحدة (153) صوت، يعد سلاح بيدنا، ننتصر بالنضال معاً، وإذا هزمت غزة والمقاومة، هزمنا وهزمت القضية.

من روتينٍ سياسي وإعلامي باهت

إلى صدارة الأحداث العالمية

■ نبال عمر

كاتبة صحفية فلسطينية/ سورية

أُدخلت القضية الفلسطينية في غياهب النسيان، أو ربما هكذا كانت المحاولات الإسرائيلية والأميركية والغربية وبعض العربية؛

وكادت ألا تحظى بأدنى اهتمام.

جاء طوفان السابع من أكتوبر ليعيد ترتيب المشهد العالمي بل ويربك المحاولات الدولية لوأد القضية سياسياً وإعلامياً، ويضعها مركز الاهتمام الدولي حقوقياً وإعلامياً وسياسياً.

الحروب الطاحنة والأحداث الدموية

تسهم الحروب الطاحنة بشكل كبير في إماطة اللثام عن حقائق قد لا تكون واضحة أمام كثيرين، وتشكل رؤىً وتصوغ مفاهيم وأفكار واضحة تحتاج في أيام السلم إلى سنوات طوال وجهود حثيثة لترسيخها، بل وتشكّل أسئلةً لا يمكن للسلم الإجابة عنها أسئلة بدأت عربياً ووصلت إلى العالم أجمع، أسئلةً خاطبت الضمير العربي خصوصاً بعد انهزامات متكررة عسكرياً؛ منها

هل هذا هو جيش الاحتلال الإسرائيلي الذي لا يقهر؟!

ثم إذا كانت القوة العسكرية الإسرائيلية الغاشمة عاجزة عن حسم معركة مع قطاعٍ محاصر منذ سنوات

فماذا كانت تفعل الجيوش العربية السابقة مع الاحتلال الإسرائيلي؟!

لماذا كانت ولا تزال صفقات التسليح التي كلّفت الدول العربية ميزانيات فلكية إذا كانت جيوشها أضعف من أن تردَّ عدواً وأقل من أن تنصر حقاً؟!

ما جدوى التطبع مع كيانٍ شديد التوحش ولا يأبه بقانون إنساني ولا دولي في حسم خلافاته وتصفية حساباته؟!

نتائج طوفان الأقصى غربياً

كان الغضب الشعبي في الدول الغربية رداً على المجازر التي ارتكبها الاحتلال الإسرائيلي من أهم نتائج الحرب على غزة، بل ودفعت المظاهرات الهادرة وغير المسبوقة في جميع أنحاء الدول الغربية والعالم بالعديد من السياسيين الغربيين لمراجعة مواقفهم وحساباتهم، أما على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية بدا موقف الرئيس جو بايدن المؤيد لإسرائيل بل وشريكاً في هذه الحرب والإبادة الجماعية على شعبنا في قطاع غزة المحاصر يهدد حظوظه في الانتخابات الرئاسية القادمة وهذا مناقض تماماً للمشهد المعتاد تاريخياً والذي يستند على الدعم اليهودي للوصول إلى البيت الأبيض أو البقاء فيه

تزعزع المصداقية الإسرائيلية إعلامياً وسياسياً

ألم يجعل كيدهم في تضليل

أحد تداعيات طوفان الأقصى هو زعزعة المصداقية الإسرائيلية إعلامياً وسياسياً

فبالنسبة لما حدث في السابع من أكتوبر 3202،والتي صورها الإعلام الغربي والإسرائيلي على أنها تجاوزات خطيرة للمقاومة بحق المستوطنين وذلك لاستخدامها في تبرير حرب الإبادة على الشعب الفلسطيني وتجويعه وتعطيشه ومنع سبل الحياة واستهداف المنشآت الصحية والمدنية والتاريخية والصحفيين، لكن الصحف الإسرائيلية نفسها عرضت تحقيقات مزودة بصور واعترافات أن من قتل المدنيين المستوطنين هي طائرات الأباتشي حيث سقط الآلاف نتيجةً لهذه الهجمات بالنيران الإسرائيلية ونسب هذا التقرير بدايةً إلى صحيفة هآرتس والتي تقع في أقصى يسار المجتمع الإسرائيلي ولكن بعد فترة وجيزة أعادت نشر التقرير صحيفة يدعيوت أحرنوت والتي لا تتمثل يسار المجتمع الإسرائيلي على الإطلاق وأضافت عليه اعترافات لأسيرة كانت بقبضة المقاومة مع أخيها وخرجت بصفقة تبادل الأسرى برعاية قطرية أن دبابة إسرائيلية قصفت منزل في كيبوتس بئيري كان فيه أسرى مستوطنين ومقاومة وأن النيران الإسرائيلية قتلت أمها أثناء اقتيادهم إلى غزة وأضاف قائد الفرقة 99 في جيش الاحتلال الإسرائيلي لنيويورك تايمز أنه أوعز بقصف المنزل في كيبوتس بئيري حتى لو أدى ذلك إلى مقتل مستوطنين إسرائيليين، بالإضافة إلى قصة الأسرى الثلاثة الذين هربوا عند ما قصف الاحتلال مكاناً كانوا قد تواجدوا فيه وأثناء توغل جيش الاحتلال في منطقة الشجاعية بمدينة غزة كتبوا على الأقمشة المعلقة أنقذونا بالعبرية ولكن جيشهم لم يكترث وآثر قتلهم على تحريرهم ولكن ضغط أهالي الأسرى وانتشار هذه القصة على الإعلام الإسرائيلي فتَّ بعضد المشتغلين في الهاسبارا الإسرائيلية وزاد الضغط وأثار أسئلة في جميع وسائل الإعلام العالمية

إذا كان هؤلاء أسراهم وصرخوا بالعبرية وخلعوا ثيابهم ورفعوا رايات بيضاء ومع ذلك قتلوهم في نيرانهم فكيف يتعاملون مع مدني شعبنا؟

مجمع الشفاء، واستحالة شفاء مصداقية الاحتلال

كانت مزاعم قوات الاحتلال الإسرائيلية فيما يخص مجمع الشفاء الطبي واستخدام المقاومة له كمركز قيادة رغم أن الاحتلال هو من بنى هذا المجمع الطبي قبل أن تعيد السلطات المصرية ترميمه وتوسيعه وأن الاحتلال هو من بنى غرفاً محصنة أسفل المجمع في الفترة التي كان فيها محتلاً لقطاع غزة بل وكان الاحتلال يروج إلى هذه المزاعم منذ العام ألفين وثمانية.

وبعد الاقتحام تبين أن هذه المزاعم والفيديوهات الجرافيكية التي بثها الإعلام الإسرائيلي، أصبحت فضيحة مدوية تنهش ما تبقى من صورة الاستخبارات الإسرائيلية المروج لها منذ عقود ولم يكتفوا بذلك بل أعادوا المحاولة لاستعادة هيبة استخباراتهم المهترئة وحاولوا تصوير فيديوهات لاقت استهزاءً عالمياً وصنفتها صحف كبرى بأنها لا ترقى لمستوى الترويج السابق بأن المجمع الطبي هو مركز لقيادة المقاومة وصنفها الرأي العام بأنها ساذجة وتستخف بعقول العامة.

وسائل التواصل الاجتماعي لهم كأسلحة الجيوش العربية في النكسة رصاصهم فيها نحوهم

لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دوراً كبيراً في كسر احتكار وسائل الإعلام المؤيدة للاحتلال الإسرائيلي عالمياً، ولعب الجيل الثالث من المهاجرين العرب والمسلمين، خصوصاً في الجامعات الأميركية والغربية دوراً كبيراً في نشر الوعي، وبدا أن جيل الشباب الغربي ومن ضمنهم تيارات يهودية أكثر تحرراً وأكثر دعماً للقضية الفلسطينية وأكثر عمقاً في وعيه من الأجيال التي سبقته وبدا الدعم الغربي أكثر انتشاراً من أي وقت مضى وشهدنا تحركات شبابية تصل لمجلس الشيوخ الأميركي وتحاصر وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكن بالهتافات والشعارات والأكف الحمراء للدلالة على الإبادة وقتل الأطفال وبدأت هذه الاحتجاجات الهادرة تلاحق غيره من السياسيين الغربيين الداعمين والمؤيدين لحرب الإبادة الإسرائيلية بأسلحة أميركية على القطاع وساكنيه المحاصرين.

الجيل زد وإحصائيات دعم القضية الفلسطينية عالميا

فتح الجيل زد جبهة على الاحتلال الإسرائيلي إعلاميا

أظهرت استطلاعات الرأي الأخيرة أن أغلبية الشباب الأميركيين تبنوا مواقف غير داعمة لإسرائيل على الإطلاق ويبدو أن الجيل زد المتمثل في أواخر التسعينات وصولاً لعام 0102، لديهم آراء ومشاعر سلبية عن الاحتلال الإسرائيلي أكثر بأضعاف مقارنةً بالأميركيين الأكبر سناً.

وكان من الصادم لإدارة بايدن أن استطلاع الرأي الذي أجرته جيروزاليم بوست أن 15٪ من الشباب في هذه الفئة العمرية المتمثلة بين 81_42 عام يعتقدون أن حلّ الصراع الإسرائيلي الفلسطيني هو إنهاء إسرائيل وتسليمها للمقاومة والفلسطينيين.

وكما أظهرت النتائج أن غالبية الأميركيين الذين تتراوح أعمارهم بين 81_43 عام يرون أن الاحتلال الإسرائيلي يرتكب إبادة جماعية وتطهير عرقي، وردّاً على سؤال عمّا إذا كانوا يعتقدون أن حركة المقاومة الفلسطينية منظمة إرهابية لا يمكن التفاوض معها لتحقيق السلام قال 67٪ من الأميركيين أنه يمكن التفاوض معها بل ويجب ذلك

وبحسب استطلاع منفصل فإن 76٪ من المستجوبين يرون أن اليهود في فلسطين المحتلة ظالمون ويجب معاملتهم وفق ذلك.

ويتبع هذه الاستطلاعات الكثير من التحليل والتأويل في الولايات المتحدة الأمريكية لا سيما أن هذا الجيل سيسيطر على مراكز صنع القرار الأميركي في السنوات القادمة.

وفي سياق منفصل عن استطلاعات الرأي الأميركية ظهرت إحصائية من معهد دراسات الأمن القومي الإسرائيلي نسبة 59٪ من تظاهرات العالم مع القضية الفلسطينية مقابل 5٪ فقط مع الاحتلال الإسرائيلي ومقابل كل منشور يدعم السردية الإسرائيلية هناك ثلاثة منشورات تدعم السردية الفلسطينية.

وفي تعليق على الاستطلاعات الأخيرة وتحول الرأي العام جذرياً نحو دعم حقوق الشعب الفلسطيني قال أستاذ العلوم السياسية في جامعة شيكاغو البروفيسور جون ميرشايمر أنه في الأيام الأولى للحرب على غزة كان 96٪ من الرأي العام العالمي مؤيداً للفلسطينيين و13٪ مؤيداً للاحتلال الإسرائيلي ولكن منذ 31 أكتوبر حتى اللحظة أصبح تأييد القضية الفلسطينية بنسبة 59٪ من الرأي العام العالمي.

الجيل زد من شعبنا الفلسطيني

نحن نحمل في ذاكرتنا قصص الأجداد عن المجازر التي ارتكبها الاحتلال الإسرائيلي وبيدنا الآن أدوات لنسلط الضوء على مرتكبيها منذ عقود ودرسنا تاريخ الشعوب ونعلم يقينا أن لا مستقبل لاحتلال غاشم على أرضنا.

طوفان الأقصى
وسرديات الزمن القادم ...

أحمد علي هلال
ناقد أدبي وباحث روائي فلسطيني/سورية

في افتتاحية الحدث وصيروراته المحتملة، ستبدو تجليات السابع من أكتوبر بوصفها ارتدادات متواترة ستأخذ دلالة الطوفان إلى مديات أبعد ليس في التاريخ والجغرافيا فحسب، بل في الثقافة ومكوناتها المؤسّسة والمؤسسة، لتأخذ تعبيراتها الجديدة ، في السياقات المتجددة وبمستوياتها المختلفة -كمّاً ونوعاً- وانفتاح دلالة، ستعني الطوفان وما بعده من النتائج إلى استعادة المقدمات، استعادة نقدية ستشكل الأساس الجديد لقراءة المشهد وانعكاساته على غير صعيد لا سيما على الصعيد الثقافي والذي سيعني بدوره إعادة تشكل المنظومات الفكرية الجديدة في ضوء المتغيرات، وهذا لا يعني أبداً في قراءة المشهد وظلاله الكثيفة إلا بعداً تراكمياً سيشكل مفصلاً نوعياً أي أنها قراءة للتاريخ الجديد والمتجدد، معافي المسألة الثقافية وما يتصادى في الوعي الثقافي الفلسطيني الجمعي، ووصولاً إلى المشهد الإنساني والكوني الذي يتلاحم الآن مع مفردات الطوفان، تماماً كما شكلت لفظة انتفاضة في أعقاب الانتفاضة الفلسطينية الكبرى _ ثورة كانون _تحولات هائلة في الوعي الإنساني وما يشترطه الواقع المتجدد من قراءات محايثة وفاحصة خاصة على مستوى الأنساق الجديدة، فكرياً وإنسانياً بآن معاً.

والسؤال الحاسم هنا والذي سيأخذ استحقاقه، كيف ستقارب الأجناس الأدبية -على سبيل المثال- سؤال الطوفان تجاوزاً لالتقاط اللحظة وحسب، إلى الاستشراف وما يعنيه في الوعي الجديد.

ولعل أفعال الاستشراف المنشودة، التي

ستلتحم بمرجعيات الواقع الفلسطيني بمكوناته واشتعال حدثه ستملي نهجاً جديداً في العلاقة مع الكتابة أبعد من دلالة التوثيق إلى انفتاح في القراءة بأدوات جديدة ناظمها الوعي ومحصلتها إنتاجية معرفية تعيد تأسيس العلاقة مع الواقع الفلسطيني، ونهوضاً بالمحكيات الكثيفة التي ستشكل مع الوقت خزاناً أثيراً لذاكرة المبدعين والكتاب، بل أكثر من ذلك ستمثل في الراهن كثافة الإلهام الذي سيفترع متخيله الواقعي ومأثرته الفذة، نهوضاً بما جرى ويجري.

إذن ليست محض محكيات تُروى بسرد جمعي وبتفاصيل حارقة، بل ذهاباً إلى ما نصطلح عليه بالمدونة الكبرى، أو الجدارية التي تحمل في أجزائها كل حكاية ممكنة وكل مشهدية ستعني ما بعدها، فالأسماء ليست أرقاماً وما يستدخله الواقع من اصطلاحات جديدة، من مثل مسافة الصفر، ستعني للحكاية بدءاً، ميثاقاً جديداً ينوع فيها استثماراً للحدث وتوطيناً للدلالات الجديدة، فالسرديات هنا كلها سوف تتلاحم عضوياً لتتوهج تلك الجدارية وتزخر المدونة بكبرى العلامات على المستوى الواقعي وما يعني في الراهن أيضاً من دلالات بالمعنى النقدي سيميائية، لا لحظية فحسب وهذا ما يعنيه الاستشراف بأدوات مختلفة تحرر في الوعي معنى الطوفان، وبدءاً من الشعر ووصولاً إلى الرواية وما بينهما من أجناس، سيكون السؤال الكبير ليس سؤال النصوص، بل سؤال الثقافة واشتقاقاتها ونحتها لا تدويرها، ومن ثم سؤال المثقف الفاعل حينما يكون شاعراً أو روائياً أو باحثاً، منتبهاً للبنى والأنساق الجديدة ليحرر المعنى الكلي في قضية تعود من جديد تعني الفلسطيني أولاً قادراً على جعل فلسطينيته كونيةً بما يكفي، وبدوره يستدعي ذلك التأسيس نظراً لكثافة المرجع تحديداً للأولويات التي ينبغي أن يشتغل عليها المبدعون، من مثل أن تنهض سردية كبرى لابد لها من التقاط الفارق النوعي الذي جعل من طوفان الأقصى أكثر من حدث سيعني ثورة، ولحظة بدء لا تتكرر وليكون المعادل البلاغي والرؤيوي متناسباً بالضرورة وبممكنات اللغة الطليقة، فتحاً في أفق جديد أو هو المتجدد على الدوام، ولعل من مقومات هذه السردية حتى تكتمل في الوعي أن تكون مشروعاً يحمل وجهي البطولة والمأساة بآن معاً، إذ هما في جدلية وتكامل لا ينفصلان ولا ينفصمان كإحداثيات للمشهد بكليته، سيتعدد الرواة داخل نسيج هذا المحكي الجمعي وستتلون بإيقاعات ما التقطته الذاكرة البصرية، لتعني للتاريخ ما هو أكثر من تأريخ، وستعني للقراءة ما يحملها على أن تكون طازجة كل لحظة استدعاء.

الثقافة من مسافة الصفر

لا ريب أن الحديث مجدداً عن أدوار الثقافة والمثقفين، سيتعدى الدلالة التاريخية والعضوية للمثقف، تعالقاً بلحظة الاشتباك المفتوحة عبر أزمنتها وأمكنتها وخطابها الثقافي الجديد، وباستعارات جديدة أيضاً لا تعيد تأصيل المسألة الثقافية في الوعي إلا من أجل أن تكون سردية الوعي هي العلامة الفارقة في العلاقة مع أشكال الإنتاج الإبداعي، والذي يمكن له أن يشكل زخماً لتلك اللحظة الفارقة، ولعلنا نتساءل هنا عطفاً عما جهر به المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد في حديثه عن الثقافة والإمبريالية، أي بمعنى هل سيفرض (الواقع المشخّص) (تفجيراً لحدود اللغة، تفجيراً (من الداخل المتحرك) لتحتفظ اللغة بمقومات جوهرية ونهج تجسيدها للبنى الأساسية في الثقافة والتاريخ العربيين)؟.

هذا السؤال على أهميته وحساسيته وفي مفصل شديد الوعورة، سيحيلنا إلى تلك الأشكال الإبداعية على مستوى الأنواع والأجناس المختلفة، فضلاً عن الفنون الأخرى، أي إلى كيفياتها المحتملة من أجل صوغ هوية تشي بثقافة المشروع المضاد، ولعلها أيضاً سترسم خريطة جديدة للمقاومة في الأدب الفلسطيني والعربي على حد سواء، لكن ما هو نسق هذه المقاومة الجديدة وباستعاراتها المتجددة، مسافة الصفر وغيرها ممن عزز مصطلحات تم تداولها تشكيلاً للمعنى من المقاومة والتقاطاً لحساسية الثقافة والمقاومة بآن، فمن تأريخ الثقافة وتصادي التاريخ في الرواية الجديدة وموضعة سردياتها في أمثولات الوعي الحارس، إلى إعادة امتلاك الثقافة بوصفها العنوان الأبرز، والذي يتم الاشتغال عليها بمرجعيات وأدوات ينبغي لها أن تتعالق مع حداثة اللحظة وأصالة الفكرة، فتأمل ما ينتج الآن من نتاجات متعددة لا تعني التأريخ المباشر على أهميته، ولكنها ستعني إندغام الخيوط الذهبية في جدارية الحياة، وبخصوصية التجربة الفلسطينية ستنفتح سردية الوعي لتبني الرواية الفلسطينية المضادة لرواية الاحتلال، رواية جمعية بفرادة أصواتها وأصالة فهمها لمحمولاتها التاريخية والفكرية، في لحظة استثمار واستشراف ضروريين لفهم مغزى الأدب والإبداع، وصولا إلى الثقافة بالمعنى الكامل للكلمة.

إذن، ثقافتنا الفلسطينية المعززة بحس نقدي استشرافي هي ما ينبغي أن تكون المهاد المتجدد الذي تعمل فيه شواغل المبدعين، انتصاراً للمعنى وتشكلا له وبعثاً جديداً لروح لشعب، وفرادته حدَّ الأسطورة بل ما هو أكثر منها، فما الذي يقابل تلك التضحيات الجسام وبمحكياتها المتواترة، على أرض غزة وفلسطين بأسرها، فضلاً عن ذلك ما الذي يقابل محاولات تفكيك الوعي الفلسطيني واحتلاله مع الأرض؟.

الحيوات... على قارعة الطريق وليست محض أفكار نلتقطها لنبني متخيلنا الواقعي، في فضاءاتنا المفتوحة على افتراع الحياة لا تأبيد الموت، ذلك ما يشي للنصوص أن تمتلك ديناميتها بما يكفي لئن تولد شرارة الاحتكاك مع الثقافة المضادة بكل مكوناتها وأوهامها وزيفها ومكرها، من أجل تلك المدونة الكبرى التي تستعيد العدالة لأنبل قضية مازالت تعبر من التاريخ إلى التاريخ، ومن الحاضر إلى المستقبل، تعبر بكل إرثها ومحمولاتها وقوام حكاياتها الفلسطينية الحارة بالدم والبارود، والمشرقة بفن اجتراح الحياة.

وما نعنيه في الرواية سنتطير منه إلى الأجناس الأخرى، في لحظة الإرهاصات الكثيفة والانتظارات، لتكتمل الرؤيا بمشهد ثقافي أكثر قدرة على التعافي والخلاص، الخلاص بالجمال والمقاومة تلك جدلية، أي الجمال والمقاومة، ينبغي لها أن تكون الهاجس الأبرز في الشواغل الإبداعية، لأن جدارة الحياة مقاومة، واستعادة الإنسان فكرة وقضية جسارة أكبر، ولأن الحقيقة هي سادنة الثقافة، فهي الأبقى والأكثر نصوعاً بنصوصها الحية المتحركة هناك على أرض النار بالمعنى الجمعي، أرض لن ترحل عنها الشمس وبحبرها تكون الثقافة النبيلة إحدى أسلحتنا المعرفية، لتظل كينونتنا وكياننا مندغمين أبداً بأرض النصوص الجديدة.

وصية غسان كنفاني من غزة

■ د. ماجدة حمود

ناقدة أدبية وأستاذة جامعية من سورية

كتب غسان كنفاني، منذ أكثر ستين سنة (1956) وصيته من غزة إلى شباب فكروا بلحظة خانقة بهجرانها، وقد جاءت هذه الوصية في زمن لم يحتلها الصهاينة بعد! أي أثناء حكم المصريين قبل هزيمة (1967) رغم ذلك لم يتوقف هؤلاء الصهاينة من العدوان عليها.

وجدنا هذه الوصية في إحدى قصص مجموعته «أرض البرتقال الحزين» وهي بعنوان «ورقة من غزة» اختار لها كنفاني شكل رسالة؛ ليحافظ على حميمية التلقي، ويضمن أعلى درجات المشاركة والتفاعل مع معاناة أهلنا في غزة، التي مازال معظمنا يعيش آلامها اليوم بإحساسه لا بأفعاله.

يلاحظ أنه كتبها بعد النكبة بسبع سنوات، ليبرز فيها وحشية الصهاينة، الذين تمنوا ومازالوا إلقاء غزة في البحر، لهذا يحاولون، اليوم مثل الأمس، تحقيق حلمهم هذا بإبادة أهلها، الذين هم، في معظمهم، ممن طُردوا من أرضهم (عام 1948) التي يرونها بالعين المجردة، دون أن يستطيعوا الوصول إليها! لهذا كانت أية محاولة منهم للعودة إليها، لابد أن تجابه بالقصف والعدوان.

وصلت هذه الوصية إلى المتلقي بصوت شاب غزاوي، حاصره واقع بائس، مثل كثير من الشباب العربي، فقرّر في لحظة قهر أن يهاجر مثل صديقه إلى (كاليفورنيا) التي تكاد تكون مأوى أحلام أيّ شاب عربي، لعله يستطيع الهرب من بؤس حياة، يعيشها غريبا في إحدى مدن الملح، فتمرّ أيامه فارغة من أيّ هدف سوى التوق إلى آخر الشهر!

حاول كنفاني أن يختار فضاء زمنياً موحياً (عطلة الصيف، التي أنهى فيها البطل عمله التدريسي في مدن الملح) فيستطيع العودة إلى وطنه؛ ليودّع أهله، ويستعدّ للسفر إلى أمريكا.

عانى الشاب من بؤس مدينته (غزة) حتى إنه أحس شوارعها الضيقة الدبقة تحاصره، وبذلك انعكست نظرته الكئيبة على الفضاء المكاني، فعاش فيها رتابة يومية، أوحت له بعبثية حياته، وبذلك ضاع منه معنى وجوده فيها، ولم يستطع تحقيق ذاته؛ لذلك كانت أقصى أحلامه الهرب من مكان، لا يجد فيه هدفا لحياته؛ فكان البديل حلم الهرب إلى الغرب، حيث الخضرة والماء والوجه الحسن! إنه، مثل أيّ شاب، يريد أن يلبي رغبة مسكوتا عنها، تتيح له التفرّغ لذاته، بعد أن أجبرته ظروف النكبة والمخيم على العيش من أجل غيره (أمه وأرملة أخيه وأولادها)

إذاً أشار كنفاني، في هذه الوصية، إلى انكسار أحلام الشباب العربي، الذي عاش، ومازال، صراعا بين البقاء في مدينته الفلسطينية (غزة) التي هُجّر إليها، فيواجه واقعا بائسا، لا يمكن لأحد سوى الشباب مواجهته، وبين الرحيل وراء حلم، يلبي حاجاته الضرورية وأحلامه، وبالتالي يدفعه ليعيش مثل غيره من الشباب حياة أكثر إنسانية!

بات الشاب الفلسطيني يعاني أزمة داخلية بين الرضا بالتضحية بحياته من أجل الآخرين، فيتمسك بحنين، يشدّه إلى أهله وذكرياته في وطنه (غزة) وبين الإصغاء للحظة أنانية، تدفعه إلى ترك حياة مأساوية، تشدّه خيوطها إلى الأسفل، فيعيش في بيئة مغلقة على البؤس، إذ إن غزة «أضيق من نفس نائم أصابه كابوس مريع، بأزقتها الضيقة، ذات الرائحة الخاصة، رائحة الهزيمة والفقر» (القصص القصيرة، م2، ص344)

لكن الفلسطيني، يرفض هذا الخيار، حين يقترب من نبض الحياة بين أهله، فيلمس صمودهم في هذه البيئة البائسة، رغم قذائف العدوان الصهيوني؛ التي تحيل حياتهم جحيما، يهربون منه!

تخالف هذه الوصية أفق توقع الشباب المهزوم، فبدل أن ترسل رسالة هروب من غزة، تصبح دعوة للتشبث بها لمن يعيش فيها، أو العودة إليها؛ وقد جسّد الشاب خيار البقاء؛ لهذا أرسل رسالة اعتذار عن تلبية دعوة صديقه للرحيل إلى (كاليفورنيا) رغم أنه هيّأ له أسباب السفر! فقد سمع أن ابنة أخيه (ناديا، التي مازالت في الثالثة عشرة) قد أُصيبت، إثر العدوان الصهيوني، في المشفى، تريد رؤيته!

وثّقت هذه الوصية «ورقة من غزة» لمعاناة الشباب، دون أن تنسى معاناة أطفال النكبة من بؤس اللجوء، فهم من حمل مسؤولية الرجال، التي أنستهم أفراح الطفولة وألعابها ولا مبالاتها!

وكي يبعد القصة عن اللغة المجردة، وضّح كنفاني معاناة طفلة بريئة بسبب شظية قطعت رجلها من أعلى الفخذ، سرعان ما يرى فيها المتلقي، دون أن يشعر، ممثلة لجيل من أطفال فلسطين، مازال يدفع، غالياً، ثمن عدوان، تخلى عن إنسانيته، إذ وجد، وما زال، في طفولة هؤلاء تهديدا لوجوده في الحاضر وفي المستقبل، لهذا سعى إلى تدمير هذه الطفولة بكل ما يملكه من أدوات وأسلحة، حتى جعل الحياة السعيدة لديهم ضربا من الشذوذ الاجتماعي! وقد تأكّد من ذلك الشاب (المرسل) فقد اكتشف أن ابنة أخيه الطفلة، لن تستطيع تحقيق حلمها البسيط (ارتداء بنطال أحمر) في هذه اللحظة، خرج من المشفى؛ ليبحث عن عزاء له، فلم يجده إلا بالوقوف على أرضه، فقد غيّرت تضحية الطفلة نظرته السوداوية، حتى إن الفضاء المكاني في غزة، بات خير مشارك لآلام أهلها، إنه تنتفض حزنا على ساق (ناديا) المبتورة، ولم يكتفِ بمشاركة الفلسطيني حزنه، بل شاركه أيضاً بزوغ روح التحدي، ومواجهة الظلم، الذي يزداد قتامة مع كل قذيفة، فيعلن وحشية عدو، يتقصّد إصابة الأطفال، منذ نشأته إلى اليوم، وإلّا ما معنى قصف المستشفيات؟ ما معنى قطع الكهرباء والوقود عن مستشفيات تحتضن الأطفال والخدّج؟

تكشف هذه الوصية أن قتل أطفال غزة، وتشويههم، هو سعي العدو لقتل كل فلسطيني، يتشبث بأرضه، لعله يقضي على إرادته وقدرته على الاستمرار في الصمود، وبذلك يوحي للمتلقي أنه لا يمكن أن ينجح في محو الفلسطيني من أرضه، كما تطمئنّه إلى أن هذا العدو لن ينجح في تحقيق هدفه هذا، فحزن الإنسان على أحبته أمر بديهي، لكنه لن يكون حزنا عاديا، يضعف الإرادة، ويقتل الحلم بمستقبل، أو استحالة عودة أرضه، لهذا يلاحظ المتلقي إلى أنها ستشاركه، رغم احتلالها وحرقها، الدفاع عنها والوقوف في وجه المعتدي، أي تشاركه التحدي، الذي يجعله كنفاني مكافئا لـ»استرداد ساق ناديا المبتورة» تلك الطفلة، التي ألقت بنفسها، أثناء قصف بيتها، على إخوتها؛ لتحميهم من النار، وقد كان باستطاعتها أن تنجو بنفسها، لكن روح الطفولة المعطاءة، دفعتها لحماية غيرها، وعدم التفكير بأنانية، رغم أنه كان بإمكانها أن تهرب، وتنقذ نفسها، لكن رفضت خيارا، يحفظ حياتها دون أحبتها، وبذلك تبدو وصية كنفاني، التي يرسلها من غزة، دعوة إلى العطاء والتضحية، بل تخبره بحقيقة أن الحياة الكريمة، التي تليق بالإنسان، لن تكون بمعزل عن الآخرين، لهذا تحتاج إلى روح التحدي والمقاومة، التي يحدد كنفاني طريقها، الذي يبدأ بتعزيز قيم إنسانية، تقوّي أعماق النفس، فتقوّي عندئذ ارتباطها بأرضها وبأحبتها!

إنها وصية لرفض الظلم، الذي مازال يحاصرنا، إذ لن ينقذنا سوى شعور الانتماء إلى الأرض الفلسطينية، التي تجسّدها قيم المحبة والتضحية من أجل الآخرين

حفّزت وصية كنفاني المتلقي للبحث عن معنى لحياته، الذي يكافئ الشعور بالانتماء للوطن، لهذا ختمها بدعوة البطل لصديقه، الذي سبقه في الهجرة إلى أمريكا، بأن يعود إلى غزة؛ ليتعلّم من ساق نادية المبتورة معنى الحياة بكل دلالاتها السامية، وبذلك يجد هدفا، يسير به نحو الطريق السليم!

إنها وصية ابن فلسطين البار، الذي التحم حرفه بدمه، توجّه من خلالها؛ ليخاطب ضمائرنا اليوم، مع قذائف عدو، تنهال على الكبار والصغار، دون أن تنال من عزيمتهم، فهؤلاء هم أحفاد غسان كنفاني و... الذين يعيشون وصيته، كما عاش، بنبض دمهم.

حين يقول غزاوي للإنسانية

كفى!

■ تغريد عبد العال

شاعرة وكاتبة فلسطينية/لبنان

عندما تحدث العالم عن الأخلاق، والقيم والمعايير، كنا ربما نؤمن بكلمة إنسانية، وجاءت الحرب على غزة لتكشف اللثام عن عالم لا يعرف كل هذا، فتغيرت نظرتنا للأمور، عرفنا أن كل هذا موجود في غزة وحدها، في فكر وروح طفل مقاوم ببقائه وحيدا في البرد والجوع. فربما سمعت الشعوب كلمات الطفلة الباكية التي تنادي على أبيها.

تغيرت معايير هذا العالم، وأصبحت فكرة الأخلاق فكرة طوباوية لا تمت لصلة لعالم الغرب المزدوج المعايير، والعدو الذي هزم أخلاقياً أمام مقاومة أثبتت للعالم أخلاقها وإنسانيتها.

فبالإضافة لكلمة إنسانية، هناك أيضاً إنسانوية، وهي كما تعرفها ويكيبيديا، مجموعة من وجهات النظر الفلسفية والأخلاقية، التي تركز على قيمة وكفاءة الإنسان. لكن حتى هذا التعريف لا يجد له قيمة عند أعداء هذه الإنسانية.

هكذا نرى أن العالم أصبح أمام اختبار كل يوم، لكي يشعر بمعنى انتمائه للأخلاق في مواجهة الشر والإجرام، فأصبحت فلسطين هي الاختبار اليومي للمعنى الأخلاقي. فماذا يعني أن يشاهد رجل من غزة جاء إلى لبنان قبل الحرب، كل أشكال الحياة المختلفة والملونة، بينما تعيش في ذاكرته وذهنه صورة أهله المنكوبين في القطاع؟

هكذا يحدثنا الغزاوي، بينما تمر السيارة من شارع الحمرا، هل الناس يعيشون حياة طبيعية؟ أم أن الحياة لا يمكن أن تكون طبيعية بعد الآن؟ يسأل هذا السؤال بينما يشرح لي أن عائلته ستنام الليلة تحت شجرة في الشارع، وينظر حوله ليراقب شجرة الميلاد.

ينظر الغزاوي إلى الناس في المقاهي، بينما تمر في ذهنه صورة الأطفال الذين يقتلهم جيش الاحتلال ويحكي لنا عن أنهم جائعون وعطشى، وأنه بين اتصال واتصال بهم، يسأل نفسه: لماذا اتصل؟ لأن أخبارهم سيئة جدا وأكثر سوءا من عدم الاتصال بهم. يراقب الناس وهو يعلم أن ألم غزة أكبر من كل آلام هذا العالم. ربما يجعلنا نتساءل لماذا نعيش في عالم لا يحترم القيم، ولا يحترم الإنسان؟

تمر أسئلة الميلاد أمامنا، بينما نحن نتذكر أن الثورات والمقاومة كلها في العالم، فهل قامت كلها لمنع الظلم وظل الظلم قائما حتى الآن؟ ألم يجد فرانز فانون أن النضال من أجل الحرية يذهب أن يذهب نحو نضال إنساني. فقد تجاوز النضال الهويات الوطنية إلى حدود أوسع. وجيفارا يشير أنه:» أينما كان الظلم فذاك هو وطني». لقد جعلت غزة من هذا العالم يعود إلى قيمه الحقيقية ويعيد التفكير بمعناها، إنه يعيدنا الى معنى أن تكون في هذا العالم وهو لا يعي بعد أهمية الأخلاق.

ربما أيضاً أحد أهم الأمور التي تطلعنا عليها غزة هو إمحاء الفاصل بين السياسي والأخلاقي والقيمي والثقافي والإنساني، فعندما نقول مقاومة، فهي تعني كل هذا، وعندما نقول أن هناك شعب يقاوم، فهو يقاوم ثقافيا وفكريا وسياسيا وإنسانيا.

يسأل معظم الناس ذلك السؤال الاعتيادي: ما الذي يمكننا فعله؟ الحديث عن فلسطين، أم نشر المحتوى الهادف على السوشال ميديا، أو التبرع، أو المظاهرات. يقول الغزاوي أن كل هذه الأشكال من الدعم تعطي الإحساس أننا لسنا وحدنا وأن هناك في هذا العالم ما يسمى التضامن.

ففي كتابها:» الالتفات إلى ألم الآخرين»، تقول الكاتبة الأميركية سوزان سونتاغ: إن الصور التي تعكس أعمالا وحشية قد تثير أعمالا مضادة: دعوة للسلام، أو صرخة للانتقام، أو ربما وعياً مربكاً يعاد تخزينه باستمرار بواسطة المعلومات الفوتوغرافية بأن أشياء مريعة تحدث». وتقول أيضاً في الكتاب نفسه حول الألم:» تعرض الصورة تجربة الألم بدلا أن تسردها، فتصبح الصور قطعة من العالم لا تقريرا عنه».

ولكن الفوتوغرافيا ليست وحيدة، فغزة صارت أكثر من صورة، وأكثر من صوت، أنها جسد حقيقي يراه العالم يتألم بلغة أطفاله ونسائه ورجاله. فصارت فيديو واتصالا هاتفيا..

لكن الغزاوي تساءل في رؤيته وسماعه لألم أبنائه، أي تقرير عن هذه التجربة ستكتبه الصور الخارجة من المجزرة؟ وهو لا يسمي ما يحدث حرباً، يقول إنها مذبحة ترتكب يوميا، هو يعلم أن هذا الألم الذي يشعر به أطفاله ليس مجازاً، انه أكبر من مجاز أو بلاغة، أنه عالم بحد ذاته من الصبر. ولكن الغزاوي يخفف عن ابنه الذي يشرح له أن العالم كله تخلى عنه، وأن ما فعله له جنود الاحتلال لا يمكن ان يحتمله أحد، فيقول له: يفعلون ذلك معك لأنك بطل».

«الالتفات إلى ألم الآخرين»، يجعل غزة معبرا لكل أمكنة العالم إلى معنى الألم، فنفكر كيف ستمر كل هذه الأعياد، وكيف مرت هذه السنين وانتهت عند هذه السنة؟ ربما تركت كل المدن شوارعها وآثارها ومقاهيها وألعابها وراءها وركضت الى غزة. ففي حضرة ألمها ستعرف كل البلاد معنى الميلاد. وستكون غزة هناك جاهزة لاحتضان تعب العواصم، حين تنفض الجغرافيا كلها غبار الترف واللامعنى..

هكذا يبتسم الغزاوي حين نراه كل صباح وهو يحاول أن يخفف الألم بسؤالنا عن أحوالنا، ينفض عن روحه عبء الحروب ويطمئن على حياتنا، ربما يحاول أن يقول لنا بلغة أخرى: لقد تعبت لكنني أعلم أن علي أن أتألم ففلسطين ستكون حرة قريبا». يتحدث ألمه إلى هذا العالم بطريقة لا تستطيع الكاميرات والصور فهمها، فيقول لنا: كل ما يحدث الآن لا تستطيع الكاميرات توثيقه، إنه جريمة كبيرة جدا وسيقتلون من يستطيع الوصول إليها.

كيف تعامل الأدب المقاوم مع جرائم الاحتلال الإسرائيلي

وتوثيقها في معركة طوفان الأقصى

■ تغريد بو مرعي

شاعرة ومترجمة/ لبنان

إن الأدب المقاوم يشير إلى الأعمال الأدبية التي تعبر عن المقاومة ضد الظلم والقهر، وتسعى لتغيير أو تحسين الوضع الاجتماعي والسياسي. يهدف إلى تحفيز التفكير والوعي الاجتماعي، وتسليط الضوء على قضايا العدالة والحقوق، فيشكّل تأثيرًا في وجدان الجماهير وتوجيهها نحو التفكير النقدي والتحرك.

يظهر أدب المقاومة كوسيلة فعالة للتعبير عن التحولات الاجتماعية والسياسية وتسليط الضوء على قضايا الظلم والاضطهاد من خلال روايات قوية وشخصيات مؤثرة، مما يحفز الوعي الجماهيري ويثير الانتباه لهذه القضايا، فأدب المقاومة يساعد في توثيق الوضع الاجتماعي والسياسي القائم، مما يمكن الجماهير من فهم الوضع بشكل أوسع وأعمق، بالإضافة إلى أنه يدعو القراء إلى التفكير النقدي واستجواب الأوضاع القائمة، مساهمًا في تحفيز التحولات الفكرية والاجتماعية، كما أنه يقوم بخلق روح التضامن والوحدة بين الأفراد والمجتمعات المتأثرة بالظلم، مما يشجع على التحرك المشترك لتحقيق التغيير..يمكن للروايات والقصص القوية دعم الحركات الاجتماعية والسياسية، حيث تصبح مصدر إلهام للأفراد للمشاركة في النضال من أجل العدالة.

مؤخرًا ساهم أدب المقاومة في تشكيل وجدان الجماهير وتوجيهها نحو فهم أعمق للقضية الفلسطينية والقضايا الانسانية والسياسية وتوثيق جرائم الاحتلال الاسرائيلي في معركة طوفان الأقصى، مما ساهم في إحداث التحولات وتحقيق التغيير في فهم الحقائق وكشف الأكاذيب عبر التاريخ، وشكّلت نافذة على التفاعل ونقل الآراء إدانة لكل أنواع العنف والإرهاب الاسرائيلي، تعبيرًا تضمنياً من مختلف الشعوب حول العالم مما أسهم في تكوين وعي عالمي...

هل ساهمت حركة الأدب المقاوم في التغيير وكان لها دور فعال في تسليط الضوء على القضية الفلسطينية ومعاناة الشعب الفلسطيني المظلوم وتوثيق جرائم الاحتلال؟؟

قضية فلسطين ومعاناة الشعب الفلسطيني كانت ولا تزال حاضرة في الأدب المقاوم، الذي لعب دوراً هاماً في تسليط الضوء على الجرائم والمجازر التي تقوم بها اسرائيل. كثير من الكتّاب والشعراء والفنانين قد استخدموا أعمالهم للتعبير عن الظلم الذي يواجهه الشعب الفلسطيني والصراعات الدموية المدمرة مع المحتل، فكانوا دعاة للسلام والعدالة في العالم، ودعاة إلى وقف العنف، وإظهار الحقائق وحماية حقوق الإنسان. فالشعراء لديهم القدرة على إلهام الأمل والمرونة. إن توظيف كلماتهم ونقل رسائل قوية وتحفيز التفكير والتأمل يمكن أن ترفع معنويات الناس بتذكيرهم بقوتهم وإرادتهم من أجل التغيير وإمكانية مستقبل أفضل، وسيذكر التاريخ في صفحاته(ديوان طوفان الأقصى) بمبادرة الشاعرة والمترجمة اللبنانية تغريد بو مرعي التي دعت لهذا الديوان فاجتمع فيه مئة قصيدة لمئة من شعراء الوطن العربي كما قامت بترجمة الديوان إلى اللغة الإنجليزية توثيقًا لهذه الملحمة التاريخية ، وسيذكر التاريخ أيضًا ديوان طوفان الأقصى بمبادرة أطلقها الشاعرين الكبيرين سعيد يعقوب ودكتور صلاح جرار من الأردن استجاب لها مئتين وثلاثين شاعرًا عربيًا من مختلف الأقطار العربية ، وأيضًا ديوان « طوفان الأقصى» بمبادرة الشاعرة الجزائرية وردة أيوب عزيزي حيث استجاب لمبادرتها مائة شاعر وشاعرة من سائر الدول العربية ...

إن هذه الدواوين وغيرها من آلاف الأشعار والقصص والرسومات التي جسدت طوفان الأقصى هي استجابة صادقة ومباشرة لصدى الغطرسة الإسرائيلية، فكانت شكلًا من أشكال المقاومة الثقافية بكل ما تبعثه من التمرد والرفض وما تود إيصاله من حقائق ووقائع في ظل تعتيم إعلامي مبرمج..

في ميدان التعبير الإنساني، لطالما احتل الأدب المقاوم مكانة فريدة كوسيلة لشهادة التاريخ، ومنح الصوت للصامتين، ونقل أعمق المشاعر.

وفي معركة طوفان الأقصى كان الأدب بمختلف فروعه وأنواعه وسيلة للتعبير عن واحدة من أعمق وأصدق الصراعات في زماننا - الصراع من أجل فلسطين.

فلسطين موردًا للألم والصمود، مكانًا حيث التصميم العاتي لشعب يتوق إلى تحقيق حق تقرير المصير يواجه قوى الاحتلال والظلم والتشرد. فرأينا العديد من الأشعار والقصص والرسومات والأغنيات تنسج خيوط الطوفان مؤرخين الانتصارات والهزائم، الآمال والأحزان والصمت والتضامن ...

طوفان الأقصى الذي أسهم في تدفق المشاعر الهائل، والتضامن، والدعم الذي اجتاح العالم ردًا على محنة فلسطين المستمرة. إنه تعبير عن التضامن الثابت مع الشعب الصامد في غزة، الذي رغم الصعوبات، استمر في مواجهة التحديات الهائلة بقوة وصمود وعزم شديد.

إن معركة طوفان الأقصى منحت صوت لصرخات المظلومين، وخلق أعمال ليست مجرد كلمات على الورق بل هيَ عامل للتغيير، مصدر للقوة، وجسر يربط المجتمع العالمي في رؤية مشتركة للعدالة والسلام.

ومن خلال الأدب المقاوم نشهد القوة في تجاوز الحدود وبناء الجسور. يأتي الشعراء والأدباء والفنانين من خلفيات متنوعة، لكنهم يشتركون في هدف مشترك: الدعوة إلى حقوق الفلسطينيين، وإلقاء الضوء على الظلم الذي يتعرضون له، والوقوف تضامنًا معهم، توثيق الجرائم الوحشية للاحتلال...

معركة طوفان الأقصى تذكرنا بأن الصراع من أجل فلسطين هو قضية عالمية، وأن نداء العدالة والحرية لا يعرف حدودًا.

انقلاب المعادلة

المقاومون وحدهم يرسمون النهايات

■ مصطفى المقداد

كاتب سياسي/ سورية

مضى أكثر من ثلاثة أشهر على العدوان على غزة دون أن يقدم المعتدي الصهيوني دليلاً واحداً يدعم روايته في سير العمليات الحربية، ولم يحظ حتى بتسجيل لفيديو قصير يتحدث عن انتصار، فردي، ومحدود في أي من مواقع المواجهة، خلافاً للمقاومة في القسام وكتائب الأقصى وكتائب أبو علي مصطفى وشهداء الأقصى وغيرهم ممن قدموا الكثير من التسجيلات الموثقة، وأدخلوا عليها مصطلحات ومفاهيم جديدة (المسافة صفر، قذيفة الياسين 105)، الأمر الذي قلب مفاهيم وتأثيرات الحرب الإعلامية والنفسية وغير معادلاتها.

ولعل الشهادات الصادرة عن كتاب ومحللين صهاينة تمثل تلك الاعترافات المؤلمة وتعكس حالة الضعف والهزيمة، سواء في الجيش أو في الداخل الصهيوني، فقد كتب المعلق السياسي «آري شافيت» في «يديعوت أحرنوت» قائلاً :

«الحقيقة مرّة. «فبعد نحو مئة يوم من بداية الحرب لم يجهز الجيش الإسرائيلي على حماس في غزة.

لم يُبعد حزب الله عن الحدود الشمالية ولم يحرر الـ136 (مخطوفاً) في القطاع. النار الصاروخية تُطلق بين الحين والآخر إلى النقب الغربي.

نار ثقيلة تُطلق كل يوم نحو الجليل الأعلى، وأقاليم كاملة مهجورة.

وفي ذات الوقت نحو 250 ألف إسرائيلي ما يزالون مجنّدين، و125 ألفاً نازحون.

مسارات الملاحة مهدّدة ومواقع استراتيجية تتعرّض للهجوم.

الوحدة الوطنية تتآكل، الشرعية الدولية تتفجّر والاقتصاد في ضائقة.

حتى بعد أن فقد نحو 1400 إسرائيلي حياتهم وأصيب 12 ألفاً لم تتحقّق أهداف الحرب، والحسم بعيد.

ويتابع شافيت: إنها حرب طويلة. منذ 1948 لم تشهد إسرائيل حرباً بهذا الطول. إسرائيل أيضا غير جاهزة لحرب طويلة. مفهوم الأمن القومي، خطة العمل العسكرية والروح الإسرائيلية طالبت دوماً بحروب حسم قصيرة وساحقة. أحد لم يستعدّ هنا لحرب سنوات على نمط حرب الاستقلال الأولى أو الحرب العالمية الثانية. الساحة السياسية والوعي والنفس أيضاً ليسوا جاهزين لذلك. نحن في ورطة إقليمية غير معروفة لم نشهد مثلها منذ 75 سنة».

وفي الجانب الداعم نجد أن أصواتاً مخالفة بدأت تتحدث عن فشل العدوان بعد عجزه عن تحقيق أهدافه، ومخافة انعكاساته السلبية على مكانة الولايات المتحدة الأميركية، وأوروبا الغربية، لينفتح الباب أمام احتمال انقلاب المشهد، والرضوخ لضغوط المقاومة، وسقوط كل توقعات من كانوا يرسمون (لليوم التالي)، ولعل ما كتبه توماس فريدمان في «نيويورك تايمز» يعكس تأثير صدمة الفشل:

لقد حان الوقت لإدارة بايدن لتعطي إسرائيل دروساً قاسية».. وإن على الولايات المتحدة وقف التحدث مع إسرائيل بلطف فقد حان وقت الحديث بقسوه، فقد راهن بايدن على حصان خاسر ورط إسرائيل وورط أمريكا وسمعتها.

وتبقى في النهاية الحقيقة المؤكدة على أرض غزة يرسمها مقاوموها وأبطالها يؤكدون أنهم ما زالوا في حالة قيادية متماسكة وقوية وصلبة، ولديهم القدرة على الاستمرار لفترة أطول مما يتوهم الصهاينة ومن يدعمهم.

الفن الفلسطيني في مواكبة الحقيقة

التثوير.. وبث الأمل

■ محمود خليلي

ممثل وفنان تشكيلي فلسطيني/ سورية

لم يكن صباح 7 تشرين الأول 2023 صباحاً عادياً.. كان صباحاً اختلط فيه الحلم بالحقيقة.. دهشة، ثم فرحة غامرة تجتاحك.. كيف لا وأنت ترى نصراً حقيقياً بكامل أبعاده، يحرزه مقاومو غزة الأبطال.. وتخطف نظرك للطرف الآخر فترى الخوف والهلع في عيون جنود وضباط ومستوطني الكيان الغاصب لأرضك منذ 75 عاماً. مشهد في كل انتصارات شعبنا المشرّفة السابقة لم نر مثيلاً له.. كيف لا وأنت ترى حالة التخبط في كل مؤسسات وإدارات هذا الكيان، مدنية كانت أو عسكرية، وفي الوقت نفسه ترى حالة الثقة والثبات ترتسم على وجوه مقاومي غزة وأهلها العظام.. نعم ليس حلماً، إنه طوفان الأقصى، الحقيقة المؤكدة التي يثبتها شعبنا الفلسطيني مرة تلو الأخرى، بإصراره وعزيمته وإيمانه، أنه قادر على صنع المعجزات ودحر هذا الكيان الهش المصطنع.. نعم إنه شعب غزة الصامد ومقاوموه الأبطال.. شعب يصلّب قاماته كالرماح، لا يعرف التعب ولا تنقصه العزيمة، لا يهاب الموت، ولا يمكن أن يقهر.

لست رجل سياسة أو محللاً عسكرياً، ولكني رأيت النصر قريب مني في ذلك الصباح البهي، وأستطيع أن أقول: لو أن دعماً واحداً، وإسناداً واحداً حقيقياً فاعلاً من خارج غزة تحقق في ذلك الصباح، لسقط هذا الكيان سقوطاً مدوياً.. لكننا معك يا غزة، نحن أهلك، شرفاء العالم قاطبة وأحراره معك، في مواجهة الطغيان والصمت الدولي،

في مواجهة عدو يداري هزيمته بقصف المدنيين أطفالاً نساءً شيوخاً، وتدمير البيوت والمشافي، وقطع سبل العيش وصولاً لانعدامها، ولا يتورع عن استهداف الفنانين والأدباء والصحفيين والمراسلين، موغلاً في طمس الحقيقة.. نحن معك يا غزة العزة، نحاول ثم نحاول ونحاول ما استطعنا، لدعم صمودك وصبرك، كلٌّ في دائرة فعله وتأثيره.

يحضرني قول المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد: (عندما تكون الهوية عرضة للتهديد، فإن الثقافة تمثل أداة للمقاومة، في مواجهة محاولات الطمس والإزالة والإقصاء) فالفنان والمثقف الفلسطيني عموماً، لم يكن في يوم من الأيام هامشياً منعزلاً عن قضيته، بل كان سباقاً في دعمها، والتعبير عنها بأرقى الأجناس الأدبية والفنية، وقدم الكثير من النتاجات الإبداعية المواكبة لمسيرة شعبه، في انكساراته وانتصاراته، أحزانه وأفراحه، في انطلاقة ثورته المسلحة عام الـ65 وانتفاضاته المستمرة.. لوحات وأشعار وروايات، ولم يدخر جهداً للتعبير عن قضيته وإيصالها إلى كافة أنحاء العالم، مثبتاً حقنا التاريخي والإنساني، بلغة حضارية تحترم القانون الدولي.

وأنجب شعبنا عبر مسيرته الطويلة الكثير من القامات الإبداعية والأدبية الوطنية، قدموا للتجربة الوطنية الفلسطينية آلاف النتاجات في المناحي المختلفة، وكانوا جنباً إلى جنب في خندق واحد مع الثوار، وكان القلم والفرشاة والألوان والكاميرا، رديفاً للبندقية والآربي جي والمقلاع والحجر.. من منا لا يعرف ولا يدرك قوة تأثير قصص وروايات غسان كنفاني، عائد إلى حيفا ورجال في الشمس.. من منا لا يعرف جبرا إبراهيم جبرا والبحث عن وليد مسعود، حسن حميد ومدينة الله، رشاد أبو شاور وأيام الحب والموت، يحيى يخلف ونشيد الحياة.. من منا لا يعرف شعراء المقاومة، محمود درويش: سجل أنا عربي، توفيق زياد: أناديكم.. أشد على أياديكم، سميح القاسم: ياعدو الشمس.. لكن.. لن أساوم، والشاعر المقاتل خالد أبو خالد مبدع العوديسا.. من منا لا يعرف ناجي العلي صاحب الـ 40 ألف رسم كاريكاتوري ورفيق دربه حنظلة، رسوم واجهت المحتل وفضحت المتخاذلين، ناجي الذي قالت عنه جريدة نيويورك تايمز الأمريكية: (إذا أردت أن تعرف رأي العرب بأمريكا، فانظر إلى رسومات ناجي العلي).. من منا لا يذكر فرقة المسرح الوطني الفلسطيني في الشتات، التي جابت 68 مدينة عربية للتعريف بالقضية الفلسطينية.. من منا لا يعرف عبد الرحمن أبو القاسم ومسرحيات المونودراما: بيت العيد، بيان شخصي، تغريدة أبو السلام، عروض قدمت بجهد شخصي وتمويل فردي. ولن ننسى بالتأكيد زيناتي قدسية وتجربته الطويلة في التأليف والإخراج والتمثيل ومسرح المونودراما، من القيامة مروراً بالطيراوي وليس انتهاء بتقاسيم على درب الآلام، وفرقة القدس المسرحية في مسرحيتي ليلة عربية خاصة مع حنظلة بن ناجي العلي، وصالح العبد الصالح، وتجارب مسرحية كثيرة في الوطن المحتل، مسرح بلالين، والحكواتي، والقصبة، وفرقة عشتار، فرانسوا أبو سالم وجورج إبراهيم.. من منا لا يعرف الموسيقار الكبير حسين نازك، ولم ينشد مع فرقة العاشقين وهي تصدح بصوتي حسين المنذر ومحمد هباش (هبت النار والبارود غنى، أضرب رصاص يا وطن وتغنى) وكم ألهبتنا حماساً أغاني الثورة الفلسطينية الأولى وألحان مهدي سردانة: طل سلاحي من جراحي، لوّحنا عالقواعد..

وإذا استكملنا الحديث لا بد من ذكر الدراما التلفزيونية: عز الدين القسام، بأم عيني، بير الشوم، ورائعة د. وليد سيف وحاتم علي، التغريبة الفلسطينية، والاجتياح لـ رياض سيف وشوقي الماجري، وحارس القدس لـ باسل الخطيب.. وفي السينما نتذكر المخدوعون، كفر قاسم، باب الجنة، وقامات سينمائية كبيرة في الوطن المحتل: رشيد مشهراوي، محمد بكري، إيليا سليمان، ميشيل خليفي، هاني أبو أسعد.

ولا بد من وقفة مع الفن التشكيلي.. لقد أدرك الفنان التشكيلي الفلسطيني دوره منذ البدايات الأولى لطلائع الفنانين الفلسطينيين، في التعبير الصادق لنقل الحقيقة، الحامل لفكرتي التثوير وبث الأمل.

تلك البدايات التي رسم طريقها الفنان المؤسس إسماعيل شموط، والذي أقام المعرض التشكيلي الفلسطيني الأول بعد النكبة، في غزة عام 1953 بمشاركة شقيقه جميل، ثم المعرض الثاني في القاهرة 1954 بمشاركة نهاد سباسي وتمام الأكحل، وافتتحه الرئيس جمال عبد الناصر، وعنوانه (اللاجىء الفلسطيني). وتتالت الأسماء والمعارض، وواكب الفنان التشكيلي الفلسطيني مسيرة شعبه وثورته في المحطات المختلفة، وكان خير ناقل ومعبر عن أحلام شعبه في التحرير والعودة، مسخراً إبداعه في خدمة الثورة وفضح زيف الاحتلال وممارساته الهمجية، والأمثلة كثيرة في تجربتنا التشكيلية، في مقدمتها لوحة (جمل المحامل) لـ سليمان منصور، وجداريات (السيرة والمسيرة) لـ إسماعيل شموط وتمام الأكحل، وجدارية (إرتجالات الحياة) لـ مصطفى الحلاج التي قارب طولها 96 متراً، وتجربة الأسرى في سجن عسقلان، محمد الركوعي وزهدي العدوي ورفاق آخرين معهم (رسوم خلف القضبان) رسوم نفذت سراً على المناديل القماشية، وهربت خارج السجن. ولا ننسى انه وفي سنوات الانتفاضة الأولى قاطع عدد من الفنانين التشكيليين الفلسطينيين في الأرض المحتلة البضائع الإسرائيلية، ومنها الألوان، وابتكروا طرائق عمل جديدة لإنجاز لوحاتهم، وفي مقدمتهم سليمان منصور، نبيل عناني، تيسير بركات، فيرا تماري، طوعوا مواد البيئة واستخدموها في أعمالهم، كالطين والتبن والجلد، واستخرجوا الألوان من الحناء وقشر الرمان والبصل والنيلة، وحققوا ظاهرة في الفن التشكيلي العربي والعالمي يقتدى بها، ونموذجاً للفن المقاوم.. ولم يبخل الفنانون والمثقفون الفلسطينيون بأرواحهم، فقدموا على دروب الكفاح قوافل من الشهداء، ناجي العلي، غسان كنفاني، ماجد أبو شرار، كمال ناصر، عبد العزيز إبراهيم، وآخرهم سليم النفار وهبة زقوت 2023 غزة.. أستذكر هنا قولاً للشهيد الحي ناجي العلي (أن تكون أولا تكون، التحدي قائم والمسؤولية تاريخية).

والآن ماذا باستطاعتنا أن نقدم لأجلك يا غزة؟ فدَينك أصبح كبيراً في رقبتنا.. نقسم لك أننا تسارعنا بكل ما أوتينا من خبرة ومقدرة وإيمان وتصميم.. وحدنا الجهود، رسمنا لأجلك الجداريات، وأقمنا المعارض والنشاطات الفنية المختلفة، والندوات والوقفات التضامنية وكل ما نستطيع، وجاهزون لنحت الصخر ليل نهار، لنصنع نصباً تذكارية لشموخكم.. لكننا خجلون منك يا غزه، نشعر بضآلتنا وعجزنا عن صد الأذى عنك، نشعر بالقهر لهول الكارثة الإنسانية التي تحدق بكم، ونحن نتفرج من بعيد، ننقل الصورة ونعلق عليها فقط.. يا لخجلنا أمامكم وأمام أجيالنا القادمة.

صبراً أهل غزة الصامدون الصابرون، يا أبطال طوفان الأقصى، فشعبنا الفلسطيني حي بكل فئاته، توحده الشدائد، إيمانه كبير، وإصراره راسخ، وعزيمته لا تلين.. نعاهدكم على مواصلة المشوار معكم، أنتم القادة، ونحن من خلفكم جنود مخلصون لدماء شهدائكم الطاهرة الزكية، ولن نحيد عن الهدف، عن الطريق الذي عبدتموه، نفقاً للحرية والخلاص، شرياناً يضخ دماً نقياً في جسد وطننا الموحد المحرر.

إنها بشائر النصر، نراها كل يوم في عيون أطفالكم البريئة، ونسائكم الثكلى، ورجالكم الأشداء.. وكأني أراني بينكم، نهتف ملء حناجرنا بصوت واحد، كلمات الشاعر توفيق زياد:

هنا.. على صدوركم باقون كالجدار

نجوع.. نعرى.. نتحدى

ننشد الأشعار

ونملأ السجون كبرياء

ونصنع الأطفال.. جيلا ثائراً.. وراء جيل

هنا.. لنا ماض.. وحاضر.. ومستقبل

نشيـــــد غزة

■ رسلان عودة

كاتب فلسطيني/ سورية

يقول صديقي الأديب وطوفان غزة يُغرق كل ما كتبناه:

اكتب وفاءً للشهداء، وشاهداً للتاريخ.

ماذا أكتب والصفحات أضيق من الكلمات؟.. حروفنا ساكنةٌ، وأقلامنا عمياء، لا فرق في رمل الكثبان بين قمة وقاع، أي لغة ستحيط بمشاعر طفل يحمل حقيبته المدرسية على ظهره، وهو يخبئُ فيها أشلاء أخيه؟!.

ألا ترى يا صديقي أن لغات العالم تختنق الآن بأنفاس من يصرخون تحت الركام؟!. وعقولهم لا تُصدق ما تراه عيونهم كيف عين الحرية تقاوم المخرز ولا تنطفئ؟ وأن ماء الطوفان تصعد التلال وتسقي الغيم!.

كيف أكتب؟ وغزة تسطر الآن قصيدة الثأر المؤجل منذ أكثر من سبعين عاماً.. قصيدة ليست على بحور العرب، ولا هي موزونة على تفعيلات الردة ومجازات وجهات النظر!. قصيدة كُتبتْ على وزن المحيط! صدر بيتها شروق شمس لا تُشبه شموس من وقفوا على أطلال الغابرين، وعجزه عجز مآذن /57/ عاصمة تتدلى أعلامها نادبة على مقاعد عصبة الأمم!..

لا يكسر غزة انكسار بيت، ولا شطب عائلة من سجل الحياة! كل ما قالته لذوي القربى: ومن في حكمهم: أنا أكتب تاريخي بقلم أحمر لا يشبه أقلامكم، كتبتُ وأكتبُ ما أشاء حين أشاء. فما أنتم كاتبون؟!.

نوارس بحر غزة قالت كلمتها، مزقت أشرعة المراكب، وزَرَقَتْ على مدافع البوارج.. ويمام بيوت غزة عشش في طيات الدمار.

ماذا نكتب وعاشق من بيت لاهيا يحمل عبوة «شواظ» ويتسلل خلف الميركافا، كتب على زنده:

عذراً حبيبتي إن متُّ بعد قليل!..

لمن نكتب بعد أن قال طفل لصحفي: نحن أطفال غزة لا نحلم بغدٍ، لأننا لا نكبر فالطلقة بانتظارنا من باب البيت إلى باب المدرسة!؟..

في غزة سماء تحت الأرض تمطر للأعلى براكين إلى ما بعد الغيم وترقص دبكة (ظريف الطول) فتهتز ساحات المغتصبات.

في غزة تمشي الطرقات تحت الموت المسربل بالحديد والدروع، يرتعد القاتل من إصبع مطوي على زناد خلف نافذة؛ أو من صوت مناغاة طفل تبحث كفه عن ثدي أمه القتيلة.. يموت الموت ويبقى الطفل يرضع من المسافة صفر!..

أنا هناك إنسان من مليوني فلسطيني ومعنا ملايين أخرى فوق وتحت خط الاستواء، نبتنا في أرض بلا زرع، كأنها ليست من أرض الله، قصرنا في سجلاتهم أرقاماً مشبوهة على حدود بلاد العرب!.

ما قبل الطوفان مددتُ يا صديقي النظر من «إيريز» إلى رفح فلم أجد فرقاً بين بندقيتين ومعبرين!.. أنا اليوم لا أبكي الجوع وقهر الحدود، ولا من قلق الوجود النازف أبداً من روحي مذ قال لنا أبي: لا كرامة لمخلوق بلا وطن!.. بل يقتلني الآن (نصف الدفءِ، ونصف الموقف يقتلني أكثر).

بحثتُ طويلاً في ركام لغة القادة والسادة عن مفردات الشهامة والكرامة!.. فما وجدت إلا فتات حروف تقافزت خارج السطر وأطبقت على معاني الكلام.. قالت طفلة أعياها نداء الاستغاثة: كم هو ملعون من يشتكي العتمة وفي يده عود ثقاب؟! فلا نامت أعين الجبناء؟.

أنا يوسف من فوق الجب أناديكم يا أبناء أبي!.. قالوا: أفسدتَ علينا مواسم الترفيه والحج وعيد ميلاد السفير يا بْنَ أمك!..

لا تلمني يا صديقي، لا قلم في يدي ولم أكتب شيئاً، فثمة رجال هناك يكتبون بدمهم على الأرض وفي السماء وبكل اللغات: فلسطين أم البدايات وأم النهايات..

الصورة كسلاح فعال في معركة طوفان الأقصى

■ موسى مراغة

كاتب سياسي فلسطيني/ سورية

تحمل الصورة لغة واضحة، تتجاوز اللغة المكتوبة والمقروءة، فالصورة الصادقة تحمل لغة تختزن الوجدان والمشاعر والعقول، فترسخ في المعاني وتبرهن على الوقائع والحقائق مالا تستطيع الكلمة أن تحققه.

وفي عصر الصورة وانتشار وسائل التواصل الاجتماعي ومحطات التلفزة والفضائيات التي تنقل الأخبار والصور لحظة حصولها، أصبحت الصورة تغني عن التعليق والتحليل والوصف والإنشاء، وكما جاء في المثل الصيني الشهير «صورة واحدة تغني عن ألف كلمة» وفي معركة طوفان الأقصى ومنذ انطلاقها في السابع من أكتوبر 2023 وإلى يومنا هذا لعبت الصورة دوراً اساسياً في هذه المعركة المشرفة، واستطاعت المقاومة استخدام هذا السلاح خير استخدام، وقد تفوقت المقاومة على العدو الصهيوني في هذه المجال وأربكت روايته للذي حصل، وكذبت ودحضت الأضاليل التي كان يبنيها، وأوقعت اعلامها وتصريحات قادته في شرك الكذب والنفاق والدعاية الكاذبة، وأظهرت جبن جنوده وقوة أبطال المقاومة واستبسالهم في الهجوم والردع وإيقاع الخسائر في صفوف القوات الغازية.

لقد أضحت الصورة جزءاً من معادلة النصر، وعنصراً من حساباته المعقدة، وبات حضور الصورة له التأثير الطاغي في مجريات المعركة، لما تتمتع به الصورة من قدرة على الرسوخ في الذهن ونقل للحقيقة، وتصوير الواقع كما هو والتأثير المباشر على جمهور المشاهدين.

ولعلنا نشير إلى أهم الوقائع والمفاصل المهمة لاستخدام الصورة من قبل المقاومة في معركة طوفان الأقصى يتبادر إلى الذهن مباشرة المشاهد الأولى التي ازدحمت وغطت شاشات التلفزة في اليوم الأول للمعركة ولا نزال نتذكر مشاهد المقاومين عندما اجتاحوا جواً وبراً التحصينات التي كانت تحيط بالمستوطنات والمعسكرات الصهيونية، ولعل مشاهد رجال المقاومة وهم يطاردون جنود العدو داخل معسكراتهم المحصنة وفي غرف نومهم ومهاجعهم لا تزال راسخة في الذاكرة، حيث نقلت لنا الصورة بسالة رجال المقاومة وفدائيتهم المنقطعة النظير واستبسالهم في الهجوم على مواقع العدو وأسرهم للضباط والجنود الصهاينة الذين سيطر عليهم الذهول من هول المفاجأة الصاعقة للذي حصل.

إن تلك الصور التي كان لها التأثير الكبير إن كان على شعبنا الفلسطيني الذي رأى أبناء

ورجال المقاومة وهم يصفون هذه الملحمة البطولية، ومن جهة أخرى تلك الصور التي وصلت إلى ما يسمى بالجبهة الداخلية وقادة الكيان وساسته والتي أصابتهم في مقتل وأحدثت ارباكاً وتصدعاً في البنية الداخلية سياسياً وعسكرياً.

والمقصد الثاني الذي قدمته لنا الصورة في هذه المعركة هي جموع الأسرى الذين استطاعت المقاومة أسرهم في تلك المعركة البطولية، حيث رأينا الخوف والهلع الذي انتاب أولئك الضباط والجنود الصهاينة الذين وقعوا في أسر المقاومة، حيث أن تلك الصور أحدثت التأثير الكبير في نفوس أبناء الشعب الفلسطيني وأيقظت الأمل لإمكانية تحرير الأسرى الفلسطينيين من سجون العدو وزنازينه.

ومع اشتداد المعارك البرية حيث توغلت قوات العدو الصهيونية في بعض مناطق قطاع غزة، ودخلت دبابات والمدرعات وحاملات الجند في مواجهات مع أبطال المقاومة، وهنا لعبت الصورة دورها الأكبر في تصوير الملاحم البطولية لرجال المقاومة مع القوات الغازية ونقلت لنا الصورة العديد والكم الهائل من الصور للتصدي لتلك القوات وإيقاع الخسائر بين أفراده وتدمير آلياته ودباباته، ولعل مشاهد تفجير تلك الآليات سواء بالقذائف المضادة للدروع أو سواء بالمتفجرات التي قام رجال المقاومة وبكل شجاعة وإباء على جسم تلك الآليات والالتحام بها من النقطة صفر، كانت الصورة تنقل هذه البطولات الخارقة والغير معتادة في مثل هذه المعارك ولعل مشاهد اصطياد أفراد العدو وقنصهم وإيقاع الخسائر بهم من أكثر المشاهد التي غطت النقل الحي والمباشر لوسائل التواصل والفضائيات، وعندما جاءت لحظة تبادل الأسرى وظهر جلياً وبالصورة الواضحة والتي لا لبس بها كيف كانت المقاومة التي تم نعتها بالإرهاب تعامل أسراها والذين أفرجت عنهم بطريقة في غاية الاحترام والتواضع واللطف والإنسانية، بينما كان يعامل الاحتلال من أفرج عنهم من الأسرى والمعتقلين الفلسطينيين من نساء وأطفال في منتهى القسوة والغلظة والاستفزاز، ويمنع أهلهم من الاحتفاء أو الاحتفال بهم ويهددهم أنفسهم بالاعتقال والسجن.

ولعل الصورة نقلت إلينا الأسرى الخارجين من قبضة المقاومة وهم يلوحون بالأيدي، ومع مصافحات دافئة، وابتسامات ونظرات مفعمة بالامتنان، ولعل ذلك المشهد الذي انتشر في الفضائيات وعلى كل مواقع التواصل الاجتماعي لتلك المرأة التي كانت تصطحب كلبها الذي كان محتجزاً معها، أما صورة الأسرى المفرج عنهم من السجون الصهيونية، فكانت على النقيض من ذلك، حيث خرج الأطفال والنساء من الزنازين وآثار التعذيب الجسدي والنفسي على وجوههم المرهقة، ومشاهد اللقاء بينهم وبين أهاليهم في ظل إرهاب وعنف صهيوني سرق منهم لحظة الفرح ولقاء أبنائهم المفرج عنهم.

ولعل من الصور البالغة التأثير والتي كان لها الدور الكبير في إدارة وتوجيه المعركة، وفي إشاعة الأمل بين أبناء الشعب الفلسطيني وبث الذعر في نفوس المحتلين والجنود الصهاينة وقيادتهم، ونعني هنا صورة الناطق الإعلامي باسم المقاومة، ومثاله الناصع «أبو عبيدة» والذي كان ينتظره الصديق والعدو ليسمع منه أخبار المعارك والحقائق والموقف العسكري والسياسي الراهن، وكانت لتلك الرسائل الدور المهم والفعال في توجيه الرأي العام، وأصبح «أبو عبيدة» وغيره من الناطقين الإعلاميين والعسكريين بمثابة رسائل تحذير إلى العدو وفضح لأساليبه وكشف لمخططاته على جميع الصعد، وفي نفس الوقت رسائل إلى أبناء الشعب العربي والفلسطيني بأن المقاومة على خطها في الصمود والاستبسال وعلى طريق النصر المؤزر.

وفي هذه العجالة لا يمكننا أن ننسى دوراً مهماً وموجهاً وكان له التأثير الفعال على الجبهة الداخلية للكيان خاصة، وهي الصور التي كانت تبث بين الحين والآخر للأسرى الصهاينة والتي كانوا يوجهونها إلى قياداتهم من أجل حثهم لإجراء عمليات التبادل لإطلاق سراحهم، لقد لعبت المقاومة وباقتدار واستخدمت تلك الصور والمشاهد أحسن استخدام واستطاعت أن توصل الرسائل إلى قيادة ذلك الكيان الغاصب.

ومع ازدياد جرائم العدو الصهيوني طوال هذه الحرب، حيث تم قصف الأبنية السكنية والمشافي وبيوت العبادة والمدارس ومراكز الإيواء، حيث سقط الآلاف من الشهداء والجرحى وهناك الكثير من المفقودين، هذه الإبادة الجماعية ضد البشر والحجر وهذه الحرب الطاحنة التي يشنها العدو جواً وبراً وبحراً ضد القطاع الصامد والتي تشكل جريمة إنسانية وعاراً في جبين كل من شارك وساند ودعم هذه الحرب الإجرامية ولعلنا شاهدنا الصور التي نقلت لنا تلك المشاهد من الشهداء والجرحى من الأطفال والنساء ومشاهد التدمير للمناطق السكنية الآهلة ومشاهد تشييع الشهداء من قبل اهاليهم وذلك الإصرار على الصمود والثبات رغم كل هذه الخسائر في الأرواح والممتلكات إلا أن أهل غزة وأبنائها بقوا صامدين راسخين متجذرين في أرضهم رافضين الرحيل والنزوح ولعل صور أولئك الذين كانوا يعربون عن مواقفهم تلك كانت تملأ الشاشات صغاراً كانوا أم كباراً رغم الجوع والعطش وفقدان المأوى إلا أن اصرارهم وثقتهم بالنصر كان حافزاً للتضحية وتقديم كل ما هو نفيس لتنتصر المقاومة.

لقد كان للصورة دور جد مهم في معركة طوفان الأقصى ولكن هذه المرة إلى الرأي العام العالمي وخاصة خارج المنطقة العربية حيث كانت الصورة داعمة لغزة ولأطفالها ونسائها ومستشفياتها ولكل من تعرض للعدوان فيها، حيث غطى معظم دول أوروبا وأمريكا ومناطق أخرى من العالم تظاهرات مناصرة لغزة ولفلسطين شاجبة العدوان الهمجي والإبادة بحق الشعب الفلسطيني، كانت الصورة في مساحتها وتنوعها وشمولها ووعيها وتأثيرها في فضح العدوان والمشاركين والداعمين له من دول الغرب وخاصة أمريكا وألمانيا وبريطانيا وفرنسا، حيث عادت القضية الفلسطينية مرة أخرى إلى الضمير العالمي الذي لا يمكن تجاهله، بعد أنا جاء وقت أصبحت تلك القضية من المنسيات حيث تم تجاوزها لفترة طويلة من الزمن خاصة في ظل المشاريع والاتفاقيات الاستسلامية وهرولة بعض الدول العربية إلى التطبيع.

قد ربح الفلسطينيون معركة الصورة وأجادوا استخدامها وحققوا نتائج مهمة في هذه المعركة مستندين بذلك إلى بطولات وتضحيات المقاومين وصمود واستبسال أهل غزة وعموم الشعب الفلسطيني الذي يسجل معارك الشرف والعزة على طريق النصر والتحرير والعودة.

معركة طوفان الأقصى

العائدون من حالة الشوك إلى حالة القرنفل

■ حمزة البشتاوي
كاتب وإعلامي فلسطيني/ لبنان

يعتبر الأدب المقاوم، قرين الوعي الذي يلازم الكاتب والمبدع، خاصة في مرحلة احتدام الصراع، دفاعاً عن الأوطان والأرض والإنسان، بنص إبداعي يواكب تلك المراحل في مواجهة الحرب والمعركة الثقافية التي تستهدف محو الذاكرة والتراث.

ويعمل الأدب المقاوم على تشكيل مفاهيم تواجه ما يروج له المحتل خلال الحرب، من أفكار مسمومة، تستهدف الفرد والمجتمع، ولهذا يشغل الوعي أهمية اساسية في تشكيل وتكوين، ومحتوى الأدب المقاوم، في المواجهة المفتوحة مع رواية الاحتلال المدججة بأنواع مختلفة من الأسلحة الفتاكة الحاقدة وايديولوجيا الاستيطان والتهويد.

وهنا تبرز أهمية الرواية الفلسطينية المستندة إلى مفاهيم وقيم الحرية وحقائق الجغرافيا والتاريخ، ونقلها بنصوص أدبية إبداعية تنهض على الحقيقة والخيال والجمال، وتضيء المساحات المشعة وسط العتمة والإحتلال ومجازره الوحشية، وما تسببه من قهر وألم وجراحات وموت وتهجير، من خلال تسليط الضوء على فعل البطولة والصبر والصمود، والعيون الحالمة والمنتظرة بشوق مواسم الحرية والانتصار، وهنا يتساوى العمل الأدبي المقاوم بفعل المقاومة في الميدان، وإذا لم نؤرخ وندون الحكاية، نكون قد فرطنا بالمسؤولية الوطنية والإنسانية وثقافة البقاء المرتبطة بثقافة المقاومة والمعارك المستمرة، في مسيرة الصراع، ومنها معركة طوفان الأقصى التي لم تكن عملاً عسكرياً فحسب، بل كانت أيضاً عملاً إبداعياً مقاوماً، يجمع في طياته حركية التاريخ وحنين الجغرافيا، وصدقية الثورة وعذوبة الموسيقى والأناشيد،

وروح الأدب المقاوم الذي يعتبر ذاكرة الناس هي المادة الأساسية الأكثر قدرة على توثيق الحكاية والأحداث بقوة وصلابة وإبداع، على أن يتم تخليد معركة طوفان الأقصى والصمود والصبر الملحمي للشعب الفلسطيني خلال حرب الإبادة على غزة، بسلاح الكلمة الرافضة للهزيمة والانكسار، وسوف يكون للمسرح والرواية إضافة لباقي الأجناس الأدبية دورا كبيرا مع التركيز على فاعلية المسرح باعتباره أكثر الفنون إلتصاقاً بالوعي الشعبي، وإبراز الهوية الوطنية وشد العزائم واستنهاض الهمم بصدق وتلقائية، ولغة يفهمها الجميع، حيث يأخذ التمثيل وسيلة التعبير الفني المؤثر في وجدان الناس الذين ينظرون إلى معركة طوفان الأقصى باعتبارها عملاً فنياً خالداً يعكس مشاعر وأحاسيس الشعب الفلسطيني وكفاحه البطولي ضد الاحتلال.

كما ستأخذ الرواية الفلسطينية دورها على صعيد توثيق وتسجيل الأحداث بلغة نثرية سينمائية تساهم في تعزيز قيم البطولة والصمود في معركة طوفان الأقصى الواعدة ببذار جديدة منسجمة مع الرموز والمفردات التي أنتجتها، بجمالية قائمة على السرد الممتع والذاكرة الخصبة عن زمن الوجع وقرب الخلاص.

والتركيز على المسرح والرواية يتعلق بأهمية نقل الحكاية للأجيال، وتعميق الحس الوطني والتاريخي بالملحمة التي صنعتها المقاومة، من خلال الأعمال المسرحية والرواية التي تتميز بأسلوبها القصصي في سرد الأحداث.

وفي سياق الحديث عن المسرح والرواية، تبرز أسماء أدباء من قادة المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، حيث عرف محمد الضيف قائد كتائب الشهيد عز الدين القسام، بعشقه للفن والتمثيل والمسرح، وشخصيته المحبة للدعابة وخفة الظل. وكان خلال فترة دراسته الجامعية قد قام بتأسيس فرقة (العائدون) للفنون المسرحية في مخيم خان يونس، وأدى عدة أدوار مسرحية من بينها شخصيات تاريخية وشعبية من التراث الوطني الفلسطيني.

وقد تكون موهبته وخياله الواسع، وبراعته في الإخراج والتمثيل وإنتاج الصور والمشاهد الفنية من أسباب نجاح عملية طوفان الأقصى التي تعامل معها محمد الضيف باعتباره قائد عسكري متمكن، وفنان يعتبر المسرح وسيلة للدفاع عن الحق بالحياة ومواجهة حرب الإبادة وأسلحة الدمار الشامل وباعتباره أيضاً الحارس الأمين على القضية الفلسطينية وقيمها النبيلة التي يجب أن تقدم بأسلوب جميل، وصياغات فنية عالية، تعبر عن وجدان المجتمع الفلسطيني، وخاصة فئة الشباب وهمومهم وأحلامهم وآمالهم في الحاضر والمستقبل.

وفي مجال الأدب المقاوم أختار يحي السنوار قائد حركة حماس في قطاع غزة الكتابة كمقاوم وراوي مشارك بفعل المقاومة وصمود الناس الذين استمد منهم تقنياته وأسلوبه في تناول الأحداث وسردها، إضافة للمعرفة التي يمتلكها كمقاوم وأسير وكاتب وقائد، يأخذ الأدب حيزاً مهماً في حياته واهتماماته.

ونشر يحي السنوار رواية حملت عنوان (الشوك والقرنفل) عام 2004، وكان قد كتبها أثناء وجوده في أقبية السجون الإسرائيلية حيث قضى فيها 23 عاماً متصلة منذ العام 1988 حتى الإفراج عنه بعملية تبادل أسرى عام 2011، ورصدت روايته ملامح حياة الشعب الفلسطيني تحت الاحتلال، والمعاناة الصعبة داخل المخيمات في غزة والضفة والشتات، وذكر فيها أسماء القادة الكبار في مسيرة الثورة الفلسطينية مثل ياسر عرفات وجورج حبش وأحمد جبريل وأحمد ياسين، مركزاً على الكفاح المسلح وإبقاء جذوة النضال مشتعلة عبر كسر قيود وجبروت الاحتلال.

والسؤال الإبداعي الذي يمكن أن يطرح حول، الشكل وجماليات النص وبنيته وقدرته على تدوين الحكاية، هو هل ستقربنا الأعمال المسرحية والروايات الجديدة التي ستكتب في ملحمة طوفان الأقصى، بلغة حافلة برموز ومفردات جديدة من أبرزها السهم الأحمر المقلوب والمسافة صفر و (الولاعة) وقدرة الناس الفائقة على تجاوز المأساة والصمود، من أعمال أدبية تليق بقداسة المبنى والمعنى في القدس وغزة والضفة وكل فلسطين، من المفترض أن يكون هذا ممكنا استنادا الى عهد كتاب فلسطين والعهود وفاء.

طوفان الأقصى من منظور ثقافي

■ علي العقباني
كاتب وإعلامي من سورية

في الأزمات والأحداث الكبرى يبرز السؤال الكبير حول حضور ودور الثقافة والمثقفين، وما الذي يمكن أن يفعله المثقفون، صحيح أن لا أحد في دوائر القرار السياسي العربي يقيم وزنا وأهمية للثقافة والمثقفين، ولا يتم أخذ رأيهم سوى في الظهور الإعلامي المرتبط بتبرير وجهة النظر تلك أو تلك، لكن وأياً كان الأمر فإن المثقف الحقيقي هو بوصلة الحدث والأقدر على التعبير عنه وصوغه وقراءته والغوص في تجلياته وأبعاده وعمقه المجتمعي.

يستشهد المثقفون الفلسطينيون والعرب للدلالة على المعرفة بالثقافة الفلسطينية بالشهيد غسان كنفاني والذي تقارب أعماله الروائية والقصصية رغم عمر كاتبها القصير وزمن صدورها البعيد نسبياً والتي يشهد لها بالقراءة العميقة للواقع الفلسطيني وللأسئلة الوجودية والمعرفية والثقافية الكبرى في القضية الفلسطينية، ولعل الصرخة الأبرز «لماذا لم يقرعوا جدران الخزان «هي الأبرز تليها تفاصيل رواية «عائد إلى حيفا» والحوار الخطير بين الأب الفلسطيني وابنه الذي ربته عائلة يهودية حين وجدته في البيت وهو الآن جندي في جيش الدفاع الإسرائيلي هو الحوار الوجودي الأبرز والأهم، وكذلك الأسئلة التي تطرحها رواية «ما تبقى لكم» وقصص وروايات أخرى كثيرة لغسان كنفاني، لماذا أذكر ذلك، حقيقة الأمر للدلالة أو للاقتراب من الحالة الثقافية التي تقارب «طوفان الأقصى» والاشتغال الثقافي المبسط عليها من قبيل الجذر والمعنى اللغوي لكلمة طوفان، هل هي من طوفان نوح، أم من طوف الروح، أم من طاف يطوف طوفاً فهو طوفان، والجذر الديني للكلمة، مقاربات تحيلنا إلى خلافات ذات طبيعة لغوية تبعد النقاش عن معناه الإنساني أو الوجودي والسياسي وتقاربه من الديني على حساب المعرفي والثقافي بعيداً عن هول اللحظة، هي مقاربات لأصحابها الحرية في قول ذلك، لكن مخاطره تكمن في الهروب من الأسئلة الملحة وجودياً وثقافياً وإنسانياً ومعرفياً.

ومنذ اللحظات الأولى للحدث الكبير «طوفان الأقصى» تتكثف التحليلات والتأويلات والاستنتاجات والقراءات حول الذي جرى والمراحل المقبلة، وهل ستنتصر حماس أم إسرائيل، وحتى إعلان وقف إطلاق النار كم سيكون عدد الشهداء الفلسطينيون من النساء والأطفال وكم سيكون عدد البيوت المسواة بالأرض كأمر واقع أمام جبروت القوة الإسرائيلية ووقوف الدول الكبرى إلى جانبها في حربها «الدفاعية عن وجودها

«أمام هجمات» حماس الإرهابية»، وبين هذا وذاك ستعم الفوضى المواقف العربية والعالمية حيال ما يحدث وما سيحدث، سواء في الداخل الفلسطيني الذي سلم وترك زمام التحرك العسكري من غزة لفصائل «المقاومة الإسلامية» في حين يسأل الكثير من الفلسطينيين عن تواجد الفصائل الأخرى الذي قد يبلغ عددها 16 فصيلاً وتنظيماً، ويصعد إلى السطح أسئلة من قبيل: هل المطلوب العودة إلى الوضع الذي كانت عليه الحال قبل السابع من أكتوبر (تشرين الأول)، أم دخول إسرائيل إلى عمق غزة وانتصارها على «حماس» بشكل كامل؟ أم خروجها بسرعة وانتصار «حماس» عليها بشكل حاسم؟ ولكن «حماس» هي القوة العسكرية الأساسية داخل القطاع، وباتت العنوان العالمي لجبهة معاداة الغرب، أسئلة كثيرة احتمالات ربما تشير في معظمها إلى العمل من جميع الأطراف إلى إزالة حماس وقادتها والمقربون منها من الوجود، والذهاب نحو حل سياسي طويل الأمد قد يُفضي إلى حل الدولتين والخلاص من المقاومة الإسلامية هناك، والانتقال إلى مرحلة جديدة في الصراع الأزلي.

حيال كل ذلك أين هو وماذا يفعل المثقف العربي المؤدلج أو العضوي أو الحيادي أو المثقف المسالم أو مثقف المنابر والشعارات والقصائد الصادحة أو مثقف الوقفات الاحتجاجية هنا وهناك ويرفع لافتة ويقف دقيقة صمت، ومن ثم الذهاب إلى أقرب مقهى لتناول الشيشة والشاي ومناقشة الأحداث ومآلاتها وهو يضع رجلاً فوق رجل ويصدح بروح المقاومة والتكبير وربما يصلي ركعتين لنصرة أهلنا في غزة قبل أن يُكمل سهرته في مكان ما.

وبعيداً عن محللي الشاشات وخصوصاً شاشات المقاومة فإن الشارع العربي بدا هزيلاً في ردة فعله متوازناً مع ردة فعل حكوماته العاجزة أو الغير راغبة في فعل شيء عملي حيال ما يحدث في فلسطين، وربما يعول الفلسطينيون على المظاهرات في الغرب وأمريكا والتي يقودها فلسطينيون او مواطنو تلك البلدان ضد موقف حكوماتهم التي ربما ترضخ لمطالبيهم وتضغط على إسرائيل للتخفيف من أعداد القتلى النساء والأطفال وإدخال المساعدات الإنسانية وعدم ضرب المستشفيات والمدارس وقوافل النزوح.

العجز والإحباط وفقدان الأمان والتفكك وضعف الانتماء الوطني والمكاني والهوية، والذي تحدث عنه المثقفون العرب من ان إسرائيل تعاني منه وربما يخلخل كيانها هو تماما ما يخافون من الإفصاح عنه حيال بلدانهم الفاقدة لكل ذلك وأكثر، من الكرامة والحرية ولقمة العيش والحياة في أبسط مقوماتها.

الثقافة والمثقفون اليوم في عزلة شديدة وخوف أشد وتخاذل أكثر، وسوء حال أكثر من أي وقت مضى، ففي الوقت الذي علينا أن نؤكد فيه على دور الثقافة في تغيير وجه العالم اليوم، ودور المثقفين في ذلك، نجدهم عاجزون عن تقديم إجابات حيال ما يحدث وما الدور الذي عليهم فعله، هل ستقوم القصائد بردة الفعل، أم الأفلام، أم الروايات والقصص، أم سيكتفي المثقفون والكتاب بالألم والتأثر والبكاء وكيل التهم والتعبير الخجول عن الحدث.

أراك غزة

■ إدريس علوش
كاتب وشاعر/ المغرب

وأراكِ
في الحلمِ
في يَقظةِ طوفانٍ أقصى
أقصى يسار القلبِ
أراكِ
بِلادااااااااااااااااااااا
فسيحةً
أشجار زيتونٍ
وليمونٍ
وصباراااااااااااااااااااا
وشهداء
وأطفالا يُشبهون الغيمَ
ونساءً
من مِلح دمع صبرٍ
يُلوحون لأفق النصرِ
وشعراءَ
من طينةٍ أخرى
طينةِ الصلصالِ
ورمال البحر
يَنثرن حَبات قمحٍ
قَصائد وردٍ
وخريطة طريق
هي الطريق إليك
بوصلةً
وشمعةً
بندقيةً
وفتيل
لأسميكِ
سراااااااااااااااا
وعلناااااااااااااا
في مدارج روحي
بِلادي
أُسميك
نَشيدي
ويَقيني
خَلاصي
ومُرادي.

قصائد للقدس

سيدة نصري
شاعرة من تونس

أغنية للانتصار
صبّ صبابة، فانصهار ..
والتوق نار.
تضطرم الحرائق في دمي ..
تنطفئ..
وهم بفردوس الجنان.
لا انفصال .
دم يراق على أجنحة اليمام .
خنجر مسموم، أم زهرة الصبار..

ترقص رقصة الأيك ..
وترتجف، ثمّ تذوي في انشطار .
مّر السّواد، مابين الدّيار، والمقام .
كل المسالك لا تحمل البشرى..
لمن رفضوا التراجع، والفرار.
أيوب عاد، أيوب عاد ..
أهذي أغنية اللقاء ..
أم ترانيم الفراق .
باسم الصدمة الكبرى..

وباسم من استطابوا الموت ..
مابين ألسنة النيران ..
لن نستكين، ولن نعيد الاختيار .
««««
ليل الحصار، ليل الحصار ..
كم بات يسقينا كؤوس الغدر زاعفة ..
ويقصينا عمن سلونا ..
وتحصنوا بالانكسار.
سقط الخيار، سقط الخيار..
فلن نضيع السبيل ..
ولن يحول بيننا عسس ..
تنصلوا، ثمّ نسوا تعاليم النزال .
هناك حيث الموت بالمجّان ..
صورة أخرى، للمرايا والدخان .
يعانق الشفق دمي ..
ويمتطي صهوة الريح ..
وهي تقتلع الجذور، والجدار .
««««
بعدا لكل الصامتين، الساخطين ..
المرتوين بماء – هاروت، وماروت - ..
وأضغاث الأمان .
من الملام، من الملام ..؟
لقد دنى سفر السؤال .
زمّر الكلام، زمّر الكلام ..
فكيف نواري سوءاتنا ..
وهذا البنفسج – يخضّب أهدابه ..
ويصادر روائحه العابقة ..
فتصير دخانا ..
وأحياناً قمرا ..
يضيء درب التائقين الى الضياء

النصر آت
القدس هي الحدّ الفاصل ..

ما بين زمننا المهزوم ..
وما بين الزمن الناهض، ثائرا .
ما بين الموت شموخا ...
ما بين الموت حنينا ..
الموت عقوقا ..
وما بين من ماتوا وهم ..
معتصمين بأجنحة الطائر .
««
سنشرع شرفات الزمن – القدسي –
للآجيء، وللنهر العائد .
لعبق البارود يمتزج برائحة الليمون..
لزيتونة في حيّ الجرّاح - ..
تصير وطنا ..
لامرأة تتحصن بأستار الواقع ..
ترفض أن تترك دم الشهداء ..
بلا حارس .
««««
الطفل- المصلوب – يعود
ليعمّد مدينة الله ..
ليتلوا أناجيل الفجر ..
صليبه غصن زيتون .
يسلّمه لمن آمنوا ..
بالنصر الآتي .
الصخرة تجيش، وتنتفض ..
تصبو، فتصير مقاتلا ..
ترفع آيات الحق ..
وتتلوا، صحاح العائد .

دادائيّة فلسطينية..

المتوكل طه

كاتب وشاعر/ فلسطين

أبحث عن كلمة أو مصطلح، يصلح لأن يُلخّص هذا العدوان! لأن كل الكلمات السابقة لا تفي بالغرض. فما يحدث أكبر وأكثر دموية وبشاعة وجنوناً وهولاً، مما فعلته النازيّة والفاشيّة ومحاكم التفتيش والإبادات الجماعية في العالم الجديد، وما اقترفه جنكيز خان والهمج والتتار والصليبيون، وما اجترحته الهولوكست وحروب الغابات الأولى .. وبالتالي فإنني أتمنّى أن يبذل المفكّرون جهداً إضافياً، لعلهم يُخلّقون مفردة غير مبذول، ويقدّمون لنا مصطلحاً شافياً وافياً، يجمع الصورة، التي ترجرج، وتتفلّت وتنداح وتتسع، وتفيض بدمائها وركامها وشظاياها وحرقتها وجحيمها.. وعليه؛ فإننا نعتقد أن ما تقوم به الصهيونية هو جمع وتطوير وتكثيف لكل الفظاعات، عبر التاريخ، وإعادة إنتاجها علينا. وستكون المصطلحات السابقة، عاجزة وقاصرة عن التعبير، ومبتسرة، ولا تدلل على ما يحدث ،بالفعل!

وهل سنقول بأنه ينبغي إعادة النظر في كل المقولات والمصطلحات والأدبيات المكرّسة، المتعلّقة بالقوانين والقيم المطلقة والأحكام والشرائع الدولية، وقد ظهر جلياً أن تلك المقولات الجاهزة، التي تتدحرج بين القارات، حول حماية المدنيين، وتطبيق القرارات، وحفظ الحقوق، وأحقية الشعوب في تقرير المصير.. إلخ، كلها كلمات دون مضامين ولا تعني شيئاً؟

وهل توصّلنا إلى خلاصة نهائية حاسمة، لا يرقى إليها الشك، مفادها أن العالم تحكمه شريعة الغاب؟

وهل يستطيع أحدٌ أن يُجيب على سؤال واحد ووحيد وهو: دولة واحدة من بضعة ملايين، تفعل ما تشاء، بانفلات وحشيٍّ كامل، ولا يستطيع أي كائن في كل العالم، أن يوقفها؟ أما ارتد نتنياهو وأصبح زعيم قبيلة بدائية متوحّشة، ضد كلّ «الغوييم»؟، وكأنه في الأدغال المُظلمة، وما قبل التاريخ؟

هل أصبحت الكرة الأرضية ملعباً للاعب «أمريكيّ» واحد؛ هو الحكم والخصم والمتفرّجين، يفعل ما يشاء ويبدأ اللعبة أو ينهيها متى أراد، ويحقق الأهداف التي يتغيّاها دون اعتراض من أحد؟

من هنا؛تعود بي الذاكرة إلى «الدادائية» ،التي كانت خلاصة الوعي المفجع، وبسبب الجنون السياسي ،الذي كان سائدًا حينها، وردّة فعل على حماقة الحرب وأهوالها ، والتي أبرزت النتائج الكارثية للحرب العالمية الأولى.. فتساءل أصحاب الدادائية عن جدوى الأدب والفن والثقافة والفكر والفلسفة، وكل الحمولات المعرفية والجَمالية، التي لم تستطع أن توقف تلك الحرب، بل أنتجت خراباً عميماً طال البشر والشجر والحجر.

وأسأل: هل كان الدادائيون على حق، فذهبوا إلى تلك اللغة المشظّاة المبهمة وغير السّويّة، والمركبة على غير هدى، من عناصر لا تستقيم مع بعضها البعض؟

ولكن ما جدوى هذا العبث، وهل استطاع أن يمنع حرباً كونيّة ثانية؟

ربما كانت الدادائية تعبيراً عن السخط والغضب والأسف والخيبة، التي أصابت المثقف الأوروبي بعد الحرب العالمية الأولى. وأنا لا أريد تلك الدادائية، ولا أحبّ ما تناسل منها من سوريالية ووجودية، إلا بمقدار ما يحقق إيصال الفكرة غير المهزومة. ولا أريد كولاجاً، أراه يملأ الشاشات على طول قطاع غزة وعرضها. ولا أريد أيّ فلسفة عبث بالحرية، إذا كان مجتمع الحرية ذاته هو من يسحبها إلى المقصلة. ولعلّي لا أرجو من كل ما هبّ علينا من معارف ونظريات ومدارس غربية، غير أن تتبدد، وتعود إلى أصحابها، لعلّهم يضعونها في علب، ويغلقون عليها بإحكام، ويلقونها في عرض البحر، لأنها ببساطة لم تكن سوى غبار يعشي العيون ويخنق الأنفاس.

***

وقد يصل بي الأمر، باعتباري فلسطينياً، يذبحونه من الوريد إلى الوريد، أن لا أحتاج إلى هيئة الأمم وإلى كل مؤسساتها ومربّعاتها الدولية وخطاباتها المقيتة القلقة، وقراراتها المحفوظة في الأدراج، لأنها فشلت للمرة المليون في الامتحان، وخذلت نفسها قبل أن تخذل الضحايا. أريد شيئاً واحداً؛ هو الحياة. الحياة دون جنود وصواريخ ومدرّعات ورصاص وغاز وسجون وحواجز وتهجير وجنازات وجوع وعتمة وعطش وهراوات واستهداف وموت لا يتوقف. أريد كل ما يحقق لي الحياة، دون أن أقدّم أيّ اعتراف مجاني بجدوى ما لا ينفعني، بل يقتلني. ولا أريد أي فلسفة، مهما بلغت، إذا لم تحفظ للجَنين قدرته على الصراخ الحرّ، ونيل الحليب الطازج الدفّاق مباشرة من ثدي ريّان سليم. ولا أنصت لأي مُنظّر حكّاء، بعيدٍ أو قريب، إذا لم يجعل الماء يتدفّق بين أصابع الشجر والشفاه المشققة. ولن أحتمل أي خبر أو تقرير من أي منظمة حقوقية، إذا اقتصر دورها على الفرجة أو سكب دموع الكلام المُستنكر. ولا يصح أن أقول إن لي امتداداً عرقياً أو عقدياً إذا لم يحطني بيديه وينافح عني ويبعد الضباع عن لحم أحفادي.

علينا أن نجترح لغتنا الجديدة، في الأدب

والسياسة والفكر والاجتماع، ورؤيتنا غير المسبوقة، وفلسفتنا المقطّرة البعيدة عن كل ما سبق، من فلسفات محنّطة، ملأ الغبارُ الفاسدُ جيوبَها . علينا أن نعلي قِيمنا التي تبقي أنفاسنا ساخنة يقظة متواصلة، دون أن تسمح لأيّ كان، لأن يقطع الهواء عنّا أو يسمّمه بنفثات الشيطان الرجيم.

يحق لنا أن نهندس غدنا بخرائط نرسمها نحن بأيدينا، وبما يحقق بقائنا في بيوتنا، وبما يجعل النجوم، وحدها، ما يظلّلنا ونحن نحلم بهدوء، بعيداً عن القصف والصراخ والفجائع.

لا يصحّ لأيّ فلسطيني، منذ الآن فصاعداً، أن يعيد إنتاج أيّ مقولة جاهزة ومعدّة سلفاً، وبان خرابها الأكيد. وليس له أن يكرّر أيّ فكر مبذول، أو يستخلص منه أي رؤية، أو أن ينبس بتلك اللعثمات التي أودت بنا إلى الهاوية.

نعم! أدعو إلى إعادة النظر والتبصّر وسبرغور كل ما لهجنا به وقلناه وقرّرناه وصدّقناه وعملنا به أو كان هادياً لنا.. لأنه، ببساطة واختصار، ثبت بطلانه وعجزه، إذا لم أقل إنه تآمر علينا.

إن كل ما قيل لا يعني، على الإطلاق، أن أضع ما هبط من السماء مع ما اشتقّه الإنسانُ على الأرض. بمعنى أن كلمات الله التامّات هي خارج إعادة النظر، بشرط ان لا نذهب بها إلى تلك التأويلات الجارحة والظلامية والمبتسرة، التي تعاكس هدف الإنسان في تحقيق السعادة الكاملة. لكنّي أقصد أن الذي ينبغي طرحه جانباً وإعادة إضاءته وتفكيكه، هو ما خلّقه الإنسان للإنسان، لأنه أظهر ما أضمره الأخ البشريُّ، من شرٍ عميم وعميق، لأخيه الإنسان. وظهر جلياً أنّ هذا الآدمي لم ينجز شيئاً إلا لتحقيق مصلحة خاصة وأنانية.

وربما يقول قائل: إن في هذا التعميم ظلم. أقول ربما، لكنّي أدعوه إلى إنعام النظر في ما جرى من إبادة ومحرقة كاملة، في قطاع غزة، وليقنعني بعدها بعدم جدوى ما نقول.

أنا لست متعجّلاً فيما قلته، ولم يكن كلامي ردة فعل نزقة أو انفعالية. لا.. فإن المُخرجات تدلّل على المُدخلات. وليقل لي أيّ محتجّ أو حريص على هذا الغثاء الكونيّ الكاذب والظالم، إن استطاع إلى ذلك سبيلا. ليقل لي كيف لثمانية مليارات إنسان، ولأكثر من مئة وتسعين دولة، ولكل المنظمات الحقوقية والإنسانية والقوانين والقرارات.. كيف لكل ذلك أن يقف عاجزاً أمام سطوة رئيس وزراء اسرائيل الدموية، وعجرفته السّاديّة، وصفاقته الفاشيّة، واستباحته النازيّة، وعدوانه المفتوح؟ كيف لم تستطع كل هذه البسيطة، وكل القارّات، أن تعجز عن إدخال شربة ماء أو حبة دواء إلى مشافي وأطفال غزة؟

وليقل لي أخي العربي والمسلم والمسيحي والبوذي وعابد البقر أو النجوم أو الفأر أو الشيطان، كيف، بكل إمكانياتكم ومقولاتكم، لم تقدروا على حماية امرأة من الموت تحت سقف بيتها المردوم على أولادها وأحفادها؟ بل لم توقفوا مسار التطبيع مع القاتل! ومازال تعاونكم معه قائماً على غير صعيد.. وتكتفون بالشجب الفارغ والاستنكار الذليل؟! وكيف لهذه النخب والمنظمات الحكومية وغير الحكومية والمؤسسات الدولية، بكل موازناتها المشروطة وغير المشروطة، وبرامجها، وبكل ما تهجس به من قيم ومبادئ، كيف لم تتمكن ولم تستطع أن تحول دون إعادة مشاهد النكبة الفظيعة، وهجرة مئات الآلاف من بيوتهم للمرة الثالثة، وعلى الهواء مباشرة، تحت زخّ الصواريخ والقنابل المحرمة دولياً؟ كيف؟

أنا لستُ يائساً، وأنا لستُ اليأس، كما أجهش أحدهم وقال. أنا أفيض بالغضب والحزن والأسف ،على ما آلت إليه الدنيا من فظاعات وويلات، وعلى ما وصلنا إليه من تدهور أخلاقي أمميّ لا قاع له، ما يجعلني أخَلّق ما يناسبني من مقولات، وأومن به من نظريات، ويتماهى مع ما يحفظ حياتي وحياة أولادي وجيراني، ويصون بيتي وحقّي في العودة والقدس والحرية غير المنقوصة.

لا بد من اشتقاق جملة تعيد حجارة البيت إلى الجدار، وترجع اللاجئ إلى بيته، وتدفع الينبوع لأن يتدفق بين كفيّ، والشمس تشرق على أرض جديدة خالية من الغرباء والقتلة.

وانا لا أدّعي أنني امتلك القدرة أو الإمكانية، وحدي، على بلورة ما يلزمنا من استراتيجية، واجبة الوجود، تقوم على أرضية فكرية مناسبة، تركن على نفسها وتعتمد على ذاتها، وتكتفي بما لديها، دون أن تمدّ يدها إلى ما لدى الآخرين من أفكار أو مقولات أو نظريات.. ببساطة؛ لانها محض ادّعاءات، ولأنها إيهام ووَهْمٌ وتهويم ونفاق وكذب ودجل، لم ينتج لنا إلا ما نراه من جحيم كامل.

ربما رأينا عبر التاريخ غير شعب، اشتقّ لنفسه فلسفة خاصة، لا تشبه باقي فلسفات الأرض. وإن كان هذا الشعب قليل العدد وذا مساحة بسيطة وليست لديه إمكانيات اقتصادية كبيرة، لأنه استشعر التهديد بالفناء والشطب والإلغاء، فقام من فوره إلى تحصين حدوده الأرضية، وبالتوازي مع ذلك، عمل على تحصين حدوده الفكرية والوجدانية والأخلاقية.. وربما لو لم يفعل ذلك، لتحقق فناؤه وتمّر شطبه من ذاكرة التاريخ والجغرافيا. أي أننا مدعوون، نحن الفلسطينيين، إلى ما يمنع شطبنا، ويحقق لنا حضورنا، الذي يجب أن يتجلّى على كل المستويات. وهذا لن يكون، إن بقينا في الطريق القديم ذاته، أو نعتمد الآليات نفسها، أو نكرّر الخطابات السابقة بعينها. يجب أن نكون جديديين وحداثيين وطازجين، مثل دمنا، الذي يشهق على صورة جَنين معافىً، في رحمٍ ورديّ خصب وفتيّ وآمن.

***

ويبدو لي أنّ هذا السطوع الذي يسمى «المقاومة» في غزّة، لايمكن له أن يكون مقبولاً، وسط هذا العالم الظلاميّ ، المهيمن على الثروات والقرارت، بمعنى أن أيّ محاولة لتغيير الواقع والمشهد والخريطة، في منطقتنا، ستواجهها قوّةُ الظلم والاستكبار، بأعتى الأسلحة المُحرّمة ، بصرف النظر عن اسم المقاومة، سواء كان حركة أو جبهة أو حزب .. لماذا؟ لأن انتصار هذا الحِبب من المقاومة يعني بأنه سيصبح نموذجاً يُحتذى، ومثالا يُعاد إنتاجه هنا وهناك، وسيعمل على تحرير القوى، المغموط حقّها، من الخوف. وهذا ما يفسّر تكالب الأنظمة البعيدة والقريبة على هؤلاء المُقاوِمين، الذين شقّوا الباب ليدخل هواء جديد. ألا تذكرون كيف اعترضوا الانتفاضة الأولى باتفاق سياسي هزيل تعيس مشبوه؟ وألم تروا كيف اعترضوا الهبّات العربية، وحوّلوها إلى حراك مشبوه، بعد أن دمّروها ولوّثوها وحرفوها عن مسارها؟.. وهكذا يريدون غزّة، الآن!

***

واللافت أن حلف الأطلسي، الذي هبّ مسرعاً بحمولاته وبوارجه، لحماية ابنته المُدلّلة إسرائيل، قد اقترف جُرماً جعله شريكاً أصيلاً في العدوان ، وهو؛ أنه وفّر الغطاء «الأخلاقي» لإسرائيل ، وأوجد لها الذرائع، لتقوم بمجازرها ضد غزّة، وقد ظهر ذلك عبر تبنّي أكاذيب إسرائيل، في الخطاب السياسي والإعلامي والدبلوماسي، ومن خلال «الفيتو»، وعبر مدّها بآخر ما حُرّر من تكنولوجيا الموت؛ من أسلحة ودعم ماليّ واقتصادي غير مسقوف. فمنذ بداية الحرب، استقبلت إسرائيل أكثر من سبعين زيارة؛ لرؤساء دول ووزراء خارجية أوروبيين، وأعضاء في الكونغرس وحكّام الولايات المتحدة الأمريكية، حتى أن بلينكن، وزير خارجية أمريكا، وفي أوّل زيارة له لإسرائيل بعد العدوان مباشرة، صرّح بأنه جاء باعتباره «يهودياً» وليس بصفته وزيراً أمريكيا! ما يُظهر التأييد الأطلسيّ والتحالف المسعور والعضوي بين الغرب وربيبته.

وثمّة مصطلح أو مقولة يرددها الجميع منّا؛ وهي أن الغرب يكيل بمكيالين! لا يا سادة! الغرب لديه مكيال واحد؛ وهو الانحياز إلى مصالحه وعقائده وحلفائه.. وكل مواقفه العدائية والعنصرية من الآخرين هو موقف «طبيعي»، وليس مفاجئاً، ولا يمثّل خروجا على مبادئه وقناعاته ومعتقداته وسياساته. فلماذا نطالبه بموقف آخر، وكأنه حياديّ ونزيه وعادل؟

بين زمنين

د. فاروق اسليم

باحث وأستاذ جامعي من سورية

ثمّة أحداث يُؤرّخُ بها لكونها تُؤدنُ بتجاوز واقع مجتمعيّ راهن، وتشكيل واقع مجتمعيّ جديد، فيه تجاوزٌ واضحُ المعالم للواقع الراهن، وتأثيرٌ عميقٌ في حياة الناس. وتزداد أهمّيّة الحدث باتّساع دائرة المتأثّرين به، والمتفاعلين معه.

ومن هذا القبيل الحدث الجلل (طوفان الأقصى)؛ فما قبله مغاير كثيراً لما بعده؛ إذ ابتدأ (صباح 2023/10/7) بسواعد (حماس/ كتائب القسّام)، وشاركت فيه سريعاً (الجهاد الإسلامي/سرايا القدس) وفصائل فلسطينيّة أخرى في غزّة والضفة الغربيّة، ولقي مؤازرةً مقاومةً عمليّةً في لبنان وسورية والعراق واليمن؛ فهذا الحدث يؤرَّخُ به لكونه بعيدَ الغور، من جهة التكوين، وبعيدَ التأثير من جهة الفاعليّة والشمول.

أمّا بعد الغور فيأتي من سياقين: أوّلهما سياق عامّ، هو سياق مقاومة المشروع الصهيونيّ قبل قيام الكيان (سنة 1948م)، وبعده، وثانيهما سياق خاصّ، هو سياق خصوصيّة المقاومة في قطاع غزّة؛ فالإنجاز الذي تحقّق صباح 2023/10/7 وما تبعه من صمود مقاوم بكلّ مقاييس البطولة هو تتويج لأفعال تراكمت كمّاً ونوعاً استجابة لما يوجب مقاومة العدوان الصهيونيّ للتحرّر منه.

فقد تطوّرت هذه الأفعال من دائرة صنع الوعيّ الفلسطينيّ الوطنيّ وتعرية ما يناقضه إلى دائرة تحصين هذا الوعيّ وتعيين صدقه بأفعال مقاومة عمليّة أثمرت عمليّة (طوفان الأقصى) المباركة؛ فهي تتويج لعمل دؤوب، استمرّ أكثر من عشرين عاماً من صناعة الوعي، وإنشاء مدينة مقاومة تحت أرض غزّة، مدينة من الأنفاق شكّلت شبكة اتصال ومساندة ومباغتة وتحصين، إضافة إلى تهريب ما أمكن من السلاح إلى قطاع غزّة، وإنجاز تصنيع حربيّ بسيط، لكنّه رادع ومؤذ كثيراً للعدوّ، مع تأهيل عالٍ للعنصر البشريّ معنويّاً بامتلاكه عقيدة قتاليّة لا تهزم، ومادّيّاً بالتدريب المتقن على استخدام ما بيده من السلاح، وكذلك التنسيق مع محور المقاومة الذي قدّم الدعم الماديّ والمعنويّ والعلميّ في سياق وحدة الهدف، وحرّية العمل وفق الظروف الممكنة.

وأمّا بُعْدُ تأثير الحدث واتساع دائرته فأمران لا يُجادل فيهما العقلاء، ولكنّهم يتباينون في توصيف كلّ منهما، في مداهما القريب والبعيد؛ ففي المدى القريب كان حدث (طوفان الأقصى) في بدأته واستمرار صموده الشعبيّ والمقاوم في غزّة حدثاً مدوّياً في العالم كلّه؛ لأنّه أظهر على نحو فاضح هشاشة التكوين المخابراتيّ والعسكريّ والمجتمعيّ للكيان الصهيونيّ، واستدعى ذلك مسارعة الولايات المتحدة الأمريكيّة ومن يلوذ بها، إلى نجدته وإعلان الحماية لوجوده الذي تضعضع، وآذن بإمكانية السقوط، وفي مقابل ذلك ظهرت قوّة المقاومة وجرأتها ونجاحها في إنجاز المهمّة على نحو حطّم أسطورة الجنديّ الصهيونيّ العقديّة والعسكريّة والأخلاقيّة.

وفي المدى البعيد للصراع الفلسطينيّ - الصهيونيّ أحيا (طوفان الأقصى) القضيّة الفلسطينيّة انطلاقاً من أنّها بقيت أصلاً حيّة في نفوس أبنائها وعقولهم، ومن أنّ ما فعله الصهاينة ومن يلوذ بهم لتغييب الوعي الفلسطينيّ والعربيّ والعالميّ صار قشّة في مهبّ رياح المقاومة.

ثمّة وعي جديد عالميّ رسميّ وشعبيّ بأنّ (إسرائيل) كيان مغتصب لدولة فلسطين، ويرغب في تهجير من بقي من سكانها لاستكمال استعمارها واستيطانها من قبل المستوطنين المجلوبين إلى فلسطين من بقاع العالم المختلفة، وقد أنتج هذا الوعي الجديد مطالبات قويّة بمنع التهجير، وبوجوب العمل لإقامة الدولة الفلسطينية، وعاصمتها القدس، وفق المرجعيّة الدوليّة التي بها تأسست شرعيّة قيام الكيان الصهيونيّ الذي رفض عمليّاً حلّ الدولتين، ثمّ أعلن بعد (طوفان الأقصى) رفضه لهذا الحلّ؛ فهو يريد فلسطين كلّها (من المية إلى المية) خالية من أهلها، وأهلها يريدونها (من المية إلى المية) خالية من الصهاينة نازيّي القرن الحادي والعشرين.

الصراع مستمر، و(طوفان الأقصى) قال كلمته: إنّا لمنتصرون،

غــزة

أجمل مدينة في العالم

■ بلال المصري

كاتب فلسطيني/ لبنان

يقاس الجمال بالمعنى العميق للفكرة وبالقدرة على تحمل الجراح وبمقاومة المخرز بالعين وبتجاوز الذات نحو ذات الفكرة. ففي معركة الشرف والكرامة ليس مهما أن تنتصر بل المهم أن تستمر بالقتال، لتبقى سيرة الشهداء تتدفق من النهر إلى البحر، تلك هي الجغرافيا الطبيعية ومساحة الحلم الفلسطيني والجمال المتصل بالحق وبشواهد التاريخ والحاضر. هذا ما تعبر عنه غزة اليوم بصمودها الاسطوري الذي قل نظيره عبر التاريخ البشري، بمقاومة لا مثيل لها. وهى اليوم تمثل نموذجا جديدا للتأكيد على أنه لا يمكن لآلة القتل الصهيونية هزيمة الإنسان الفلسطيني في غزة، ولا يمكن اخضاعه في الضفة، ولا في أي مكان آخر مهما بلغة قوتها.

ويقال أن مقايس الجمال متعددة وكثيرة، وجميعها ترتبط بالحق والخير، ولا يمكن أن يكون الجمال دونهما، وبالتالي البشاعة والقبح هما وجهين للإحتلال الصهيوني، الذي دأب منذ الأيام الأولى للحرب في غزة، على تدمير كل ما هو جميل فيها من العمران إلى الإنسان، مستهدفا تدمير كل شيء من الثقافة إلى الشواهد التاريخية وحتى المعالم الطبيعية، وأمعن في القتل الممنهج للأطفال، على نحو لا مثيل له في التاريخ، وتحولت غزة لمسرح معركة عسكرية كبرى، بين القبح والجمال، بين إرادة الباطل وإرادة الحق بين الشر والخير.

هذا الصراع الأبدي يتأجج اليوم، ويتجلى الجمال بغزة بكل معانيه الإنسانية، فبعد حصار غزة وتحويلها لسجن كبير لعشرات السنين، تنطلق عملية «طوفان الأقصى» ليجتاز أحرار ومقاومين غزة جدار الفصل العنصري، ويدمروا أشهر المقولات عن العدو «الجيش الذي لا يقهر» بقهره. ليدهشوا العالم بعملية عسكرية، ذات أبعاد إنسانية تحررية نضالية بديعة، إقتادوا على إثرها السجناء سجانيهم إلى أنفاق غزة العظيمة. ولأنفاق غزة قصة أخرى، عن الجمال في سردية الوطن والمقاومة، التي ألحقت بالعدو هزيمة استراتيجية ، هزت كيانه وأدت إلى «كي الوعي العكسي» حتى يقتنع الاحتلال أنه لا يستطيع إخضاع الشعب الفلسطيني، وعلى المستوطنين في النهاية حمل حقائبهم والعودة إلى البلاد التي قدموا منها. ونظرية كي الوعي تشكل جوهر نظرية الصهيوني زئيف جابوتنسكي عن السور الحديدي الذي « يضرب العرب رؤوسهم به مرة بعد مرة حتى يقتنعوا باستحالة إزالة « كيان الاحتلال الاسرائيلي.

وتمكنت عملية «طوفان الأقصى» من تعطيل عملية التطبيع القائمة في المنطقة وإحراج بعض الدول العربية، التي كانت تهرول نحو التطبيع. وبعد ما يقارب المئة يوم من الحرب الإسرائيلية على غزة، التي أطلق عليها اسم « السيوف الحديدية» أستنزف جيش الاحتلال، وبات يواجه هزيمة محققة فتلك «السيوف الحديدية» تتحطم أمام إرادة أهل غزة الفولاذية، حيث تتجذر إرادة التمسك بالأرض وتصدح أنشودة « سوف نبقى هنا..» تدمر المباني فوق رؤوس أهلها، تقصف المستشفيات، يقتل الأطفال الرضع والنساء وكبار السن والمسعفين والإعلاميين والنشيد هو نفسه «سوف نبقى هنا». هكذا يواجه أهل غزة قبح الجريمة والقتل بجمال الصبر والثبات.

ووثقت وسائل الإعلام العالمية الصورة في غزة، حيث المقاومون قدموا للأسرى الذين تم أسرهم بعد عملية «طوفان الأقصى» الحماية والمعاملة الإنسانية بشهادة هؤلاء الأسرى أنفسهم، بالمقابل شاهد العالم كيف ان جيش الاحتلال أخرج عشرات الأسرى من الفلسطينيين شبه عراة وجعلهم يجلسون بالعراء والبرد لساعات. وشاهد العالم كيف يحضن الآباء في غزة اشلاء ابنائهم الشهداء، وكيف الأطفال يودعون أمهاتهم الشهداء، وكيف.. وكيف...

هذه المأساة والوحشية البشعة من التدمير والتهجير والقتل التي خلفها العدو الصهيوني في غزة صدمت شعوب العالم، التي أدهشها بالمقابل أهل غزة ومقاومتها بالصمود والصبر والثبات. وبين الصدمة والدهشة، تدفق طوفان أحرار العالم لنشهد أكبر التحركات العالمية من الاعتصامات والإضرابات وتظاهرات المليونية في مختلف عواصم العالم، رفضا لممارسات الوحشية للاحتلال الصهيوني، ودعما لغزة وفلسطين حرة، هذا نصر آخر للرواية الفلسطينية، نصر للحق أدى إلى تقهقر رواية وسردية الاحتلال الصهيوني وانكشاف ادعاءاته وكذبه.

نعم، أيقظت غزة في شعوب العالم المعاني الحقيقية للإنسانية، ودفعت تلك الشعوب للوقوف في وجه حكوماتها المتصهينة انتصارا للحق والخير والجمال. واعادة غزة الأمل للبشرية جمعاء بإحياء القيم الحقيقية للإنسانية في وجه قبح الاحتلال الذي يسعى للهيمنة واستعباد الشعوب. وغزة الغارقة اليوم بالظلام أنارت طريق شعوب العالم نحو

التحرر والحرية. وغزة المدمرة اليوم شيدت للعالم عمارة القيم والأخلاق. وغزة التي قدمت اليوم آلاف الشهداء من النساء والأطفال قدمت مثالا لكل شعوب العالم بالانتماء والتضحية والوفاء. غزة السجينة، غزة الشهيدة، أجمل مدينة في العالم.

لوبي "هرماجيدون"

ليونيد سافين

حميد سعيد
كاتب وباحث سياسي/ العراق

ليونيد سافين: محلل سياسي ورئيس تحرير موقع «Geopolitika.ru»، مؤسس ورئيس تحرير مجلة الشؤون الأوراسية، عضو في الجمعية العلمية العسكرية التابعة لوزارة الدفاع الروسية، مؤلف العديد من الكتب حول الجغرافية السياسية والصراعات والعلاقات الدولية والفلسفة السياسية....

يزودنا مقال ليونيد سافين بوثائق وفيرة عن هذه المجتمعات المسيحية المتحزبة للصهيونية اليهودية وإسرائيل. وعن ثقل تأثيرها على السياسة الخارجية للولايات المتحدة.

ليست لدينا النية بالتأكيد، ناهيك عن الادعاء بالتحزب لوجهة النظر والواردة في المقال من خلال نشرنا له. كل واحد يعمل ما يراه مناسبا له، وبشكل خاص في تكوين وتطوير فكرته، ولكن من المجدي تماما معرفة الحقائق الأساسية المتعلقة بتشكّل وتطور هذه «الصهيونية المسيحية»، في الولايات المتحدة خاصة.

كان ذلك وبشكل رئيسي في سنوات 2002-2003، عندما كان الاعداد جاريا لمهاجمة العراق، بدأوا يتحدثون وبشكل واسع عن «الصهيونية المسيحية» باعتبارها قوة تأثير شعبية لها ثقلها الكبير على السياسة الخارجية للولايات المتحدة. الذين عايشوا الاحداث ابتداءً من الحادي عشر من أيلول وطوال صعود مكانة التأثير المباشر ل»المحافظين الجدد» على سياسة الولايات المتحدة، «النظام السياسي» الشهير، يتذكرون جيدا عملية الاستحضار الغامض، وغير الدقيق، واحيانا تأمري (وهو شيء موجود فعلا، وبكامل قوته) لهذه القوة الهائلة في التأثير.

وكما سوف نرى، نجد كل شيء مختلط في «حرب غزة»: السياسة، مناورات التأثير، الأصول المتشددة (البيوريتانية) والبروتستانتية للولايات المتحدة، والدين والايمان بالأخرويات (ايسكاتولوجي)، والمسيح المنتظر، والمُسحاء الدجالون الذين تتوجب هزيمتهم ...الخ

تعليق موقع «ديديفونسا» الناشر للمقال

من هم هؤلاء المسيحيون الصهاينة؟

على الرغم من قصف القوات الإسرائيلية لقطاع غزة الذي لم يدمر المستشفيات والجوامع فحسب، بل دمر الكنائس المسيحية أيضا، إلا ان هناك العديد من الأشخاص، الذين يدعون بانهم من أصول مسيحية وليسوا من أصول يهودية، يدعمون بنشاط التصرفات الإسرائيلية. فمن اين تأتي هذه الظاهرة؟

الحقيقة هي ان الصهيونية التي ظهرت في نهاية القرن التاسع عشر، باعتبارها حركة سياسية يهودية، كان قد سبقها في الظهور العديد من الأفكار المشابهة. وقد ولدت، ويا للمفارقة، في بيئة مسيحية.

ولادة الصهيونية البيوريتانية

كان اول المؤيدين البارزين لهجرة يهود أوروبا الى فلسطين هم البيوريتانيون. هذه الطائفة البروتستانتية {حركة دينية مسيحية تنتمي للكالفينية} كانت قد ظهرت في نهاية القرن السادس عشر وأصبحت ذات تأثير كبير في إنجلترا، ومن ثم لاحقا، في وساط المستوطنين الامريكان. فقد اظهروا اهتماما كبيرا بدور اليهود في الشؤون الاخروية (اسكاتولوجي)، او، بعبارة أخرى، لاهوت نهاية الزمان.

على سبيل المثال، ان عالم اللاهوت في القرن السابع عشر، جون أون، عضو البرلمان ومدير في جامعة اوكسفورد، كان يُدَرِس (طلابه) بان عودة اليهود جسديا الى فلسطين ضرورية من اجل تحقيق نبوءات نهاية الزمان. في سنة 1621، كتب السير هنري فينش خطبة يدعو فيها الى دعم الشعب اليهودي وعودته الى وطنه التوراتي.

احد اكثر التيارات الصهيونية المسيحية تأثيرا هو تيار التدبيرية {dispensationalisme: هي عقيدة تعترف بها بعض الكنائس الإنجيلية التي تستمد من الكتاب المقدس تفسيراً للتاريخ حيث يدير الرب بسيادة حكمه على العالم من اجل تحقيق هدفه بشكل تدريجي}، وهو نظام تفسيري يستخدم معلومات الكتاب المقدس من اجل تقسيم التاريخ على مراحل مختلفة للإدارة والتدبير والذي يعتبر ان المصطلح الإنجيلي «إسرائيل» يشير الى عرقية الشعب اليهودي الموجود في فلسطين.

في الأصل جرى تطوير المنهج التدبيري من قبل الواعظ جون نيلسون داربي في القرن التاسع عشر. اعتقد داربي بان مصائر إسرائيل والكنيسة المسيحية، التي امر بها الرب، كانت منفصلة كليا، وهذه الأخيرة وجب ان «تُخطف (enlevée)» جسديا -تُرفع للقاء يسوع- قبل مرحلة الاضطرابات التي تنبأ بها سفر الرؤيا، المسماة بالمحنة العظيمة.

ووفقا لداربي، ستبدأ المحنة العظيمة بعد بناء

الهيكل اليهودي الثالث على جبل الهيكل في اورشليم. واثناء المحنة العظيمة، وفقا لهذا التعليم، سوف يتحول 144 الف يهودي الى المسيحية، الامر الذي من شأنه ان يكشف لهم عن نيات المسيح الدجال الحقيقية. وهكذا سيصبحون مركز التحول الى الايمان المسيحي لجميع الكفار الذين لم «يخطفوا» (enlevés).

هؤلاء ال 144 ألف يهودي الذين تحولوا الى المسيحية هم من سوف يقابلون المسيح الدجال اثناء المعركة الأخيرة المسماة «هيرماجيدون/ تل مجدون» والذين سوف ينتصرون بها على المسيح الدجال. وبعد هذه المعركة، ستنتهي سنوات المحنة السبع وسيعود يسوع لكي يسجن الشيطان ويقيم مملكة المسيح التي تدوم ألف عام على الأرض.

بالرغم من سخافة وغياب أي إشارة في الكتاب المقدس، عن مفهوم الانتقال الجسدي للمسيحيين الى السماء عشية (معركة) تل مجدون، جرى تبنيه بحماسة من قبل العديد من الكنائس في إنجلترا وبشكل خاص في الولايات المتحدة.

مقاربة داربي المتعلقة بالعقائد الأخروية المسيحية تتصادف مع تطورات مشابهة في حقل العقائد الأخروية اليهودية، اي أفكار الحاخام تسفي هيرش كاليشر وانشاء فرعا جديدا للمسيانية اليهودية. يقدر ممثلو هذا التوجه بان على اليهود العمل بنشاط من اجل تسريع مجيء مسيحهم من خلال الهجرة الى إسرائيل وبناء الهيكل الثالث على موقع جبل الهيكل في اورشليم، حيث يوجد المسجد الأقصى.

سافر داربي بنفسه عبر أمريكا الشمالية وبلدان عديدة أخرى من اجل نشر أفكاره، ملتقيا بالعديد من القساوسة المؤثرين في العالم الناطق بالإنجليزية. ومن ضمنهم، جيمس بروكس، مرشد سيروس سكوفيلد في مستقبل الأيام، والذي قام لاحقا بنشر المفهوم (الأخروي)، حيث سيتم نشر تفسيره لهذا المفهوم على نطاق واسع في الولايات المتحدة والذي عُرِف باسم كتاب سكوفيلد المقدس.

هناك شخصية أخرى تأثرت بمذهب داربي، هو الواعظ الأمريكي تشارلس تاز رسل، الذي قادت كنيسته لاحقا الى ولادة عدة طوائف مختلفة، بما في ذلك شهود يهوه (وهي منظمة ذات أنشطة ممنوعة في روسيا الاتحادية). لقد بدأ رسل بالتبشير قبل عقود من تأسيس الصهيونية السياسية الحديثة -ليس في أوساط المسيحيين فحسب، بل وسط يهود الولايات المتحدة وغيرها من البلدان أيضا- (التبشير) بضرورة الهجرة الضخمة الى فلسطين.

في سنة 1891، كتب رسل رسالة الى ادموند دي روتشيلد، أحد افراد عائلة روتشيلد، وكذلك الى موريس فون هيرش، رجل مال الماني ثري من أصول يهودية، من اجل مشاركته في مشروعه الاستيطاني في فلسطين. حيث وصف مشروعه على النحو التالي: «مقترحي ان يشتري الأغنياء اليهود من تركيا، بقيمة عادلة، كامل حقوقها في ملكية هذه الأراضي، أي كامل الأراضي العامة (الأراضي التي لا تعود ملكيتها الى الملكيات الخاصة)، بشرط ان تشكل سوريا وفلسطين دولتين حرتين.

في حين ان كتاب «الدولة اليهودية» لثيودور هرتزل، الذي يعتبر مؤسس الصهيونية، لم ينشر إلا في عام 1896.

الواعظ الأمريكي وليام ي. بلاكستون، المتأثر جدا بداربي والآخرين من مذهب «التدبيرية» في تلك المرحلة، كان قد أمضى عقودا من السنين لترويج هجرة اليهود الى فلسطين باعتبارها وسيلة لتحقيق نبوءات الكتاب المقدس. وقد اسفرت جهوده عن (كتابة) عريضة بلاكستون التذكارية، التي تدعو الرئيس الأمريكي آنذاك، بنجامين هاريسون، ووزير خارجيته جيمس بلين، الى اتخاذ الإجراءات اللازمة «لصالح عودة فلسطين الى اليهود».

كان من ضمن الموقعين على العريضة كل من المصرفيين ج. د. روكفلر، ج. ب. مرغان، وكذلك رئيس الولايات المتحدة لاحقا وليم ماكنلي، ورئيس مجلس النواب توماس براكيت ريد، ورئيس المحكمة العليا ميلفيل فولر، ورؤساء بلديات نيويورك، فيلادلفيا، بالتيمور، بوستن وشيكاغو، ورؤساء تحرير بوستن غلوب، نيويورك تايمز، واشنطن بوست وشيكاغو تريبون، وكذلك أعضاء في الكونغرس، ورجال اعمال مؤثرين ورجال دين.

وبالرغم من ان عددا من الحاخامات كانوا ضمن الموقعين، فقد عارضت اغلبية الجاليات اليهودية الامريكية محتوى العريضة. وبعبارة أخرى، ان الهدف الأول للصهيونية، حتى قبل ان تتحول الى حركة، كان مدعوما على نطاق واسع من قبل النخبة المسيحية في الولايات المتحدة.

الانطلاق الحديث

مع ذلك، لم تكن الصهيونية المسيحية، خلال النصف الأول من القرن العشرين، واسعة الانتشار ولا ذات تأثير كبير في الولايات المتحدة.

غير ان الواعظ بيلي غراهام، الذي حافظ على علاقات وثيقة مع العديد من الرؤساء، كان من ضمنهم دويت إيزنهاور، ليندون جونسن وريتشارد نيكسون، كان قد دخل الساحة. وفي نهاية المطاف، دخل مذهب التدبيرية في التيار المهيمن على الخطاب السياسي الأمريكي مع الواعظ الإنجيلي جيري فالويل، الذي أسس «الأغلبية الأخلاقية» سنة 1979{هي منظمة سياسية أصولية في الولايات المتحدة كان هدفها الضغط من اجل اتخاذ إجراءات سياسية لمصلحة الجماعات الانجيلية وبشكل اوسع المسيحية عامة. تأسست سنة 1979 وتم حلها سنة 1989}.

هال لندسي هو الاخر أحد دعاة التدبيرية البارزين والذي مارس تأثيرا سياسيا واديبا كبيرا. فقد تأثر رونالد ريغن جدا بكتبه حيث دعاه لإلقاء كلمة في لجنة الامن القومي عن خطط الحرب النووية مما أسهم في جعله مستشارا مؤثرا لدى العديد من أعضاء الكونغرس والمسؤولين في وزارة الدفاع.

واليوم مجدداً، يعتمد الحزب الجمهوري بقوة على الصهاينة المسيحيين من أجل الحصول على الأموال والاصوات الانتخابية. وهم يمارسون تأثيراً عميقاً على أيديولوجية الحزب.

للصهاينة المسيحيين، اليوم، في الولايات المتحدة اسماء عديدة. البعض يسميهم «لوبي الهرماجيدون»، واخرون يطلقون عليهم تسمية «الإيباك المسيحي» {«الايباك»= لجنة الشؤون العامة الامريكية الإسرائيلية}.

يشكل الصهاينة المسيحيون ما يقرب من 20 مليون في الولايات المتحدة، وهم رعاة هجرة اليهود الى إسرائيل من اثيوبيا، وروسيا، ومن أوكرانيا وبلدان أخرى. وهم في الواقع أكثر عددا من ذوي الأصول اليهودية في العالم، على الرغم من ان ليس كل اليهود يدعمون الصهيونية.

في ظل إدارة جورج بوش الابن، وخصوصا عشية الغزو الامريكي للعراق سنة 2003، تأثرت الإدارة بقوة ايضا بالصهاينة المسيحيين تحت ما بات يعرف بالمحافظين الجدد. فقد أعلن جيري فالويل خلال مقابلة له مع برنامج 60 دقيقة في تشرين اول/أكتوبر 2002: «اعتقد ان في استطاعتنا الان ان نعتمد، باستمرار، على الرئيس بوش للقيام بما هو واجب من اجل إسرائيل».

كان فالويل يشير الى تصرفات الرئيس بوش في نيسان/ ابريل 2002، عندما غض النظر عن التصرفات الإسرائيلية في الضفة الغربية اثناء عملية «الجدار الواقي». وكان فالويل قد التقى بالرئيس بوش في عدة مناسبات خلال فترة ولايته الأولى، وبشكل خاص من اجل مناقشة عملية دعم الولايات المتحدة لإسرائيل. وكانت آراء الرئيس عن إسرائيل مطابقة لآرائه، حسبما يقول.

كما ساهم الصهاينة المسيحيون في طرد النائب الديمقراطي جيم موران، الذي أشار الى ان اللوبي اليهودي يشتغل لمصلحة إسرائيل. وأخيرا، عمل المؤتمر الرسولي وكذلك مجموعة «أمريكان من أجل إسرائيل آمنة» على احباط خطة بوش الرامية لحل الصراع بين إسرائيل والفلسطينيين عبر اغراق البيت الأبيض بفيض من عرائض الالتماس.

توجد في الولايات المتحدة أيضا منظمة تدعى «اتحاد المسيحيين من اجل إسرائيل»، التي تأسست في سنة 2006 من قبل القس جون

هاجي والتي تضم اكثر من سبعة ملايين منتسب. ومن ضمن أعضائها الرئيس السابق ل»سي آي أي» ووزير الخارجية مايك بومبيو، ونائب الرئيس السابق مايك بنس واحد الصقور المشهورين جون بولتن. وجميع هؤلاء كانوا نشطاء للغاية خلال رئاسة دونالد ترامب.

في خطاب له في كنساس سنة 2015، أعلن بومبيو بوضوح بانه يعتقد بمبدأ «اختطاف المسيحيين» واعلن في احدى المقابلات قائلا باعتباره مسيحيا، يعتقد بان «الله اختار ترامب من اجل المساعدة في انقاذ اليهود من التهديد الإيراني».

الصهاينة المسيحيون، هم الذين ضغطوا على دونالد ترامب لكي يعترف بالقدس كعاصمة لإسرائيل وفرض سيادتها على هضبة الجولان المحتلة. القس روبيرت جيفريس، من الكنيسة المعمدانية الأولى في دالاس ومؤيد ترامب، قاد صلاة من اجل السلام في القدس اثناء نقل السفارة الامريكية من تل ابيب الى القدس في 14 أيار/مايو 2018؛ واصفاً هذا الحدث بانه «حدث بالغ الأهمية في حياة الامة وفي تاريخ العالم».

هناك كيان امريكي آخر وهو «نداء العدالة للشعوب/الأمم»، يدافع هو الاخر عن مصالح إسرائيل. كان قد بدأ المطالبة، في نهاية تشرين الأول/أكتوبر 2023، باستقالة الأمين العام للأمم المتحدة لانتقاده تصرفات إسرائيل اتجاه الفلسطينيين.

بالإمكان ان نرى ان قضية دعم إسرائيل لها تاريخ أطول وأكثر تعقيدا من بداية تأسيسها في 1948.

بينما ينكر العديد من اليهود وجود دولة إسرائيل ذاتها، ويعتبرونها انتهاكا للوصايا التلمودية (مثل، منظمة نيتوري كارتا الحسيدية)، بينما اتباع بعض المذاهب المسيحية يدعمون بشدة إسرائيل مبررين كل تصرفات حكومتها، بما في ذلك قمع الفلسطينيين.

يلعب البروتستانت الامريكيون بالطبع، وهم الذين يربطون مصير إسرائيل برؤيتهم الأخروية للعالم، دورا كبيرا بهذا الصدد. (علما ان) من ضمنهم شخصيات سياسية مؤثرة ذات قدرة على اتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية.

غزة هاشم... ولا هاشم

■ محمد قجة

باحث ورئيس جمعية العاديات في حلب/ سورية

كأنها ليست جزءاً من فلسطين التاريخ والجغرافية...

كأنها ليست البوابة الجنوبية لبر الشام وبداية الدخول إلى أرض الكنانة...

كأنها ليست مدينة تحمل اسمها الكنعاني الفينيقي مع أخواتها على الساحل الشرقي للبحر المتوسط حيث بلاد الشام منذ آلاف السنين: حيفا ويافا وعكا وعسقلان وجبيل وصور وأوغاريت التي تحمل تاريخ الاسم الكنعاني نفسه. كأنها ليست همزة الوصل العربية بين آسيا وافريقيا.... أم إن العروبة أصبحت كما قال نزار:

أنا يا صديقة متعب بعروبتي
فهل العروبة لعنة وعقاب
أمشي على ورق الخريطة خائفاً
فعلى الخريطة كلنا أغراب
لولا العباءات التي التفوا بها
ما كنت أحسب أنهم أعراب

غزة متروكة وحدها للصلف الصهيوني والعربدة العدوانية وسط صمت وتجاهل وتغافل وأحياناً تخاذل وتواطؤ وشماتة. والقدس والأقصى في عدوان صهيوني عنصري لا يتوقف وسط مزاعم وأساطير منافية لحقائق التاريخ والآثار.

غاب هاشم دفين غزة وجدّ الرسول الكريم وغاب أحفاده العرب وهم لا يدرون عبرة القول القديم: أُكلت يوم أكل الثور الأبيض، ويبدو انهم يحبون أن يكونوا سراباً في بيدائهم.

والعالم المنافق يرى الضحية معتدية، والمعتدي ضحية.

التاريخ يبدأ من غزّة

نذير جعفر
ناقد وأديب من سورية

من قال إن زمن المعجزات انتهى، وإننا نعيش نهاية التاريخ، ما عليه إلا أن يعيد النظر فيما قاله ويراجع حساباته على ضوء طوفان الأقصى وبركان الإرادة الذي انفجر في غزة وأطلق حممه التي نسفت نظرية أمن العدو الإسرائيلي، وزلزلت طمأنينته واستقراره بعدما اعتقد أنه في مأمن دائم لا يعكر صفوه مظاهرة هنا أو عملية هناك طالما هو الأقوى سلاحا وتأييدا أمريكياً وأوروبياً لسياسة القتل والتشريد التي يتبعها منذ احتلاله لفلسطين.

ومن لم يرَ أو يسمع أو يصدق بأن معجزة حقيقية سطرها أهل غزة بل قل أسطورة لم يشهد تاريخ البشرية مثلها كتبت هذه المرة بدماء الشهداء ورسمت على أشلائهم وحجارة منازلهم ورددتها حناجر الأطفال والأمهات الثكالى نقول له تعال وانظر كيف للفتى أن يصبح رجلاً بين يوم وليلة فلا يكتفي بالمشاركة في المعركة بل يقودها ويخطط لها ويستقطب رفاقا له ليدخلوها ويقاتلوا حتى آخر طلقة وآخر شهقة وآخر ابتسامة مشرقة على شفتيه وهو يحمل نعشه ويمشي. تعال وانظر للأمهات اللواتي استشهد أبناؤهن وأطفالهن على أكتافهن وصدورهن وأحضانهن ولم يبق من بيوتهن حجر على حجر، تعال وانظر وهنَّ يهلّلن ويقلن: ليهدم العدو البيوت سنبنيها من جديد مرة ومرتين وثلاثاً، وليطلق رصاصه الغادر على أطفالنا وشبابنا فليعلم أن فلسطين ولاّدة ولن تتوقف عن إنجاب الأبطال. تعال وانظر وتأمل يا من تنكر المعجزات لترى الطواقم الطبية التي تواصل الليل بالنهار في إسعاف المصابين ومداواة الجرحى تحت القصف الهمجي للعدو غير آبهة بالموت مردّدة مع الشاعر الفلسطيني عبد الرحيم محمود:

سأحمل روحي على راحتي
وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسرُّ الصديق
وإما ممات يغيظ العدى

تعال وانظر كيف يتحوّل الفتيان شباباً وشاباتٍ إلى مراسلين حربيين، وإلى مقاتلين أشداء، وإلى شهداء أحياء! إنه الطوفان حقاً، طوفان الإرادة، وطوفان النصر، وطوفان زعزعة أركان العدو وكسر غروره بقوته التي تبيّنت حقا «أوهى من بيت العنكبوت». فلا طائراته ولا دباباته استطاعت كسر إرادة المقاتلين، أو حرفها عن هدفها، بل أثبتت مرة أخرى إنها قادرة على تدمير البيوت والمدارس والمستشفيات وقتل المدنيين من نساء وأطفال وعجائز، تلك هي قوتهم العظمى التي يتباهون بها، وما أضعفها أمام طفل يرفع علم فلسطين بيد وعلامة النصر بأصابع يد أخرى، ما أضعفها أمام المحتلين أنفسهم الذين انهارت ثقتهم بقادتهم وبأساطيلهم الحربية وبحلفائهم فبدأوا يحزمون الحقائب استعدادا للعودة من حيث أتوا، ولعل ذلك من أهم نتائج صمود أهل غزة وارتفاع معنوياتهم وهزيمة العدو نفسياً وعسكريا أمام انتصار إرادة القتال الفلسطينية.

أجل، إنها فلسطين وهذا وعدها، الكبار سيبقون أحياء في الضمائر ولن يموتوا كما ظنّ الصهاينة، والصغار لن ينسوا بل سيلقنّون العالم درساً في التمسك بقضيتهم وأرضهم والوفاء لدماء شهدائهم.

التاريخ لم ينتهِ يا سادة، التاريخ يبدأ هنا من جديد، من غزة هاشم، من بركان الغضب الفلسطيني الذي لن يتوقف عن إطلاق حممه اللاهبة، ومن تلويحة شهيد وابتسامة فتىً في النزع الأخير، يبدأ ليمضي قُدماً لإحقاق الحق وتحرير الأرض، ألا فليخجل المطبِّعون، ألا فليتعظوا مما يشاهدون من معجزة شعب محاصر من الجهات كلها لكنه مؤمن بقضيته وبأن النصر في النهاية حليفه، ولن تثنيه عنه كل أشكال العدوان وأصنافه، تلك هي رسالته لمن يقرأ ما حدث بدءاً من السابع من أكتوبر حتى اللحظة الراهنة، تلك هي رسالته للداخل والخارج، وآن للعالم أن يقرأها جيدا، وآن للعرب جميعاً أن يقفوا وقفة رجل واحد معها لا ضدها.

أحلام مؤجلة

■ هناء عبيد

كاتبة فلسطينية/ القدس

يمتدّ بصره نحو السّلسلة الذهبيّة الممتدة على الشّاطئ؛ تلك المجدولة بقطرات عرقه، المبنيّة بذراعيه الفتيّتين، تطلّ نوافذها على شعاعات الشّمس المتسرّبة من بين نواجذ الظّلام، يتنفس بعمق فخورًا، الإمكانيات محدودة، الحدود محاصرة؛ لكن الإرادة اعتصرت من اللاشيء كل شيء.

جاء دوره لتضمّه جدران دافئة بين أنفاس عائلة. العرس موعده اقترب، لا بد أن ينتهي من بناء الشّقة خلال شهرين. ينتظر عروسه البهيّة بفارغ الصبر. أشجار الزيتون المغروسة في العمق منذ الأزل؛ تمد سواعدها لتعانقهما تحت ظلّ أوراقها الوارفة المروية بقطرات ماء نديّ.

لم تتح المساحة المحدودة الممنوحة له أن تتعدد الغرف المنشأة على سطحها أو تتسع كما أراد، يعلم أن سطح الشقة سيكون أرضيّة لشقة أخرى تعلو شقته؛ لهذا أحسن تسليح سقفها ودججه بالقضبان الحديدية المناسبة، جانب البيت سيكون ملاصقًا لشقق أخرى، ستكون هناك جدران مشتركة بين العائلات الّتي تمد أرغفة محبتها كلما استدعت الحاجة.

مساحة المدينة صغيرة، تكتظ بالسّكان بكثافة تفوق الاحتمال، لا بد أن تأخذ المباني حيزها في الفضاء متسلّقة سلالم الأحلام المؤجلة، الأمر الّذي يدعو إلى الضجر في مدن تنعم بالرخاء، الوضع يختلف في غزة، المشاركة أمر حتمي محبب، التعاون يجسد معانيه في أرواح سكانها.

يتأكد من القضبان الحديديّة الممتدة على السطح المبسوط من الخشب، ومتانة السّقالات والأدراج الخشبية؛ ليضمن سلامة العمال والبناء.

الخلاط يدور بما احتواه من كميات مواد مناسبة، تضمن قوة احتمال عقدة السطح بعد اشتداد قوامها -الإسمنت، الماء، الحصمة-.

تمت عملية (الصبّة) بسلام.

أطلت أمّه من بعيد، تحمل معها بعض الأرغفة السّاخنة الّتي خرجت لتوّها من فرن الطّابون، يسير بجانبها حفيدها، يحمل صينيّة الشاي، تنبعث رائحة النعناع المنعشة في الهواء، تطفي نعومة في الأجواء.

يعطيكْ ألف عافية يمّا، إن شاء الله تكون دار الهنا والسعادة.

ببركاتك ودعواتك يمّا.

والده والجيران، قدموا الأضحية مباركة على أول لبنة في بناء أسرة مكتظّة بالأحلام.

انهمرت قطرات الغيث فرحًا. أكل الجميع مباركين، أبرقت السّماء بشعاع أعمى الأنظار بعد رعدٍ أصمّ الآذان، أعقبهما حرائق التهمت الأحلام، أحرقت الأزهار والشّجر، دمرت المباني. القطع الخرسانية دفنت الأجساد الندية، أصوات الأطفال تتعالى من تحت الركام مستغيثة، القصف يشتد؛ صواريخ وقنابل تقذف غضبها على المدينة الحزينة،

اشتد ظهره، كبّر كثيرًا، بحث عن مصدر الصّراخ، من تحت ركام سقف بيته، ظهر ذراعٌ ندي، تقبض يده على غصن نعناع أخضر طازج، من الجانب الآخر، ظهرت كوفيّة موشحة بالدماء مجدولة بقطعة من ثوب مطرز.

اختلطت دموعه بالأتربة المنثورة على وجهه،

حمل أحلامه الشّهيدة، رفع رأسه للسماء، التهمه الحريق؛ ولا يزال صوته يصدح عاليًا:

أشهد أن لا إله إلا الله، الحمد لله.

قل لي.. يا أبي؟

د.حسن حميد
روائي وكاتب فلسطيني/سورية

قلت: وماذا بعد يا أبي؟

قال: بعد أن ننتهي من جمع الرّكام، سنحمله بالأكياس المتينة فوق عربات الجرّ والسّيارات الكبيرة، ونأخذه إلى المكان الذي قال عنه (بعل) إنه مكان الأسئلة! وهناك سنضع هذا الرّكام بهدوء شديد وترتيب دقيق لأنّ فيه أنفاس أهلنا الأخيرة، وحسراتهم الطويلة التي حرقها رصاص الإسرائيليين وحقدهم الأسود، وسنكتب ما طواه الرّكام من كلام ونرويه، وسنبدأ من الشمال، سيكون ركام (بيت حانون) في جانب، وركام (بيت لاهيا) في جانب، وركام (جباليا البلد) في جانب، وركام مخيّم جباليا في جانب.. وهكذا، وربما صار الرّكام رواية أخرى لقطاع غزة بقراه وبلداته ومدنه، وسوف نرسل من تبقى من الأبناء إلى هذا الركام كي يبحثوا فيه عن بدايات أيام الحرب وخواتيمها التي كانت لاهبة بنارها، وضاجة بحرور ساعاتها وبردها، ولوّابة بأسئلتها عن كلّ ما يجعل الحياة حياة، فسنطلب منهم أن يضعوا ما وجدوه من غنى أيام الحرب في صناديق وأكياس كي يوزّع، فيما بعد، على الجميع وبالتساوي، قنطار حزن هنا، وقنطار دمع هناك، وخبر جميل هنا وآخر هناك، وفقد هنا، وفقد هناك، وشكر هنا وآخر هناك، وسوف نقول للجميع: هذا ما تبقى لكم، وعند الفجر، وبعد السهر الطويل، سنقفل صندوق

الحديث والعتب والملاومة والحسرة والندم عما خسرناه، وعما فقدناه وعما أبكانا، وعما أدّمانا، وعما صررناه في الصدور.

قلتُ: والبيوت التي فقدت أهلها يا أبي؟

قال: سنقطع الخيط الممتدّ بينها وبين المقابر الوسيعة التي أحاطت بنا مثل السّياج، وسوف نعيدها واقفةً تطاول الأشجار ونداءات الحياة، وسوف نثبّت في واجهاتها الأمامية المرايا الكبيرة المرحّبة بالضيوف، وسوف نملأ العتبات، والمصاطب، وأرفف الشبابيك بنباتات الحبق، والريحان، والنعناع، والعطرة، وجالبات الحظوظ، وقربها سنزرع أشجاراً جديدة، ونبني طابوناً جديداً، ونستدعي هواءً جديداً نظيفاً من روائح البارود كي يمرّ بنا.

قلتُ: وأمكنة الخوف والرّعب، من بيوتٍ خراب، وخيامٍ أقمشةٍ وأكياسٍ مقطّعةٍ، عشنا فيها أيام العذاب طيّ العتمة الغامقةً، والبرد الشديد، والأسئلة الحائرة يا أبي؟ قال: سنقف أمامها بإجلال ومهابة، فقد ناصرتنا، وجمعت حزننا، وما قلناه، وأخفت وجوهنا الدامعة 8 ووارتها، وباركت أحلامنا، وأرشدتنا الى دروب جديدة، وأعادتنا لنقرأ أكثر عن قداسة الرّغيف، والنّار، والتراب، وعزة النفس؛ سنقف أمامها لنشكرها على دفء الاجتماع، وغنى المؤانسة في وقت الجروح والحذر والصراخ والبكاء والمطاردة، تماماً مثلما وقف سيدنا المسيح عليه السلام في حضرة أجمات الشوك قرب طبريا حين آوته وأخذته إليها غمراً بالذراعين، وحين خافت عليه وحمته من مطارديه أصحاب الوجوه الحجرية، والحقد الأسود، والقولات الرّجيمة. قلتُ: وهذه، أكوام القنابل والصواريخ والشظايا الإسرائيلية، وحقائب الجنود المحترقة أطرافها، وكتبهم الممزقة، وكؤوسهم الوسخة، وثيابهم الملوثة بما طرحوه من فضلاتهم فيها، وبنادقهم، وخوذهم الحديدية التي سهوا عنها أو عجزوا عن حملها، وبقع دمائهم، ودفاترهم الصغيرة، وأقلامهم، وجواربهم المثقّبة، وأحذيتهم التي أمحت لونها، ولوحات أسمائهم المعدنية، وفراشي أسنانهم، وساعاتهم التي خذلها الوقت فتوقفت، وهواتفهم الصغيرة المحمولة الصّامتة يا أبي؟ قال: هذه القنابل والصواريخ التي لم تنفجر، والمكتوبُ عليها بالعبرية وبخطوط تركيكة عجلى أمانيهم الوحشية، سوف نعرضها في باحات المدارس ليرى الأبناء ما فعله الآباء بمن أراد سرقة الأرض أو دخولها عنوة! والشظايا، سوف نعطيها للفنانين التشكيليين، وللعاملين في فن الديكور ليصنعوا منها أشجاراً وزهوراً، وطيوراً، أما البنادق فسنجعلها واقفة بانتظار الرياح حتى إذا ما مرّت بفوهاتها جعلتها تصفر موسيقى، وخوذهم الحديدية وأحذيتهم سنعطيها لبناتنا كي تزرع فيها الزنابق البيض، ودفاترهم الصغيرة سنحفظها برعاية خاصة لأن فيها كلّ ما خافوه في بلادنا، وكلّ ما أجبروا عليه، ما حلموا به كي ينجوا من نارٍ حطب بلادنا التي أشبعتها الشمس وقيداً! وبقع دمائهم، وما أكثرها، سنكتب فوقها، هنا وقعوا فركعوا.

قلتُ: والمعسكرات الوسيعة التي كانت مراكز تدريب ورماية، وهرج ومرج، ومطاردات لدباباتهم وسيارات الجيب والجرافات الكبيرة والمدرعات ذات العجلات السريعة.. يا أبي؟ قال: هذه أرض كانت حقولاً، وبراري عاشبة، الآن، سوف نزرعها ورداً، وعباد شمس، وأشجار طيّون. قلتُ: ألا نزرعها قمحاً يا أبي؟ قال: القمح لا ينبت في الأرض التي نالها التعب. قلتُ: وهذه حواماتهم ذات الألوان الرّمادية، التي أخافتنا زمناً طويلاً.. يا أبي؟

قال: سنجعلها (تلفريك) تحوّم بركابها من جبل إلى جبل، ليرى أبناؤنا وبناتنا، ومن علوتها، أيّ بلادٍ حبانا الله بها!

قلت: وطائراتهم حاملات الصواريخ والقنابل الرّاعبة يا أبي؟ قال: سنجعلها مطاعم، ومقاهي صغيرة، موزعة في أطراف الشوارع، وأكشاكاً في الساحات، وحمامات للنظافة العامة. وحواجزهم التي سلبتنا الطمأنينة والوقت، ودرّبت نظرنا على تجاوز قباحاتهم.. يا أبي؟

قال: سنجعلها قناطر من ألوان وبهجة وأجراس، كلما مرّت بها الرّيح زهت وضجّت بالموسيقى، وكلما مرّ الخلق بها تلبّثوا أمامها واستراحوا، ورووا ما كتبته النهارات والليالي الصعاب. قلتُ: وكيف سنقنع من سيأتي بعدنا، أنّ هذا الظلموت الأسود الشدود وقع هنا على البيوت، والمشافي، والمدارس، والأسواق، والطرق.. يا أبي؟ قال: سنترك بعض البيوت التي غدت دماراً من حجارة ورمال وتنك وحديد.. شواهد، ومتاحف في الهواء الطلق ليرى كلّ من يمتلك عينين ماذا فعل الإسرائيليون هنا، وسوف نكتب قصة البيوت والمدارس والمشافي.. ومافقدته. قلتُ: والبحر يا أبي؟

قال: كان البحر عند الإغريق، في زمن الوثنية، إلهاً مُهاباً، وكان لنا منذ الزمن البعيد سلماً نرتقيه لمعرفة العالم، واليوم في سنوات العذاب، صار سلة غلال، ودرعاً حامية.

قلتُ: والأنفاق.. يا أبي؟ قال: هي الكتاب، يا بني، وفيه أسرارنا.

"شهيد الحقيقة كل الحقيقة للجماهير"

الشهيد الرفيق

أحمد نعيم بدير

أحد أبرز أعمدة مجلة الهدف والذي استشهد في عدوان غادر لطيران الاحتلال الحربي على المنطقة الوسطى في قطاع غزة أثناء تأديته واجبه النضالي والصحفي الأربعاء 10\ 01\ 2024

الهدف
AL-HADAF

زمن الإبادة.. الحقيقة كل الحقيقة للبشرية جمعاء

مروان عبد العال

روائيّ وعضو المكتب السياسيّ للجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين / لبنان

زمن الحرب " كان ذلك زمن الحرب. الحرب؟ كلا، الاشتباك ذاته .. الالتحام المتواصل بالعدو ... زمن الاشتباك المستمر." وهذا زمن الإبادة يا رفيق غسان، زمن الملحمة، زمن تنصهر فيه اللغة مع النار وكل شيء يسقط، ينمو، يتورق ، ويزهر، يرتفع، ثم يتجذر في الأرض، في وجه عدو حاقد إلى حد الممحاة.. تمارسها "الدولة القلعة" اللقيطة والمفروضة بالقوة، وتزداد سعاراً، لتمسح بغطرستها الضرع والزرع معاً ، إنّما الحقيقة فوحدها تظل على قيد البقاء.

في زمن الإبادة ، مهما بلغت الفظاعة، كما وصفها "جان جينيه" في يومياته عن المجزرة الجماعية أنها "النظرة اللامرئية "، ليس هروباً من الحقيقة ، إنما خوفاً من هذا القاع المُقزز والثقيل من القُبح الإنساني، لأنها صورة الحقيقة العارية في وجه الحقيقة المقّنعة.

حينما تسمع بلاغة أطفال غزة الناجين من المحرقة يتلون ببراءة وبساطة وبإيجاز سردية التغريبة الفلسطينية أمام الكاميرات، أو ترى سوريالية المشهد في بقايا اللحم البنفسجي يختلط بالتراب، والقتل المتسلسل وعلى السجل العائلي وبالجملة ولكامل أفراد الأسرة، وإتقان هندسة الذبح على دفعات، وقهر الناس في طوابير الإنتظار فوق الأرصفة، وتعثر على بقايا بشرية مبعثرة وأخرى تنتظر أو مكدسة فوق بعضها في دوائر الجوع وملفوفة بالأقمشة البيضاء.

إنّه زمن "غارنيكا " الجديدة من ملحمة تحمل أسرارها بلا مصباح يشع بنور الحقيقة إلى ضمير البشرية، كم "بيكاسو" سيصارع فينا وحشية هذا اللون المخيف، الذي يتدرج مع الرماد، لتصبح الحياة كلها رمادية، ويشتبك فيه المعنى مع الموت، لينتصر بسردية الأطفال على الألم، انتصار العنقاء على ربيع النّازية، نسخة متطوّرة من أفران الغاز العصرية، تخوض معركة الانتقام بأنياب كاسرة تطحن الأخضر واليابس، ومعها الأجساد الطريّة، والنّاشفة، أين تحمل طفلك وتجري ؟ قيل لا سقف آمن هناك حيث النار تبحث عن النخاع لا العظم، النار تلاحق الحقيقة.

إنّه زمن أبناء العنقاء الذين لا يمكن تحويلهم إلى "هنود حمر"، لن يتمكن الرجل الأبيض طي أحلامهم ووجودهم في التاريخ والجغرافيا والسياسة ، لأنهم الحقيقة الأبدية التي ترتفع رايتها فوق جغرافيا العالم بأسره لتنطق مع جموع الأحرار باسم فلسطين، كلمة ولوحة وفكرة وقضية تعلو على كل اللغات المهشمة، في زمن التيه تجد الأسئلة أجوبتها في أنفاق فلذات الروح تقاتل لتصون الروح، لتتركنا نستدل على الأثر، أثر الحلم والأمل والمقاومة في ثقافة الهزيمة واليأس والهوان.

زمن يترجل فيه الشهداء نلتقط كلماتهم وأحلامهم النديّة ونجمع تفاصيلهم اليومية ونكمل الطريق ونسير على درب الهدف، مع الذين آمنوا أن الوجود الإنساني لايمكن له أن يظل صامتاً كما لا يمكن له أن يحيا على الكلمات الفارغة، فالكلمات التي تحييه وتعمل على تغيير العالم هي الكلمات المفعمة بالرؤيا الصادقة، بالحقيقة كل الحقيقة للجماهير و للبشرية وللإنسانية جمعاء، الحقيقة هي السردية التي كتبت بدم المقهورين وكما كتب "باولو فريري" أن تحرير المقهورين هو تحرير للإنسان وليس تحريرا للأشياء، وينبني على ذلك أن الذي لا يستطيع أن يحرر نفسه بنفسه فلن يستطيع أحد غيره أن يحرره، فالتحرير مظاهرة إنسانية لا يمكن أن يتحقق بأشباه الرجال.

في زمن الإبادة من يؤمن بالحقيقة هو من يستحق الحق، في زمن الإبادة والملحمة والإشتباك، لن نصمت وسننتصر في حرب السرديات العاتية. وستبقى الحقيقة وراء العدو في كل مكان.

AL-HADAF الهدف